الحُب في زمن الديكتاتور

رواية

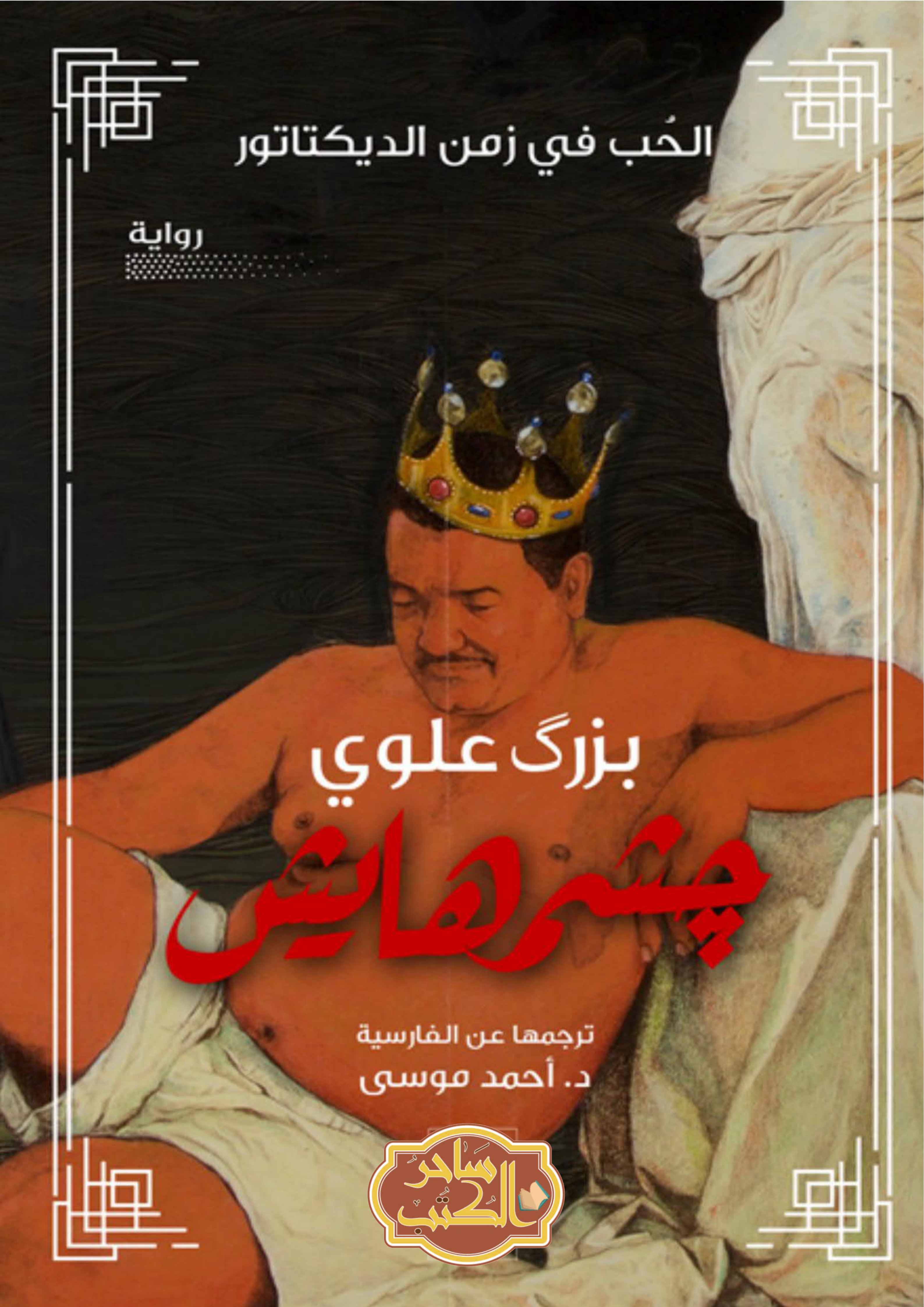

بزرگ علوي

چشمهايش

ترجمها عن الفارسية
د. أحمد موسى

ساحر الكتب

العنوان الأصلي

چشمهايش

ومعناه: "عيناها"

يقولون: أيا سعدي! لا تسرد الكثير من أحاديث العشق

سأحكي وسيحكون من بعدي للأجيال والعصور

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

صمتٌ خانقٌ كان يخيِّم على مدينة طهران. لم يكن أحد يجرؤ على أن ينبس ببنت شفةٍ، وكان الجميع يهابُ بعضهم من بعض؛ الأُسر تخافُ من أبنائها، والأطفالُ من معلِّميهم، والمُعلِّمون من عمَّال المدارس، والعمَّال من الحلَّاق والدلَّاك. الجميعُ يخشى نفسَه ويجزعُ من ظلِّه، في كل مكان.. في البيت والمكتب، والمسجد والدُّكان، وفي المدرسة والجامعة والحمَّام. كان الجميع يعتقد أن رجال المخابرات يتعقَّبونهم. في السينما، أثناء عزف النشيد الملكيِّ، الجميعُ ينظر إلى ما حوله، مخافةَ أن ينهض مجنون أو أرعن ويجلب المتاعب للجميع. صمتٌ رهيبٌ ذاك الذي كان يخيِّم على جميع أنحاء البلاد. الكل كان يتظاهر بالرضا. لم يكن للصحف ما تنشره غير كيل المديح للديكتاتور، فالناس متعطِّشون للأخبار، وينشرون سرًّا أكاذيب مبالغًا فيها. من كان يجرؤ أن ينعت علنًا شيئًا بالسوء؟ وهل من الممكن أن يكون هناك شيء سيء في الدولة الشاهنشاهية؟

كان الحزن والقنوط وسوء الظن واليأس باديًا على الناس في السوق والشارع، وكانوا متوجِّسين من النظر لما حولهم مخافةَ أن يُثيروا الشكوك.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

شوارع مدينة طهران باتت لا تُحتَمل بسبب أشعة الشمس اللافحة. ولا ندري مَن أخبر البلدية أن شوارع أوروبا خالية من الأشجار، حتى انهال العمّال على الأشجار المعمّرة بالمنشار والفأس، يقطعونها عن بكرة أبيها. كانوا يدمرون الزقاق الضيق، وينقضون أساسات المحلات، ويتركون الناس في العراء. وكان بناء بيت في هذا المكان المُجدِب يستغرق سنوات. وما يُبنى كان حقيرًا وعشوائيًا. كانوا يبنون السجون في كل أرجاء البلاد، ومع ذلك لا تستوعب السُّجناء. كلُّ من سوَّلت له نفسُه أن يحلم في منامه بسقوط النظام الديكتاتوري كان يُزجُّ به في السّجن، شيخًا كان أو طفلًا في سن العاشرة، فقيهًا كان أو من العوام، بقّالًا كان أو عامل حمام، من شرق البلاد أو غربها، ومن شمالها أو جنوبها. كان الاعتقال يطول طالب المدرسة، كما الوزير والنائب. يُعتقل أحدهم بتهمة التحدث عند الحلاق عن رسم كاريكاتوري للشاه نُشر في صحيفة بفرنسا، ويُعتقل الآخر بتهمة تبادل أطراف الحديث مع نواب دولة أجنبية خلال سفره إلى الخارج، ويُلقى القبض على الآخر بتهمة بيع أسهم نفط الجنوب سرًّا للمستثمرين الإنجليز.

في ظل هذه الأوضاع، توفي الأستاذ "ماكان" في العام ١٩٣٨. كان أكبر فنان تشكيلي إيراني في القرن الأخير. فبعد

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

عدة قرون، وجدت أعمال فنان تشكيلي إيراني مَن يقتنيها في أوروبا، كما نشرت لوحاته مجلاتٌ فنيةٌ في أوروبا وأمريكا.

كان لعدد قليل من الأشخاص مِمَّن يستقبلونه في المدرسة والمجالس بالهتاف، الجرأةُ على إبراز المحبة والتودد إليه، فهناك في الخفاء من يعلم أن الأستاذ "ماكان" من الأشخاص القلائل الذين تجرأوا وأبدوا شجاعةً في التعامُل مع النظام الديكتاتوري حيث تُحكى عنه حكايات مثل: «لم يجزع من أي حرمان، ولم يُغرَّم بأي شيء. لم يكن ملتزمًا بشيء غير الرَّسم. ولم تُحنِ كاهلَه ضغوطات جهاز شرطة الديكتاتور، إذ لم يكن تهديده مُجديًا، فقد أوقفوا صرف راتبه ولم يُبال، ونفوه من مدينة طهران وبقي ثابتًا على موقفه، إلى أن مات في ديار الغربة بعيدًا عن أقربائه وأصدقائه».

كانت العامة تقول إن حب امرأة وضع حدًّا لحياته، لكن العارفين به يعتقدون أن عشقه للحياة أوصله إلى حافة الموت.

في اليوم الذي شاع فيه نبأ وفاته في طهران، تهامس أصحابه وأقرباؤه: «ها هو شخص آخر يموت بسكتة قلبية»،

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

لأن الصحف درجت على وصف ضحايا الحكومة، الذين يموتون في السجن أو المنفى، بأنهم أصيبوا بمثل هذا المرض.

ربما يكون السبب وراء تكريم النظام له، من أجل تغطية الجريمة التي ارتُكبت في حقِّه، هو إصرار أحد أصدقائه النافذين في جهاز الدولة، وربما يكون ابتكارًا من الحكومة نفسها، لأنها كانت على علم بالتأثير المعنوي للأستاذ في أوساط المثقفين، فقالوا: الآن وقد تخلَّصنا من خصمٍ لدود للاستبداد، لماذا لا نستثمر موتَه على أوسع نطاق، لئلا يوقن الناس أنه اغتيل في إيران، وبخاصة بعد الضجة التي أثارها رئيس لدائرة الأمن فرَّ من البلاد؟ كان طابع الدولة حاضرًا في مسجد "سپهسالار" حين أحضروا جنازته إلى طهران في مراسم لائقة، ووورِيَ الثَّرى في مقبرة "حضرة عبد العظيم"(1). أقاموا له حفل تأبين في ثانوية "أمير كبير"، وأقاموا معرضًا لأعماله في قاعة "معهد الدراسات التمهيدية". هكذا أرادت الدولة أن تُظهر احتفاءها بالفن.

لكن الناس ما عادوا ينخدعون، وهم من اعتبروا تأسيس صرح عظيم كالجامعة، انتقاصًا من استقلال البلاد ومصلحة للإنجليز، لأنه أقيم بأمر من الديكتاتور، فما بالك بموت أستاذٍ

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

فنان، وفي بلاد الغربة؟ فهؤلاء لا يمكن أن يعتبروا مراسم العزاء الرسمية والتكريم المصطنع أمرًا طبيعيًا وعاديًا.

أولئك الزعماء وأصحاب الجاه والجلال، الذين كانوا في طهران المضطربة يومها من نواب، ووزراء وعقداء وجنرالات وغوغاء، حضروا جميعًا افتتاح المعرض، وتحدثوا وكالوا المديح وانصرفوا. وتقرر إقامة المعرض لمدة شهر، وزارَه في أيامه الأولى تلامذته وأصدقاؤه ومحبوه فقط. كانوا يتسمرون قُربَ لوحاته، وبخاصة قبالة آخر لوحة أُحضرت من بلدة "كلات" إلى طهران، منحنين له احترامًا لعظمة فنِّه وقوة تجسيده ومهارته في بيان العواطف الإنسانية بالخط واللون.

في الأمسيات، وحفظًا لماء وجهها، كانت وزارة الثقافة تبعث إلى هناك المجموعة تلو الأخرى من مسؤولي طلاب المدارس. لكن بدءًا من الأسبوع الثاني، اتخذت مشاهدة آثار الأستاذ الفنان طابعًا شعبيًا ووطنيًا. فكان الناس يذهبون زرافات ليشاهدوا أنفسهم، وكانوا يجدون انعكاسا لصورهم في لوحاته التي رسمها برصانة وبألوان جميلة. كانوا يتسمرون أمام لوحة بذاتها، كتب أسفلها بخط الأستاذ نفسه "عيناها"، يحدِّقون فيها باندهاش، ويتناقشون فيما بينهم

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ويجتهدون في إدراك سر العينين اللتين تقولان كل شيء، وتنظران إلى الجميع بهدوء في الآن نفسه. كان الناس يتساءلون: ما السر الذي تُخفيه هاتان العينان؟ ما الشيء الذي تُبديانه؟ وكان كل مَن يقوده فهمه إلى شيء يقوله. لكن النظرات مختلفة، وهذا ما كان يقود إلى الجدل.

في نهاية الأسبوع الثاني، كان الازدحام قد وصل مداه، مما حدا بالدولة وسلطات المدينة إلى اعتبار مشاهدة اللوحات تعبيرًا جماعيًا عن الغضب، يضر بالحكومة. فقاموا بإغلاق المعرض في أول أيام الأسبوع الثالث.

كانت لوحة "عيناها" صورة بسيطة لامرأة، ليس أكثر؛ وجه طويل لامرأة انساب شعرها على كتفيها كالقار المذاب. كل شيء في الصورة يبدو باهتًا. وقد بدا الأنف والفم والوجنتان والجبهة بلون قاتم، كما لو أن الرسام يريد أن يقول إن صاحبة الصورة لم يعد لها وجود في العالم الخارجي. عيناها فقط تركتا في ذاكرته أثرًا خالدًا. كانت العينان تنظران إلى المرء بجاذبية عجيبة. لم تكونا تحدقان، بيد أنهما تمزقان الحجب التي تفصل بين صاحبتها والمتفرّج، وتخترقان قلب الإنسان كالسهم. هل كانت ستذرفان دموعًا بعد لحظات أم سترسمان ابتسامة صفراء؟! غير أن الشفاه لم تكن توحي

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

بأية ابتسامة. هل كانت العينان ضيقتين ومسحوبتين لتبتسما وتبعثا في المتفرج أملا في الحياة، أم لتعذبا مهمومًا؟! أهما عينا امرأة ورعة زاهدة أم عينا امرأة لعوب تبحث عن فريسة أم أن كل شيء انطوى فيهما؟! أكانتا تريدان إسقاط فريسة في فخهما أم تلهثان وراء تحقيق أمنية؟! أكانتا صادقتين وحميمتين أم مؤذيتين وجريئتين؟! عفيفتين كانتا أم وقحتين؟! أَبَدَتا لا مباليتين أم مستجديتين؟! لو أن العينين التمستا شيئًا فما الشيء الذي تريدانه؟ يا للحكايات التي ترويها هاتان العينان في نشوتهما ونعاسهما!

كل شيء في هذه الصورة كان عاديًا؛ الجبين الطويل والأنف الممدود والمقدود، الذقن الدقيق وعظام الخدود، الشعر الحريري والشفاه الرقيقة. كل هذا لم يكن يترك تأثيرًا خاصًا في المشاهد.

كان وجه تلك المرأة غاية في الجمال. لكن ما كان يحيّر المتفرج ليس جمالها، بل اللغز والغموض الكامنان في عينيها. كانت عيناها دقيقتين ومائلتين. أحيانًا حينما تنظر إليهما تنهمر الدموع من عينيك. كانتا، أحيانا، تعكسان خلاف ما يتصوره المشاهد؛ صورة امرأة تعذّب رسامها بنظراتها.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

حينها، كان يشمئز المرء، لأن أصحاب الأستاذ وأقرباءه كانوا يعتقدون أن المرأة لم يكن لها أبدًا أي دور في حياته، عدا امرأة واحدة ومن المحتمل أنها كانت موديلًا للرسم، لكن لم تبق عنها صورة ولا يوجد في أعمال الفنان من يشبهها.

حينما نَفَوه خارج طهران كان أعزب، ولم يكن أحد يعلم بوجود امرأة تركت أثرًا في حياته. لقد قضى في بلدة "كلات" ثلاث سنوات وبضعة أشهر، ومات فيها. لم تُعر الصحف في الأيام الأولى اهتماما لهذه الحادثة المهمة. جريدة رسمية أشارت إلى وفاة الأستاذ في سطرين. فجأة، ذرف الجميع دموع التماسيح، وتحدثوا عن أفول نجم ساطع في سماء الفن الإيراني.

كان من يعرفه يقول: لو افترضنا أن حادثة مهمة وقعت في حياته وانتهت بنفيه في بلدة "كلات" وموته فيها، فالأستاذ، ذلك الرجل الصامت الذي لا تتعدى جمله كلمتين أو ثلاثًا، ولا يجيب حتى يُسأل، ويكون جوابه فقط بـ "نعم" أو"لا"، لم يكن ليفشي أسراره الدفينة لأحد، وبخاصة إذا كان هذا الشخص امرأة شابة تملك مثل هاتين العينين.

ما هو مؤكد أن الأستاذ كان متحفظًا وكتومًا. لم يكن راضيًا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

عن النظام الديكتاتوري، لأنه في الوقت الذي كان شعراء الزمان ينظمون قصائد في مديح الشاه وتملقه، لا أحد كان يذكر أن الأستاذ قد رسم لوحة للشاه.

كان مريدو الأستاذ يتساءلون «لماذا اختار عنوان "عيناها" لهذه اللوحة؟ كان من الممكن أن يسميها "العينان". لكن "عيناها" تعني عيني امرأة اهتم بها الأستاذ». لذلك فصاحبة العينين هي محل الاهتمام، وليس العينان في حد ذاتهما. تحت اللوحة وعلى إطار الصورة، كتب الأستاذ بخط يده "عيناها"، أي عينا المرأة التي أسعدته، أو التي أتعسته؛ عينا امرأة تركت أثرًا بالغًا في حياة الأستاذ، وحرّكت دواخله، بحيث وهو يعاني في بلاد الغربة من جور الظالمين الحقيرين، كان يفكر في تلك المرأة صاحبة العينين ويرسم لها صورة، ولو من وحي خياله. لا ريب أن الصورة متخيَّلة، فلا أحد يعلم أن الأستاذ في حياته كان على علاقة بمثل صاحبة الصورة. ربما يمكن الاعتقاد لو أن هذه المرأة لم يكن لها دخل في الحياة الخاصة للأستاذ، فهي، على الأقل، كانت مؤثرة في حياته الاجتماعية التي انتهت بنفيه ووفاته في "كلات".

بحث الفضوليون كثيرًا للعثور على صاحبة الصورة.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

وتفحّصوا المقرّبات من الأستاذ، لم يجدوا شبهًا بين الصورة وصديقات الأستاذ وتلميذاته. كانت بضع فتيات من بنات أعيان طهران يتعلمن الرسم لدى "ماكان". كان يزورهن في بيوتهن، لكنهن كنّ يافعات، ولا تشبه واحدة منهن صاحبة هذه الصورة. فضلًا عن ذلك، لم يكن بمقدور واحدة منهن زحزحة رجل بإرادة الأستاذ عن مسار حياته العادي، لدرجة التفكير في رسم صورة لها، وهو تحت رقابة ضباط الشرطة في "كلات"، وفي ظل ظروف يصعب فيها توفير لوازم الرسم.

أما تلك المرأة، التي جلست ليرسمها الأستاذ، فهي مجهولة تمامًا. لم يرها أحد. لم يصطحبها الأستاذ في أي مناسبة أو لقاء عام، فالشخص الوحيد الذي يملك معلومات مؤكدة عن هذه المرأة المجهولة هو "آقا رجب"، خادم الفنان، وهو لا يحتفظ في ذاكرته بشيء من هذا، وحتى لو علم شيئًا فلن يخبر أحدًا، أو أنه لا يريد إخبار أحد. إضافة إلى ذلك، فإن آقا رجب يقول إنه لا يرى شبهًا بين عيني الصورة ووجه تلك المرأة المجهولة.

لماذا رسم هذه الصورة؟ ألتكون هدية من بلاد الغربة لعشيقته بعد موته، حتى يبرهن لها عن ولهه بها ووفائه لها؟!

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أم أراد أن يقول لتلك المرأة التي أسرته بعينيها: إني أعرفك كما لم تعرفي أنت نفسك، وأعلم أنك قد تسببت في العذاب الذي أكابده اليوم؟! ربما يريد أن يقول أيضًا: «أيتها العينان، لو أن صاحبتكما كانت معي، كنت سأتحمل وأحظى بالسعادة»

لكن ماذا الذي توصل إليه الأستاذ؟ وكيف تعرّف إلى هذه المرأة؟ ماذا استنبط من هذه النظرة، ومن هذا الوجه الواهن؟

كل هذه مجرد تخيلات. ما لم يعرف المرء ما يمكن استنتاجه من هذه النظرة، ومن حالة العينين، فكيف يمكن أن يجيب عن هذه الأسئلة؟

مرت أكثر من عشر سنوات على وفاة الأستاذ. تغير النظام الديكتاتوري، والناس اليوم يرحبون بمظاهر مقاومة الاستبداد ويحترمونها. وقصة عيني هذه اللوحة لم يطوها النسيان بعد. واليوم لا توجد أية امرأة من طبقة الأعيان، لاسيما اللواتي كنّ بشكل أو بآخر على صلة بأحد أصدقاء الأستاذ أو مقربيه أو تلامذته، إلا وتدّعي أنها صاحبة هاتين العينين. جميعهن يعددن أنفسهن محبوبات الأستاذ،

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

وجميعهن يدعين، كل واحدة حسب ميزاتها الأخلاقية والاجتماعية، أنها كانت على صلة به.

السيدة "شكوه السلطنة" هي اليوم زوجة عقيد في الدرك، وطلاقها منه مؤخرًا، وهي أم لخمسة أبناء، خلّف جدلا. لم يكن عمرها قبل سنوات نفي الأستاذ يتجاوز السابعة عشرة أو الثامنة عشرة سنة. في إحدى اللوحات التشكيلية تُشاهد صورة امرأة تشبه، إلى حد ما، صورة السيدة "شكوه السلطنة"، وهي في سن السابعة عشرة أو الثامنة عشرة، وقد رسم الأستاذ هذه الرباعية للخيام:

لهلاكنا يجري الدهر وما له

من قصد إلا اغتيال نفوسنا الطاهرة

اجلس في الروض وارتشف الطلا

فعمّا قريب ينبت الروض من ترانا

رسم الأستاذ العشب وأعلى أغصان الأشجار والحجر والحائش في هيأة رؤوس ووجوه آدمية. وفي أحد هذه

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الوجوه، تُرى آثار قريبة الشبه من إحدى صور السيدة "شكوه السلطنة" في سن السابعة عشرة أو الثامنة عشرة. وهذا ما تستدل به السيدة "شكوه السلطنة" لتثبت أن الأستاذ كان عاشقا لها، وتبرر ذلك أنه حينما رأى خاتم الخطوبة في إصبعها، اغتاظ وأمسك بيدها وضغط عليها بقوة حتى آلمها.

كانت حياة السيدة "شكوه السلطنة" مليئة بالإثارة، وقد نقلت الصحف اللاّذعة التي تؤيد زوجها أحيانا وتعارضه في أحيان أخرى، هذه القصة بكل وقاحة. ومع ذلك، كانت حياة الأستاذ وسلوكه بين طبقات الناس المختلفة على نحو لا يستطيع أحد -حتى السيدة "شكوه السلطنة" نفسها- أن يضيف شيئًا عما قالته عن الأستاذ.

بات نقل حكايات الحب والغرام في حياة الأستاذ رائجًا في الصحف بعد شهر أغسطس من العام ١٩٤١م(2) ولسنوات متوالية. وكان الصحفيون يخرجون من حقائب أكاذيبهم حوادث عجيبة، وبخاصة قصة هروب رئيس دائرة الأمن، العقيد آرام. فقد كانوا يلفّقون أخبارًا مفجعة وينسجونها مع أخبار حياة الأستاذ ونفيه وموته، ويؤلفون من ذلك قصصًا مروعة. لحسن الحظ أن هذه القصص وصلت إلى نهايتها.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

والآن شيئًا فشيئاً، صار ممكنًا لمن يريد أن ينبش عميقًا في حياة الأستاذ زمن الديكتاتورية، ويحلّ لغز حياته.

تحدثت أنا إلى الكثير من النسوة اللواتي كن يعرفن الأستاذ والتقين به، على الأقل، مرات عديدة.

لو تجاوزنا الأنانية الكامنة في أقوالهن جميعًا، لا يبقى الشيء الكثير. كل من سألتُها عن الأستاذ، تحدثت عن نفسها. حتى المرأة المجهولة حكت عن نفسها أكثر مما حكت عن حياة الأستاذ. حاصل الأمر أنّ علاقة الأستاذ مع كل هؤلاء كانت علاقة حميمة ونقية، سواء الأشخاص الذين كانوا ضمن تلامذته، أم أولئك الذين جمعتهم صلة به، بطريقة أو بأخرى، كأصدقاء ومعارف المجالس الخاصة أو العزومات. وحدها تلك المرأة المجهولة تشكل استثناء، لو كان أحد يعلم شيئًا، فستكون هي.

أما الأستاذ فقد كان قليل الكلام متحفظًا، ونادرًا ما يعرِّف بنفسه. ربما حتى المرأة المجهولة تتحدث عنه من وحي خيالها.

إجمالًا، فهمتُ منهن أن الأستاذ "ماكان" كان رجلا كتومًا،

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

يبدو في الغالب عبوسًا، نادرًا ما يمزح. يتحدث إلى معارفه، وبالخصوص من النساء والطلاب، بصرامة وصراحة، ولم يكن يبالي إن كان الآخرون سيرتاحون لكلامه أم لا. لم يكن ينقل أبدًا كلام أحد لآخر، سواء كان جميلًا أم قبيحًا. لم يكن يحب أن يُغتاب أحدٌ في حضوره، فقد كان قليل الكلام، وإذا أطال الحديث، فيكون عن عمله أكثر من شؤون الحياة العادية. لم يكن أحد يدّعي أنه صديق حميم للأستاذ، إذ لم يكن يختلط بأحد، وقليلا مان كان يُستضاف، وباب منزله مفتوح على الدوام.

ما كان يدعو أحدًا إلى الغذاء ووجبة المساء لكنه كان دائمًا يحتفي بضيوفه حسب الإمكانات المتاحة.

توفي أكبر رسامي إيران خلال القرن الأخير، في سن الرابعة والأربعين. وكان طيلة عشرين سنة معروفًا ومحترمًا من قبل جميع الأشخاص ذوي الحظوة والاعتبار والمكانة.

آنذاك، كان العديد من رجالات وأعيان طهران يتباهون بامتلاكهم إحدى لوحات الأستاذ في بيوتهم، أو على الأقل، نسخة عن إحداها نسخها أحد طلابه. ومع ذلك، لم يكن أحد يعرفه حق المعرفة، إذ لم يطّلع أحد على حياته الشخصية.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

كان هادئًا ولا يسمح لأحد بأن يصل إلى مكامن قلبه.

كانت روحه تختزن ألمًا ومعاناة، ولم يكن يرغب أبدًا في أن يعلم الناس بمعاناته. يبدو دائمًا سعيدًا ومبتهجًا، ولا أحد يستطيع تقبّل ما يعتصر دواخلَ هذا الرجل، المتزن والمتواضع، من هموم.

في يوم من الأيام، قال لأحد تلامذته، الذي لطالما كان يتملّقه: «ما أتعس هذه البلاد التي أنا أستاذها. إن الأعور في مدينة العميان ملك»

وعلى الرغم من ذلك، فقد كان أولئك الأشخاص المرموقون يجتهدون في التعرف إليه من أجل إرضاء أنانيتهم.

حتى الشاه السابق لم يستطع تجاهله. ففي أوائل حكمه، حينما لم يكن يعتبر كسب حب الناس أمرًا ثانويًا، ذهب يومًا لزيارة مدرسة الفنان الجديدة، وبينما كان يهم بركوب السيارة، وهو على عتبة الباب، ضرب بالسوط الذي كان في يده على جزمته اليمنى ضربات، وسأل:

- أين تلقى تعليمه؟

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

• نعم سيدي، كان في فرنسا، ثم قضى مدة في إيطاليا.

عاد صاحب الجلالة ليتحدث إلى الأستاذ نفسه، فرآه واقفًا في البهو يهمّ بإشعال سيجارة. قلق جلالته، فأشاح بوجهه وقفل راجعًا، وقال لـ... السلطنة(3):

• من الواضح أنه كان في فرنسا، وإلا لما كان قليل الأدب إلى هذه الدرجة.

عاتب المتملّقون الأستاذ وحثّوه أن يركض، ويرتمي عند وصوله إلى السيارة على أقدام جلالة الملك طالبًا الغفران.

انتاب الأستاذ في بادئ الأمر رعب شديد. رمى سيجارته بعيدًا، ونزل بضع درجات في السلم، بيد أنه بدا رابط الجأش. كان جلالة الملك قد استقل السيارة وانصرف. كانت هذه الحادثة وراء إهمال وزارة الثقافة ووزارة الصناعة ووزارة التجارة والحرف والفن ووزارة الاقتصاد الوطني والإدارة العامة للفنون الجميلة لهذا المركز الفني للأبد، إلى أن انتهى الأمر بالأستاذ في بلدة «كلات»، حيث مات فيها.

كان كل الرجال يتمنون لو أن الأستاذ يرسم لهم بورتريه. كانوا يقصدونه، ويرجونه ويلتمسون ذلك. بيد أنه ما كان يرضى بهذه المذلة حتى في الأوقات التي كان بأشد الحاجة

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

فيها إلى المساعدة، في حين رسم صورة خادمه آقا رجب مرات عديدة؛ اللوحات التي رسمها الأستاذ لهذا الخادم البسيط والوفي الذي كان بحق أقرب الناس إليه، تبرز مدى تعمقه في روح هذا الرجل العادي، وتبين مدى دقته في رصد حالاته المختلفة. لعل السبب الرئيس في صداقة الأستاذ لهذا البدوي الهمذاني وتعلقه به، هو أنه كان يرى بعض صفاته منعكسة في صديقه الخادم. فقد كان آقا رجب كتومًا أيضًا، ومن الصعب أن تأخذ منه شيئًا غير ما يرغب هو في قوله. كان الأستاذ قد عثر على آقا رجب في إحدى القرى في أطراف مدينة همدان تسمى «ورزك». كان الرسام في ليلة قمراء مستلقيًا فوق السطح، وصوت بكاء طفل قادم من بيت الجيران حرمه من النوم. وعند السحر ذهب الأستاذ، وبلا مقدمات، ليتفقد الطفل. فوجد طفلًا عمره سنتان يعاني من الإسهال، ويتقيأ، ويصارع الموت، بينما جلس آقا رجب وأم الطفل أمام مهد متسخ ينتظران موته. أخذ الأستاذ الطفل وغسله في ماء ساخن، ثم لفه في أحد قمصانه، وأعطاه بعض الأقراص.

في اليوم الموالي لمّا استفاق الطفل، رسم له الأستاذ صورة بالألوان المائية، ومنحها لوالده.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

بعد سنتين، ظهر آقا رجب مع طفله الثاني، الذي أصيب بنفس المرض، ومعه زوجته وطفله ذو السنوات الأربع في منزل الأستاذ. كان قد أخذ العنوان من خادم رئيس العشيرة «كربلائي حسين»، وجاء إلى الأستاذ ملتمسًا الشفاء لولده، لأن في قرى همدان لا أحد يعرف هذه المعجزات. منذ ذلك الحين استقر آقا رجب وزوجته وأطفاله في منزل الأستاذ «ماكان».

ترك الأستاذ –فيما أعلم- على الأقل، بضعًا وعشرين لوحة لهذا الخادم الصديق، رسمه في حال الغضب والاضطراب والخوف والارتباك والقلق. في إحدى هذه الصور، يظهر آقا رجب نائمًا، وقد رسم وضعية بدنه وذراعيه وإزاره الطويل بعدة خطوط. يبدو وجهه هادئًا لا يمكن اختراقه. حاول الأستاذ أن يُظهر باطنه، لكن المشاهد لا يفهم شيئًا من ذلك. ما يبدو جليًا هي فقط آثار مؤلمة لماض مليء بالمشقة.

في متحف مدرسة الرسم تبقّى باسم الأستاذ لوحتان أو ثلاث لآقا رجب بألوان مائية أو زيتية، وهو مازال يعمل بوّابًا في الظاهر في هذه المدرسة التي تغير اسمها حتى اليوم أكثر من مرة، ويتقاضى أجره كبوّاب، لكنه في الحقيقة أكبر من ذلك، ويقوم بكل شيء، لدرجة أني لا أتجرأ أن أنقل

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

اللوحات من مكان إلى آخر دون إذنه.

لا يتحدث آقا رجب عن أي شيء. لا يتذكر شيئًا عن ماضي الأستاذ، حتى تلك الأحداث التي يعرفها الجميع يتوجّب تذكيرها بها.

يقول آقا رجب: «إن الأستاذ لم يرض أن يرسم صورة لأحد من الرجال المعروفين إلا مرة واحدة، كان ذاك الرجل هو «خيل تاش» الذي كان قد عاد ببحبوحة وفخامة وجاه من سفر إلى الخارج. وكان الناس حينها يهابونه أكثر من الشاه نفسه، وكانوا، في الواقع، يعتبرونه ديكتاتور إيران».

ذات يوم، عندما كان «خيل تاش» في باريس، شوهدت له صورة في جريدة «ليلوستراسيون»(4). كان يبدو فيها وهو يهبط من سلالم قصر الإليزيه. يقال، حينما شاهد الأستاذ هذه الصورة أعجب بها، وقال: «هو أكبر من ولي نعمته بمقدار رأس ورقبة، ليته يستطيع الحفاظ على ماء وجه إيران».

أنا شاهدت هذه الصورة في جريدة «ليلوستراسيون»، بصدر واسع ورأس مرفوع، ولا يبدو أي شيء مصطنعًا في حركاته،

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ينزل «خيل تاش» من السلالم بكل وقار وأبهة، وكأنه حقق نجاحًا باهرًا.

لمّا رجع «خيل تاش» إلى إيران، أبدى الأستاذ في حضور أصدقائه رغبة في أن يرسم صورة للوزير. بعد بضعة أيام، جاء صاحب الفخامة بنفسه إلى بيت الأستاذ من دون علم أحد، وأمضى نصف ساعة في مشاهدة أعمال الأستاذ، ثم قال: «سمعت أنك كنت تلميذا لاستيفانو الإيطالي. اطلعت على عدة (5)Oeuvre له في رحلتي الأخيرة إلى باريس. تعرفت إليه شخصيًا. قال لي إنك كنت تلميذه، لكنني لا أرى أي وجه للشبه، أو على الأقل، أي تأثير لـ (6)Ecole استيفانو في أعمالك».

رد الأستاذ:

«كيف تريد أن تقارن أعمالي المتواضعة بآثار استيفانو؟ أنا كنت أحد تلامذته. من الطبيعي ألا توجد تأثيراته في أعمالي. ومع ذلك، فأنا أسعى لأن أكون من أتباع مدرسته».

رسم «خيل تاش» ابتسامة على ثغره وقال: «لا تكن (7)Modeste إلى هذا الحد».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

بعد مرور بضعة أيام، أصبح «خيل تاش» يأتي كل أسبوع لبضع ساعات، كلما سنحت الفرصة، وبخاصة في منتصف النهار، حاملًا كتابًا في يده يطالعه، في الوقت الذي كان الأستاذ يرسم صورته. بعد ثلاثة أو أربعة أسابيع، ربما في اليوم الخامس أو السادس، حينما كان «خيل تاش» جالسًا باسترخاء على كرسي يقرأ الكتاب، والأستاذ منهمكًا في الرسم بألوان مائية، أزاح وجهه عن الكتاب، وقال:

«صاحب الجلالة يحب عملك كثيرًا».

رفع الأستاذ عينه عن البالتة التي يمسكها بيده، وقال غير مبال «أشكرك».

ظل «خيل تاش» لمدة، ربما لدقيقة كاملة، محملقًا في وجه الأستاذ. كان يعلم أن قوله ترك أثرًا طيبًا في الرسام. لكن حين لم ير أي رد فعل في ملامح الأستاذ، ربما يكون قد قال «أشكرك» دون سابق تفكير، احمرّ وجهه، وجرى الدم في عينيه. من المؤكد أن «خيل تاش» لم يكن يتوقع التملق والرياء من قبل الأستاذ، لكنه لم يكن يتوقع منه اللامبالاة أيضًا.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

انتظر «خيل تاش» حتى ينظر إليه الرسام، وبمجرد ما أغطس الأستاذ ريشته في الألوان، وهمّ بالرسم على اللوحة، وقعت عينه على وجه الوزير، وتعجب من غيظه وغضبه. في هذه الأثناء سأل «خيل تاش» الأستاذ:

«ألم ترغب في رسم صورة لصاحب الجلالة؟»

علا وجه الأستاذ الاصفرار وابيضَّت شفتاه حتى صارتا كالجبس، ورسم عليهما ابتسامة كاذبة، ثم وضع الريشة على الطاولة، وفكّ البالتة من إبهامه. اتجه من خلف اللوحة إلى الناحية الأخرى، وقال:

«لا يا سيدي! أنا أرسم صور الأشخاص الذين يروقون لي. أنظر إلى هذه الصور من حولك، إنني أحب هؤلاء...»

احمرّت عينا فخامته، ألقى نظرة على اللوحات من حوله فلمح لوحة فيها مروّض أفاع فاتحًا فمه يريد أن يعضَّ رأس الأفعى، أثارت اشمئزازه. كاد الأستاذ يفقد أعصابه، لكن "خيل تاش" الذي كان أكثر رباطة جأش، انتصب واقفًا، وربّت بيده على كتف الأستاذ، وقال:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«أنا أحترمك، وأدرك وضعك».

«أي احترام...»

قاطع «خيل تاش» الأستاذ:

«لا تُعقد الأمور، مع السلامة».

مكث الأستاذ للحظات في الغرفة وحيدًا. بعد نصف ساعة، دخل خادمه. رآه جالسًا على كرسي قرب النافذة، وقد أمسك رأسه بكلتا يديه ووضع مرفقيه على إطار النافذة، وهو شاخص ببصره نحو السماء. حينما رأى آقا رجب، أفاق من شروده. نهض من الكرسي، أخذ السكين الذي كان يشحذ به الألوان الزيتية، ومزق لوحة «خيل تاش»، وأخرج الإطار من الكنفا، وارتدى معطفه وخرج من البيت.

يتذكر آقا رجب ذاك اليوم الذي سلّمه فيه الأستاذ رسالة، توجه بها إلى الوزارة وسلمها لسكرتير مكتب فخامة الوزير، ولم يُشاهد «خيل تاش» بعدها في منزل الأستاذ. بعد بضعة أيام، أحضر سكرتير مكتب فخامة الوزير رسالة بنفسه وسلمها للأستاذ.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أنا عثرت على رسالة «خيل تاش» هذه بين أوراق الأستاذ. وهذا نصها:

«الأستاذ العزيز، أتأسف لعدم إتمامك لصورتي. آمل أن تعقد العزم على إكمالها كلما سنحت لك الفرصة. المخلص: «خيل تاش»».

مع ذلك، فقد كان «خيل تاش» في حضور الناس دائمًا ما يكنّ الاحترام للأستاذ. في تلك الأيام، جاء إلى إيران أحد علماء الهند المشهورين. أُعدت جلسة على شرفه في قاعة وزارة الثقافة التي تستوعب ما بين مائتين إلى مائتي وخمسين شخصًا. كان قد جلس في الصفين الأول والثاني كبار الشخصيات، وحضر جميع الوزراء وعدد من الوكلاء والمتملقين، وكان الأستاذ جالسًا في الصف الخامس. قبل دخول العالم الهندي إلى القاعة بثلاث دقائق، دخل «خيل تاش» فوقف على الفور كل من كان جالسًا في الصفوف الثلاثة الأولى. غير مبال بأحد، وجد «خيل تاش» مكانه وجلس. ثم جلس الجميع. انتبه فيما بعد إلى وجود رئيس الوزراء الذي كان جالسًا في ناحية أخرى على بعد مقعدين أو ثلاثة منه. حينما استقام واقفًا يريد أن يذهب عند رئيس الوزراء، وقع نظره على الأستاذ، فحيّاه:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«السلام عليكم».

لم ينتبه الرسام إلى تحيته. قال بعض الأشخاص بصوت عال:

«سعادة الأستاذ! فخامة الوزير وجه لكم التحية».

تحرك الأستاذ يسيرًا، وأحنى رأسه، دون أن تظهر على ملامحه أية آثار للسرور أو الحزن.

قال "خيل تاش":

«عفوًا! عفوا!».

حينما نجمع حوادث حياة الأستاذ حلقة حلقة كالسلسلة، ندرك أن هناك سرًا خفيًا في حياته. لأن هذه الأحداث ليست متصلة ولا متشابهة. ومع ذلك، يبدو أن هناك خيطًا رفيعًا من الأسرار يربط بينها، وما لم يُكتشف هذا الخيط، لا يمكن ربط هذه الحلقات ببعضها.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

من لم يكن يصاب بأي ذعر من الشاه السابق، وكان يتعامل مع "خيل تاش" بهذا السلوك دونما خوف، ولا يتملكه الرعب، وانتهى به الأمر إلى الموت في المنفى، وربما يكون قد اغتيل. كيف لمثل هذا الرجل أن يقع أسير عيني امرأة؟!

أنا منذ اليوم الأول الذي تبادرت فيه إلى ذهني كتابة تاريخ حياة رسام إيران الكبير، أيقنت أنه ما لم تظهر تلك المرأة المجهولة صاحبة عيني اللوحة، فلن يكون بمقدوري كتابة أكثر مما كتب في الصحف. اطلعت على وثائق الأمن أيضًا، ولم يكن هناك أثر لشيء، حتى نفيه تم بأمر شفهي من العقيد آرام، وهو غير موجود في إيران. وبحسب بعض الروايات، فهو يهنأ بحياة هادئة في أمريكا الجنوبية.

لقد تحدثت بالتفصيل عن علاقة الأستاذ بـ"خيل تاش". كنت أريد أن أثبت أن "خيل تاش"، وهو أقوى رجل في إيران حينئذ، أو على الأقل، أكثر رجال الدولة اقتدارًا بعد رضا شاه، هو أيضًا كان مضطرًا لإبراز الاحترام للأستاذ. ينبغي ألا نتصور أن رجال العهد الديكتاتوري كانوا محبين للفن وأهله، وأن قصد "خيل تاش" كان تقدير أصحاب العقول النيّرة، أقصد الاحترام والتأثير اللذين كان يفرضهما الأستاذ الرسام على المثقفين والنخبة الواعية. تحية "خيل

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

تاش" للأستاذ في اللقاءات الرسمية كانت تكسبه وجاهة. في ذلك العهد، لم تكن أركان الديكتاتورية قد رسخت بعد. كان ما يزال في النظام الملكي أشخاص من أمثال "خيل تاش" نفسه، لا يتحملون أي نوع من المذلة.

كان ما يزال في أطراف البلاد أشخاص متمردون وساخطون يمنون النفس بأمنيات. ما يزال أفراد، وأحيانًا جماعات صغيرة، لم تتخلّ عن صمودها. ما يزال أشخاص أمثال الأستاذ مستعدين للتضحية بالنفس لدفع الظلم والجور عن الشعب وعن حقوقه. كان "خيل تاش" يريد بهذه الطريقة أن يبرئ نفسه.

علاوة على ذلك، كان وجود الأستاذ وسيلة للدعاية لمحدثي النعمة آنذاك. كانوا يأخذون كل من جاء من خارج إيران لمشاهدة آثار الأستاذ. وقد راكم تاجر تحف أمريكي، ادّعى أنه خبير في الفن وبروفيسور في الفنون الجميلة، ثروة هائلة عن طريق شرائه رسومات، كان الأستاذ قد رسمها لمجموعة من رباعيات الخيام. وفي الوقت نفسه نقل إلى أوروبا وأمريكا حكايات عن احتفاء النظام الإيراني بالفن. وقد نشرت إحدى صور الأستاذ في المجلات الأمريكية، وهو جالس على كرسي أثير يلاعب أطفال آقا رجب.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

إضافة إلى الفن التشكيلي، فإن أمضى سلاح في يد الأستاذ هو عدم تعلقه بالعادات والتقاليد الاجتماعية. فقد ترك عائلته التي تنحدر من محافظة "مازندران" بصفة نهائية، وأقام في بيت كبير نسبيًا، يقع خلف مسجد "سبهسالار". لم يكن منزلًا سيئًا. خلال فصل الصيف، كانت أشجار الدلب والرمان والصفصاف الباسقة ترخي بظلالها الوارفة على حوض البيت. وفي أول فصل الربيع، كان عطر الورد الأحمر، الذي يضعه الأستاذ في أوعية كبيرة، يعكس طراوة الجو ولطافته، حتى داخل مرسمه الضيق ذي الجو الخانق. كان يجني من وراء بيع لوحات الرسم للأعيان عائدات جيدة كان آقا رجب يصرفها بالكامل.

رغم أن الأستاذ لم يكن متشبثًا كثيرًا بمظاهر الحياة، إلا أنه كان يجتهد في تأمين حياة مرفهة لـآقا رجب وأبنائه، كان عمر أحدهم، وقتها، قبل نفي الأستاذ إلى "كلات"، يبلغ اثنتي عشرة سنة، وكان الأستاذ يعتبر ولدي آقا رجب بمنزلة أبنائه ويخصهما بكامل الحب الذي في قلبه، ولأجلهما لم يكن يقصّر في شيء، حتى إن لُعَب "فيروز" ابن آقا رجب ليست أقل قيمة من تلك التي يلعب بها أطفال من أسر متوسطة الحال. أرسل "فيروز" إلى الثانوية ولم يكن سلوك هذه

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الصبي مع زملائه سلوك ابنٍ لآقا رجب. ومع ذلك، كان يقضي حياته في ثلاث غرف؛ إحداها مرسمه، وكانت مملوءة بلوحات متنوعة وكتب باللغات الفرنسية والإيطالية، وإطارات وألوان وورق مقوى، وكرسي، ولوازم أخرى خاصة بالمرسم، وغالبًا ما كان يتناول طعامه في هذه الغرفة، وأحيانًا كان ينام هناك على أريكة خشبية. وفي الغرفة الأخرى، كان يستقبل أصدقاءه. أما الغرفة الثالثة التي كانت تسمى غرفة النوم، فكانت مليئة بالكتب واللوحات. كان في العادة يخفي في هذه الحجرة الأعمال التي لا يرغب في إظهارها لأحد.

يقول آقا رجب إن الأستاذ في بعض ليالي الصيف، حينما تكون السماء صافية ونجومها ساطعة، كان يصعد إلى السطح، وفي آخر الليل، بعد أن يكون آقا رجب وزوجته قد غطّا في نوم عميق، ينزل بهدوء ويأخذ سريرًا محمولًا من المرسم، ويعود إلى السطح، ويستلقي هناك.

في مثل هذه الأوقات كان يظل مستيقظًا إلى الفجر. وحينما تشرق الشمس، كان ينزل السرير وينام في مرسمه الذي كان حارًا خانقًا في فصل الصيف.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ذكريات آقا رجب، هذه الذكريات المشتتة التي يجب استخلاصها من لسان رجل متحفظ هي الذكريات الوحيدة التي يمكن تكوينها عن حياة هذا الرجل العجيب. لسوء الحظ، فآقا رجب رجل عامّي وأمّي، لا يعلم في أي سنوات رسم الأستاذ لوحاته المختلفة. لذلك، يصبح المفتاح الوحيد لحل سر حياته بلا تأثير يذكر. وحتى إن علم شيئًا، فإن ذكرياته متقطعة ولا يربط بينها رابط. فعلى سبيل المثال، يقول: أعتقد أنه رسم لوحة "الباعة المتجولون" في تلك السنة التي كان يأتي فيها عنده ذلك الرجل الطويل القامة - يقصد "خيل تاش"-. أو في ذلك الوقت الذي كان فيه المستر الأمريكي يشتري اللوحة من الأستاذ. لا، بل سنة بعد ذلك، حين كانت تجلس المرأة المجهولة ليرسمها، أو في الوقت الذي أرسلوا فيه ابنهم الثاني إلى المدرسة، رسمه وهو ممتد خالدًا إلى النوم تحت شجرة.

ومع ذلك، فإن آقا رجب كان يعرف أكثر مما يبديه. لا يمكنني أن أتصور أن الأستاذ استطاع أن يعيش لمدة عشر سنوات، بل أكثر، مع مثل هذا الرجل البليد. لذا، لو أن هناك سرًا في حياة الأستاذ، بسيكون هذا البدوي الهمداني على علم به. لكني أتساءل: لمَ لا يقول شيئًا لأحد؟

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

لطالما حاولت أن أحصل من آقا رجب هذا على معلومة، ولو بسيطة، عن المرأة المجهولة، التي أعتقد أنها يجب أن تكون صاحبة العينين الغامضتين. لا يعلم، نسي، لا يتذكر، هل أكمل الأستاذ تلك اللوحة أم لا؟ لا يعلم كم كان عمر تلك المرأة، لا يتذكر إن كانت جميلة أم لا. نسي كم من المرات كانت تأتي وتذهب. لكنه كان يعلم أن الأستاذ حينما يفرغ من عمله يقوم بإيصالها إلى البيت.

«هل ذهبت يومًا إلى منزل هذه المرأة؟»

«لا، لا أتذكر».

«فكّر، لعلك تتذكر منزلها».

«لا أتذكر».

«أتتذكر اللوحة التي رسمها الأستاذ لهذه المرأة؟»

«لا، يا سيدي».

«ألم تكن المرأة عارية؟»

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«لا يا سيدي، كان سيدي متديّنًا».

«أعلم، لكن الأستاذ رسم نساء عاريات أيضًا».

«نعم، رسمهن في بلاد الغرب، هنا لا وجود لمثل هذه اللوحات. أنا لم أر ذلك».

«ماذا تقول آقا رجب؟ بعض تلك النسوة العاريات لهن وجوه الفتيات الإيرانيات».

كيف كان ممكنًا إقناع آقا رجب. لم يكن يصدق. كان يرى في سيده مثالًا للتقوى والورع، ويعتقد أن ارتكاب كل ما يخالف الدين والاستقامة لا يمكن أن يصدر عن سيده. لقد صنع آقا رجب لنفسه سيدًا، وليس من الممكن أبدًا معرفة حقيقة حياة الأستاذ من هذا الرجل.

حاولت مرارًا أن أوضّح أهمية لوحة «عيناها» لـآقا رجب، سعيت لأن أشرح له اللغزالذي يجب أن تنطوي عليه هذه اللوحة. ليست القضية فقط براعة الأستاذ في إبراز هاتين العينين الغامضتين في حالات مختلفة وبمعاني متعددة. أردت أن أفهمه أن اكتشاف لغز «عيناها» يمكن أن يميط

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

اللثام عن مسألة أساسية خفية في حياة الأستاذ، وستكون معرفتها بالنسبة للمعاصرين ضرورية ومفيدة.

في النهاية، لا يمكن معرفة ماذا كان وراء نفي الأستاذ من طهران. لأي سبب تم إرساله إلى «كلات»؟ ماذا فعل؟ رئيس دائرة الأمن الهارب قال إن لديه أوامر بقتل الرسام! لماذا؟ أردت أن أُفهم آقا رجب أننا إذا توصلنا إلى كشف هوية تلك المرأة المجهولة، التي كانت ترافق الأستاذ في آخر أيامه في طهران، وكانت تأتي لفترة إلى المرسم كي يرسمها، فلربما نتمكّن من معرفة سبب نفي الأستاذ، ومعرفة أنه اغتيل في «كلات». وفي نهاية المطاف معرفة هذه الأمور ضرورية للناس ومفيدة لجيل اليوم المناضل.

كم هو عنيد آقا رجب هذا! لا يمكنني أن أصدق أن شخصا عاش في منزل الأستاذ اثنتي عشرة سنة أو يزيد، وكان يقوم بكل أشغاله، لا يعرف لماذا اعتقلوه.

تحدثت مع آقا رجب ساعات طوالًا في مكتب مدرسة الرسم، التي تعرف اليوم باسم الأستاذ، وهو أدرك جيدا مدى رغبتي في التعرف إلى هذه المرأة المجهولة.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ينصت آقا رجب إلى الكلام بملامح هادئة، دون أن يطرف له جفن. لا ترى في قسمات وجهه علامات التعجب أو السرور أو الغم أو الجهل. كان المرء محقًا أحيانًا في أن يسأل نفسه: أهذا الرجل هادئ وصلب أم أنه بليد ومصاب بالخَرف؟ لم يكن من الممكن معرفة ما إذا كانت ذاكرته ضعيفة أم أنه أقفل فمه بختم الصمت. كان يجيب بهدوء وصلابة بـ «نعم» أو «لا» عن أي سؤال توجهه إليه. لكن عينيه كانتا تبرقان أحيانًا، كما لو كان مجبرًا على التحمّل، ويرى السائل إنسانًا غريبًا. وكأنه بإفشائه أسرار الأستاذ أهان المقدسات. في أوج الهدوء، كانت تنتاب آقا رجب حالة من الاضطراب، كما لو أنه يغالب القلق حتى لا يهزمه، ولا يسقط القناع الذي وضعه على وجهه. أحيانًا كنت أضيق ذرعًا وأقول لنفسي إنه يتظاهر بعدم الفهم، وهو أكثر ذكاء من الصورة التي يحاول أن يظهر بها. كل هذه الأشياء صحيحة، يجب أن آخذ بالاعتبار أنني في مدرسة الرسم هذه، ومنذ سبتمبر فما بعد أصبحت ناظرًا، وأن آقا رجب، بسلامته، بوّاب هذه المدرسة، وهو تحت إمرتي. سألته قبل بضعة أيام:

«آقا رجب، ألا تتذكر أية صورة للمرأة التي كانت موديلًا للأستاذ؟»

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«بلى سيدي»

«حسن، أيمكنك أن تقول كيف كان شكلها؟»

«نعم!»

انتابني التعجب فسألته:

«كيف تذكرت وجهها فجأة؟»

«لأنها جاءت إلى هنا قبل بضعة أيام».

«ماذا تقول، أقا رجب؟ ماذا جاءت تفعل هنا؟»

«كانت من بين الزائرين للمتحف».

«في أي يوم جاءت؟»

«يوم الخميس عصرًا».

«لماذا لم تخبرني إذن؟»

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«آه سيدي. ماذا كان بوسعك أن تفعل. ليس من اللائق حينما تأتي امرأة لمشاهدة لوحات الأستاذ، أن آتي لأخبرك، هكذًا بلا داع».

طوال أسابيع متوالية، وخلال الأيام التي كان فيها متحف المدرسة مفتوحًا في وجه العموم، كنت أجلس اليوم بأكمله في قاعة المتحف، وقد أمرت آقا رجب أن يطلعني بمجرد مجيء المرأة المجهولة.

لكن المرأة لم تأت. يوم الخميس ذاك، قمت بمراجعة جميع التصاريح الصادرة للزائرين. حضرت خمس عشرة امرأة، من بينهن خمس نساء بمفردهن، ولا يتطابق اسم أي منهن مع أسماء النساء والفتيات اللائي يعرفن الأستاذ.

منذ ذلك اليوم فما بعد، أقمت بنفسي مكتبًا، وسجلت أسماء الزائرين للمتحف، وحفظت أسماء تلك النسوة اللائي زرن المتحف بمفردهن. واحدة منهن فقط، كتبت اسمها الأول وأخفت اسمها العائلي. كان اسم هذه المرأة فرنگيس.

فجأة اخترق برق مشاعري، المرأة المجهولة كانت قد جاءت يوم الخميس ٢٨ كانون الأول (ديسمبر)، ويوم ٢٨ كانون

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الأول (ديسمبر) من العام ١٩٣٨م هو يوم وفاة الأستاذ.

****

أخيرًا وجدت المرأة المجهولة، وتعرّفت إليها. مرت سنوات طويلة على وفاة الأستاذ. عاد رسامون شباب من الغرب، وتخرج آخرون من المدارس. أصبح الرسم، -تقريبًا- وسيلة لكسب لقمة العيش. فالبعض يرسم لوحات لإعلانات تجارية، والبعض يزين خشبة المسرح، ويصوِّر الكتب، والبعض يرسم وجوه الناس، ويرسم كاريكاتيرًا للصحف. بعض تلامذة الأستاذ السابقين والكثير من العائدين من الغرب يعزفون على وتر الأستاذية وينظمون معارض للرسم. افتتحت كلية الفنون في الجامعة، ويمكن القول إن الأستاذ بدأ تدريجيًا يدخل عالم النسيان، وهذا هو الوقت الذي أستطيع فيه أن أنشر مذكراتي عن الرسام الفنان والإنسان العظيم، الذي بذل مهجته فداء للفن ولكرامته وكرامة أبناء وطنه.

خلال السنوات الأولى، بعد شهر أغسطس، بات تأليف كتب عن سيرة الأستاذ مجالًا لكسب الرزق يطرقه الكثيرون. كل من هبّ ودبّ بات يكتب ما يصل إليه قلمه. ونقلوا عن حياته حوادث غريبة، وصلت الجرأة بأحد كتاب المقالات إلى أن

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

يدّعي، بمنتهى الوقاحة، أنه كان يكاتب الأستاذ طوال ثلاث سنوات من النفي، وأن الأستاذ أفشى له بجميع أسرار حياته.

لكن ما نشر لم يتعدَّ كونه كتابات تافهة. أما تلك الحكايات الفارغة والسخيفة فقد نسيت تمامًا. والآن حان الوقت لأن تصل إلى أسماع المعاصرين تلك الأحداث المهمة في حياة الأستاذ، أو على الأقل، تلك الوقائع التي حدثت له والجهود التي بذلها لتوعية الناس، ومراحل التضحيات ونكران الذات التي قطعها.

لا أدّعي أنني أعرف أشياء دقيقة وصريحة عن محاربته لقوى الاستبداد الشيطانية. لكني أسعى، على أقل وجه، لأبرز معنوياته ومكنونات قلبه، التي تظهر عظمته وشجاعته وطهره، وتكشف في الآن نفسه عيوبه. على الأقل أستطيع أن أقول إن الأستاذ "ماكان" كان رسامًا كبيرًا، لأنه، ببساطة، كان مؤمنًا بعمله، وكان متيقنًا من أنه يقاوم الظلم وسلب الحرية عن طريق فنه التشكيلي. هو لم يكن فنانًا فحسب. لقد كان فنانًا كبيرًا، لأنه كان إنسانًا يغتم لمحن الآخرين. كان الرسم، بالنسبة له، وسيلة لمقاومة الظلم. وكان لاحتفائه بالفن بعدٌ اجتماعي وإنساني، إذ إنه يريد خدمة الناس. ولهذا الغرض، كان يرسم، ولهذا السبب فقط، استولى فنه على

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

المهج.

كنت لا أزال جالسًا في ركن من مدرسة الأستاذ، وكلما كانت الألسن تتلفظ باسمه وتلهج بذكره يزداد احترامي له. هذه المدرسة، بالنسبة إليّ، بمثابة معبد، ومنذ أن توفي آقا رجب، اعتبرت نفسي خادمًا لهذا الحرم.

والآن، وأنا أنظِّم هذه المذكرات، تقابلني صورة للأستاذ، كان أحد تلامذته قد رسمها له بعد وفاته؛ له وجه طويل، وجبين شامخ، ووجنتان بارزتان، وأنف حاد، وعينان كبيرتان خارقتان، وحواجب مقوسة، وذقنه واسع، وأسفله ضيق.

كانت نظّاراته تميل إلى السواد، وحينما كان يحدق إلى شيء، كان كمن يريد أن يقتلع العرق والعصب بالمنقاش من وسط اللحم والجلد والعظم.

نظرته كانت ترتعش لها أدق أوتار روح الإنسان. ينظر ويرى، ويستخرج ما كان يمر على الجميع مرور الكرام، وهذا واضح من آثاره. كان يعرّي ما كان خفيًا في طبيعة شعب إيران.

أقارن الصورة التي رسمها له الرسام بالصورة التي بين يدي،

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

والتي تعود لسنوات حياته. كانت حالته كلها تعكسها ابتسامته، هي ليست ابتسامة عارضة، بل هي متأصلة، هي علامة لمرارة السم الذي أحاط حياته وحياة الناس من حوله. عَشَّشَت هذه الابتسامة دائمًا حول شفتيه وأسفل عينيه. وقد حاول الرسام أن يثبت هذه الابتسامة، دون أن تظهر علامات الضحك في تقاسيم وجهه. لكن هناك فرقا شاسعا بينها وبين الابتسامة الطبيعية التي انعكست في الصورة الكبيرة. هذه الابتسامة ليست ابتسامة سرور، لا تدل هذه على الحياة؛ إنها ابتسامة تأثر شديد، كما لو أن الأستاذ أراد أن يقول: «ما أحلاها، ما أحلى ما يمكن أن تكون، من المؤسف أننا نتذوق مرارتها».

مع ذلك، فإن الرسام الشاب أبرز الأستاذ بحسب ذوقه هو، فلقد لاحظ شيئًا آخر، وأراد أن يبرز الإنسان الكتوم والهادئ. هو روى فقط ما يعرفه الجميع عن الأستاذ. لكن الفرق شاسع جدًا بين هذا الأستاذ والأستاذ الذي عرّفته لي المرأة المجهولة. لم يضف تلميذ الأستاذ في رسمه الذي ينتصب قبالتي الآن شيئًا إلى ما قلته أنا عنه.

كان رجلا عالي الهمة، يحمل هموم الآخرين، هادئًا ومنطويًا على نفسه، لا يصادق أحدًا، بل يعتزل الجميع ويشمئز من

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الغوغاء، ومن المحتالين، ومن الانتهازيين وممن ليس لديهم هدف في الحياة سوى إرضاء بطونهم وأجسادهم. لم يكن يحتمل رؤية وجوههم. كان ينسحب فجأة من مجلسهم ويغادر دون أن يسوق لهم الأعذار. وفي الوقت نفسه، كان صديقًا للجميع ومعروفًا لهم. حينما يحس بالحب والطيبة والصدق، كان يفرح من صميم القلب، يشاركهم محنهم وينزل إلى مستواهم ويكون صديقهم الحنون، يساعدهم ويحزن لحزنهم.

كان يستقبل كل من يقدم إلى بيته، ويقضي أوقاتًا ثمينة مع الناس العاديين، لدرجة أن الجميع يعتبر نفسه صديقًا حميمًا له. كان متكبرًا ومغرورًا حسب ما يقتضيه الموقف. لم يكن ليزور أحدًا ما لم يعجبه وما لم يحترم الآخرين، وإن زاره آلاف المرات.

كان بفرض على الجميع رغبته دون تفاخر أو مباهاة. لا يخضع للابتزاز ولم يكن قلبه يتعلق بشيء إلا إذا استحق ذلك. كان متأنقًا في اللباس وملتزمًا بالنظام العام. وكان مرسمه جامعًا لكل الناس. هكذا يعرفه الجميع، وهكذا صوّره الرسام.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

لكن المرأة المجهولة لديها الكثير لتحكيه عن مقاومته وعن ترفّعه. هذا الجانب من حياته يجب أن تحكيه.

أنا سأنعت هذه المرأة بالمجهولة، لأنها نفسها تدّعي أن لا أحد يعرفها إلى اليوم. لنسمح لها بممارسة أنانيتها هذه.

معرفتي بها كانت بشكل غريب، بدت غريبة بالنسبة لها، أما أنا فقد حسبت الأمور بدقة. قبل عدة سنوات، كنت قد أمرت بتعطيل المتحف يوم ٢٨ كانون الأول (ديسمبر)، وكنت أجلس في مكتب المدرسة وأترقب من سيزور المتحف في هذا اليوم التاريخي. أنا في هذه المدرسة مجرد وكيل، فمدرسة الأستاذ من نوع إدارات الدولة التي تقتضي خلو الرجل، وهي تصرف كل شهر مبالغ ضخمة-على ما يبدو- في تعليم طلاب هذه المدرسة. صُرفت عدة ملايين من التومان خلال الثلاث عشرة سنة الأخيرة، أي منذ نفي الأستاذ إلى "كلات" حتى اليوم، لم يتخرج منها حتى ثلاثة عشر فنانًا، لكن على الأقل هناك ١٣٠٠ خريج مجاز من هذه المدرسة، في الفنون الجميلة، يديرون الأمور في إدارات الدولة المختلفة، من إدارة المعادن والحرف والفن إلى بنك الزراعة. إدارة هذه المدرسة لها مداخل متعددة. كل وزير جديد، يأتي، يعيّن مديرًا خاصًا على رأس هذه المدرسة. لذلك، فالمدرسة

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

يديرها، على الأقل، مديران في السنة الواحدة. لكني أنا وكيل فيها منذ عشر سنوات. ومن الطبيعي أن اختصاصاتي تسمح لي بأن أجعل من يوم ٢٨ كانون الأول (ديسمبر) يوم عطلة في السنة، مستخدمًا عذرًا من الأعذار، مرة بذريعة تنظيف قاعة المتحف، ومرة بذريعة إصلاح سقف القاعة الذي يقطر منه الماء، ومرة أخرى أتذرع بأني لست على ما يرام. مرت أربع أو خمس سنوات ولم يحضر أحد. لم تأت المرأة المجهولة حتى يوم ٢٨ كانون الأول (ديسمبر) من هذه السنة.

الآن تمر خمس عشرة سنة على وفاة الأستاذ.

يوم ٢٨ كانون الأول (ديسمبر) طلبت إغلاق قاعة المتحف، وجلست في المكتب. كان بوسعي مشاهدة زوّار المتحف من نافذة حجرتي.

كانت عقارب الساعة تشير إلى الرابعة والنصف بعد الزوال حين كان الطلاب يخرجون من الساحة، وأغلبهم كان قد انصرف. توقفت سيارة فخمة قرب بوابة المدرسة الحديدية. ترجلت منها المرأة التي كانت تقود السيارة بنفسها.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

دخلت إلى الساحة امرأة متوسطة القامة، متشحة بالسواد، محترمة ورشيقة، واتجهت نحو البهو. حينما اقتربت بضع خطوات، ألقت بنظرات تعجب إلى الصالة وواصلت طريقها، سألت تلميذًا نازلًا من السلالم عن شيء ما.

فتحت نافذة حجرتي على الفور وسألت:

«سيدتي، بمَ تأمرين؟»

كانت دقات قلبي تتسارع، حافظت على رباطة جاشي بصعوبة. كنت أحس بأن حادثة لطالما كنت أنتظر وقوعها، تحدث الآن. كما لو أني أزف لنفسي بشرى: وجدتُها، عثرتُ على صاحبة العينين. هذه هي، العينان اللتان عذبتا أستاذي. لكني لا زلت لا أر العينين ذاتهما بعد.

فوجئت المرأة الرشيقة بسماع صوتي. رفعت رأسها وألقت إليّ نظرة بالعينين اللتين ما كانتا أبدًا غامضتين وأخّاذتين. كانت ابتسامتها مثل شمس الربيع التي تذيب ثلوج قمة الجبال، تدخل السعادة على قلب المرء. لكن الابتسامة نفسها عندما كانت تتكرر، كان المرء يحس بأنها مصطنعة. قالت بنبرة عذبة ومهذبة وحنونة:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«عفوًا سيدي، جئت لأزور متحف هذه المدرسة».

كنت أريد أن أجيبها من تلك النافذة، إجابة مترفعة، وأتركها تذهب، لأن الصوت كان عاديًا جدًا. كنت أتصور تلك المرأة المجهولة على هيأة أخرى، لكن نبرتها المؤدبة واللطيفة صرفتني عن قراري. أضف إلى ذلك أن التردد يجبر الإنسان على القيام بأعمال عجيبة في الحياة.

«تفضلي إلى المكتب، لأشرح لك».

عبرت بهو المدرسة ودخلت إلى البناية. آه، ليت آقا رجب على قيد الحياة. ما كان يستطيع أن يخفي عني هذه. دونما أن أخجل من حضور السيدة كنت سأسأله: أليست هذه تلك المرأة التي كانت تجلس ليرسمها الأستاذ؟ لكن هذه المرأة بهذا الوجه الجميل وهذا الوقار والتؤدة، لو أنها كانت موديلًا للأستاذ، فلابد أن سببًا دفعها إلى ذلك.. أحضر الخادم السيدة إلى حجرتي.

بمجرد دخولها، مثل شخص يعرفني لسنوات أو مثل أناس يعتبرون جميع الخلق أصدقاء وأقرباء لهم، قالت بكل دفء وبلا كلفة:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«سيدي، بوّابكم تغيّر أيضًا».

هنا انتابت نفسي حيرة، واصفرّ وجهي، أيقنت على الفور أن هذه المرأة تتصنّع الضحك. كل جملة تنطقها تسمع وراءها ضحكة طويلة. في الوقت نفسه، كانت هذه الضحكة مليحة وظريفة.

سألتها:

«متى تغيّر بوّابنا؟ "غلام" يعمل في هذه المدرسة منذ ثلاث سنوات وبضعة شهور».

قالت بنفس النبرة العذبة والمؤدبة، وبذات الضحكة المصطنعة:

«عجبًا، ربما أخطأت».

لهذه المرأة مهارة في التصنع والتقليد. أحسست منذ الدقيقة الأولى أنني أتعامل مع امرأة غير عادية. فجأة، أيقنت، ولو للحظات، أنها هي. حدقت إلى عينيها بعض

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الوقت. لم أر أي وجه للشبه بين هاتين العينين والعينين المرسومتين على اللوحة، لكن الشبه موجود في جبهتها والشفاه والفم والشعر الأسود الناعم والأنف الطويل الدقيق. ومن الواضح أن الزمان فعل فعلته في هذه الشفاه وهذا الفم.

كانت أسنانها بيضاء متناسقة. وهذه الأسنان والشفاه الرقيقة هي التي كانت تجعل ضحكاتها تأسر القلب. هذه المرأة تدرك جيدًا مدى تأثير ضحكتها على الآخرين. كانت ترتدي معطفًا واسعًا كان وقتها موضة العصر؛ أسود اللون. وطية الياقة الحمراء الحريرية تضفي على وجه المرأة ضياء وطراوة زائدين. بطانة المعطف الحمراء تلمع، ونعومتها وصفاؤها يشاهدان عن بعد. أزرار المعطف مفتوحة، وقد علقت على ذراعها حقيبة يدوية سوداء اللون وشبكت يديها في حزام أحمر براق أحكمت غلقه على قميصها الأسود. كانت رجلاها تبدوان مشدودتين متناسبين، رشيقتين ومقبولين.

أيقنتُ أنه ينبغي أن ألعب مع هذه المرأة باحترافية، وإلا ستذهب، وأبقى أنا المسكين أجترّ همومي. دعك مما عانى منه الأستاذ، أنا أيضًا يجب أن أحترق وأنتظر، قلت:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«جئتِ لتزوري متحف المدرسة؟»

«نعم، كم وددتُ أن أزوره».

«لسوء الحظ، المتحف اليوم مغلق. فلقد تسببت الثلوج والأمطار الأخيرة برشح الماء إلى سقف المتحف، وحتى لا تتضرّر اللوحات عطّلت المتحف مدة أسبوع، ليفتح مجددًا في وجه العموم بعد إصلاح القرميد».

«إذن المتحف تحت إشرافك، وإذا أردتَ تستطيع أن تسمح لي بزيارته».

«بالتأكيد هذا ممكن، لكن، حسناً، سيدتي، تعلمين أنه عمل إداري، وهناك بعض الصعوبات».

أجابتني بعذوبة وهدوء اضطرّاني للاستسلام. وكلما زاد إصراري زاد لطفها. لو كنت متيقنًا من أن هذه السيدة الجميلة والموقرة هي نفسها تلك المرأة المجهولة صاحبة العينين، ما كنت لأستسلم بكل تأكيد، وكنت سأجعلها تستجديني أكثر فأكثر، حتى أطوّعها وأروّضها. كان لدي يقين بأن المرأة تعرف الأستاذ، لكنني كنت مترددًا في الآن

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

نفسه، وكان ينبغي أن أظهر لها شخصيتي وقوتي، لكن المشكلة تكمن في ترددي الذي يجعل مهمتي صعبة. تمنيت عدة مرات لون أن آقا رجب على قيد الحياة، فيجيبني بصراحة عن سؤالي، ولو لمرة واحدة فقط.

قالت لي:

«المشكلة الإدارية يمكن حلها دومًا، علاوة على ذلك، فأنا مسافرة، وإذا لم أشاهد اللوحات اليوم، فلن تكون لدي فرصة أخرى».

لم يكن هذا تهديدًا. هذه المرأة جاءت إلى طهران في الذكرى الخامسة عشرة لوفاة الأستاذ "ماكان" بغرض مشاهدة أعماله الفنية، لكني اعتبرت ذلك تهديدًا، وأجبتها بإصرار:

«يمكنني أن أطلب من السيدة أن تحضر في وقت آخر؟»

«لا، سيدي، لا تطلب هذا الطلب، غير ممكن».

فوجئت المرأة، أصبح الوجه الضاحك حزينًا وصارمًا، لكن

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

هذه الحالة لم تدم أكثر من بضع ثوان. هزّت رأسها وأشرق وجهها مجددًا بابتسامتها التي كشفت أسنانها البيضاء المتناسقة. فقلت:

«لماذا؟ هل هذا يوم خاص؟»

«لا، هذا ليس يومًا خاصًا، إنما كنت أود لو أستطيع أن أشاهد أعمال الأستاذ».

كان اليأس بدأ يتسرب إليها وبدأت تخلي المكان، اغتنمت الفرصة، وسألتها:

«هل يمكنني أن أرجو من السيدة التعريف بنفسها؟ أنا وكيل هذه المدرسة».

«يا سيدي، ماذا تريد مني؟ أيًا كنت، فأنا أطلب منك الإذن بزيارة هذا المكان اليوم، لأنه لا وقت لدي لاحقًا، سأكون ممتنّة لك».

«لعل السيدة تكون فنانة، لعلك ترسمين. في هذه الحالة، فالاستثناء جائز. من الممكن أنك ترغبين في كتابة مقال

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

لصحيفة أو مجلة، لكن الحق يقال، إعطاؤك الإذن، كنتِ من كنتِ، أمرٌ لا يخلو من مشكلات، لكن يمكن دائمًا إيجاد مبرر لذلك. فمثلًا، بذريعة رؤية قاعة المتحف المثيرة للشفقة، يمكن أن أطلب منهم فتح الباب. هذا كان قصدي من وراء التعريف بنفسك، وإلاّ فتفضّلي، قولي لي ماذا أفعل؟ أنا أحب هذا المتحف. لو أعلم أن توصياتك للمسئولين ستفضي إلى تسريع وتيرة بناء المبنى الجديد لهذه المدرسة، لكنت مستعدًا من الآن حتى صباح غد، أن أبقي باب القاعة مفتوحًا لك وحدك. فضلًا عن ذلك، فإن أي شخص يأتي لزيارة المتحف يجب، في نهاية المطاف، أن يأخذ تصريحًا مسبقًا من مكتب المدرسة».

أعتقد أنها أشفقت عليّ. كانت ترمقني بنظرات غاية في الرقة كأنها وقعت تحت تأثير عذوبة كلامي. ربما تكون قد تعاطفت مع نبرتي الوظيفية.

فجأة وقعت حادثة عجيبة. على الرغم من كل الانتظار والترقب الذي كان لدي، وبالرغم من أنني كنت أنتظر مثل هذا الحادث منذ سنوات، لكن، مع ذلك، كان عجيبًا. قالت لي:

«اسمي فرنگيس. لو رجوتك أن تأذن لي اليوم فقط، برؤية

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

المتحف لنصف ساعة وأذهب، أكنت سترفض رجائي مجددًا؟ أنا لست فنانة، ولا رسامة، ولا صحافية، لكنني أود كثيرًا مشاهدة هذه اللوحات اليوم».

لكن الحادث العجيب لم يكن قولها هذه العبارة، أو النبرة التي أدت بها كلامها. ولم يكن أيضًا فرنگيس من دون أي اسم عائلي هو اسم نفس تلك المرأة التي جاءت قبل خمس سنوات لزيارة المعرض يوم ٢٨ كانون الأول (ديسمبر)، وبعدها ببضعة أيام قال لي آقا رجب إنه رآها في القاعة. كلا، أنا أصبحت على يقين بأن هذه المرأة هي نفسها. من بين النساء الخمس اللائي جئن لزيارة المتحف يوم ٢٨ كانون الأول (ديسمبر) قبل خمس سنوات وذهبن، كانت واحدة منهن تدعى فرنگيس، ولم تدلِ هذه المرأة باسمها العائلي. كنت على علم بإحصائيات جميع الزائرين. خلال هذه السنوات الخمس، جاءت، مرارًا وتكرارًا، العديد من الفتيات والنساء يحملن اسم فرنگيس. لكن جميعهن كن يكتبن اسمهن العائلي إلى جانب الاسم الأول. تحدثت معهن جميعهن، وباضطراب -وأي اضطراب- كنت أصغي إلى كلامهن! لكن ما يجب أن يميز تلك المرأة المجهولة هو النظرة الخارقة، ليس لها وجود عند هؤلاء الفتيات والنساء. هناك فرنگيس واحدة فقط من دون اسم عائلي جاءت في مثل

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

هذا اليوم قبل خمس سنوات، وجاءت مجددًا اليوم ٢٨ كانون الأول (ديسمبر)، أي يوم الذكرى الخامسة عشرة لوفاة الأستاذ، وبنظرات كهذه! إذن لا يبقى أدنى شك في أن هذه المرأة هي نفسها..هي نفسها تلك الفاتنة التي أوصلت الأستاذ إلى حافة القبر، أو التي أدخلت على قلبه السعادة لفترة.

لهذا السبب، كانت تستحق أن أكون أكثر إصرارًا، وألا أسمح لها ذلك اليوم بالدخول حتى تعود مرة ثانية وتستجديني وتستسلم لي، وأرغمها على إفشاء الأسرار التي كنت أتمنى كشفها.

لكن فجأة وقعت حادثة عجيبة. عندما قالت: «لو رجوتك...» بدت عينا هذه المرأة بشكل عجيب. لا أستطيع أن أقول كيف بدتا. هل كانت تتوسل؟ هل كانت تلتمس؟ هل كانت تريد أن تقتلني شوقًا؟ هل كانت تريد بهاتين العينين الفاتنتين أن تشتت ذهني؟ لا أستطيع أن أبين حالة هاتين العينين. أحسست بعبء ثقيل يقتلع قلبي من مكانه. فزعتُ، اضطربت، أصابتني حالة لا توصف. لكن ما أستطيع أن أقوله هو أن حالة العينين تشبه حالة عيني الصورة المرسومة على اللوحة. أردت أن أذهب بنفسي، مهما كلف الأمر، وأشاهد العينين اللتين في اللوحة. استسلمتُ.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أنا استسلمت، أنا من كنت أتصور أني أصبحت صلبًا ومومياويًا. أنا الذي لا يشغل بالي غير الأستاذ والعمل في المكتب. خضعت أمام هذه المرأة المجهولة. نظرة عينيها سحرتني أنا الآخر.

كنت أتلوى من الغضب لبعض ثوان. بعدها ذاب شيئًا في قلبي، انحلّت عقدة ما، جرح ما فُتح ونزف دمًا، أحسست بوهن جميل. لقد عرفتُها أخيرًا. قلت لنفسي: «ما أشد ما عانى من وراء هذه المرأة!»

الآن، وأنا منهمك في ترتيب مذكرات الأيام السابقة، تزاحم ذاكرتي هذه الخيالات. لم يكن لدي خيار آخر في تلك اللحظة، وهي، هذه المرأة الفاتنة، أدركت قدرتها على الفور، ورجعت لكي تذهب.

قمت من المنضدة متوجهًا إلى ناحية الباب، فتحته، والتفت جهة المدخل مناديًا:

«يا "غلام"، تعال افتح الباب!»

جلست المرأة المجهولة على كرسي بجانب طاولتي، لم أنظر

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

إليها. حين دخل غلام إلى الحجرة، اتجهتُ إلى المكتب، أخرجت المفتاح، وأعطيته إياها وقلت:

«القاعة باردة، أليس كذلك؟ ألم تشعل النار اليوم؟»

«كلا، أنت أمرت بذلك».

«أوقد مدفأة الكيروسين، وضعها في القاعة حتى نأتي نحن».

وجدت فرنگيس الفرصة سانحة لتنشغل بزينتها. فتحت حقيبتها اليدوية، وأخرجت منها مرآة. ألقت نظرة على وجهها، نظفت جانب شفتيها بالمنديل الحريري. أخفت المرآة داخل الحقيبة الحمراء ونظرت إليّ. حينذاك حُلَّت عقدة لسانها، تحدثت عن مبنى المتحف، وعن أصدقائها الكثيرين؛ الفنانين ورعاة الفن الذين يعملون في القطاع الحكومي، وعن رئيس شركة السجاد الذي يقدِّرها، وعن المدير العام لوزارة الثقافة الذي هو من أصدقاء القمار الخاصين عندها، ونائب رئيس الوزراء نفسه يقرأ كل توصياتها. لكن هؤلاء جميعًا لا منفعة ترجى منهم، هؤلاء أناس يريدون أن يقضوا بعضًا من الوقت الممتع معها. هم شركاء اللصوص ورفقاء

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

القافلة، لا أحد يحمل همّ الآخر. لكن هي كامرأة وحيدة بلا سند، تعرف قيمة هذا المتحف، ولها دراية على كيفية وجوب الحفاظ على متحف للفن التشكيلي. زارت كل متاحف أوروبا، ليس مرة واحدة، إنما عدة مرات. هي مستعدة لشراء جميع هذه اللوحات، وبناء المبنى بنفسها. بعد ذلك، تحدثت عن وزير الثقافة وأنه ليس إنسانًا سيئًا، لكن خبرته في الفن توازي خبرة العجل فيه.

كانت هذه المرأة تتحدث دون انقطاع، ولم يكن غرضها بيان ما يثير اهتمامها. كانت تتحدث عن كل شيء وتغرق في التفاصيل. تحدثت عن زوجة وزير الثقافة، وكانت تعرف أشياء عن ابنته.

لم أكن أنصت إلى كلامها. منذ الوهلة الأولى، أسررت ضغينة في قلبي تجاهها، فرأيتها عدوة لي، اعتبرتها قاتلة الأستاذ. لكن لم أكن أريد إظهار عداوتي لها بأي ثمن. أردت أن أثأر من هذه المرأة قاسية القلب. كانت تنظر إليّ. أتراها تريد أن تنفذ إلى قلبي وروحي؟

راقبتُ حركاتها بمجرد ما رأيت أنها تنظر إليّ، شغلت نفسي بأمر. حينما أدركَت لامبالاتي، ارتعشت أجفان عينيها وكانت

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

صورة للأستاذ معلقة على الحائط خلفي. كانت فرنگيس تلقي إليها نظرة أحيانًا، في نفس الوقت الذي تكمل فيه كلامها. وقد عُلِّق على الجدار في الجهة اليسرى، مقابل النافذة، بعض الفسيفساء التي صمّمها الأستاذ. عادة ما كان الأشخاص الذين يقصدون مكتب المدرسة يحدقون في صورة الأستاذ لوقت معين، لكن بعد ذلك، يستحوذ على انتباههم لبعض الوقت لون الفسيفساء الأزرق البراق. لم تنظر المرأة المجهولة إليها كثيرًا، كما لو أنها كانت قد رأتها كثيرًا. حينها عادت ونظرت إلى شجرة الصنوبر الجميلة التي طلاها الثلج بلون الفضة. مع ذلك، لم تتوقف عن الحديث. نهضت من الكرسي وصوبت عينها نحو الشجرة. وجدتُ الفرصة سانحة لكي أتفحّص قامتها. كان شكل وجهها الجانبي غاية في الجمال. عمرها يجب أن يكون في حدود أربعين سنة. كانت جميلة القوام. شبّكت يديها من تحت معطفها الواسع حول خصرها، لها أصابع طويلة ومشدودة وجلد أصابعها الأبيض كان يبدو طريًا وناعمًا، ولا ترى على وجهها أية علامة للشيخوخة. فقط حينما يقارن المرء الشفاه والأنف بما هو مرسوم في لوحة "عيناها"، يلحظ وجود فارق. كان شعرها طويلًا، ويلتف من خلف الأذن إلى مقربة من خط الشفاه، ومن هناك إلى ما فوق الكتف، كان يبدو متموّجًا وكان أسود براقًا مثل إطار أسود يعكس بياض الجلد أكثر

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

نصاعة. على جبهتها كانت توجد ثنية بارزة. لم تبدُ أية حالة خاصة على الشفاه والفم والجبهة، لكن العينين في حالتهما العادية كانتا تُبديان حزنًا وتأثرًا.

خيّم للحظات صمت رهيب على الحجرة. كنت أفكر بالطريقة التي يمكنني بها أن أجعل هذه المرأة تتكلم كلامًا معقولًا، الكلام الذي كنت مشتاقًا لسماعه، وليس الكلام الذي تقوله لتروِّضني. فكرت في نفسي كيف ينبغي التعامل مع هذه المرأة. أيجب مداراتها أم التقرب إليها بالرجاء والالتماس، أم يجب استخدام قوة الشخصية لتطويع هذه المرأة المدعية والأنانية؟ سكوتها هذا كان له معنى كبير. كانت للتو منهمكة في التلاعب معي، على الأقل بعدما سحرتني بنظراتها. كان عليها حينما ناديت على غلام وأمرته بفتح باب الحجرة أن تعبر عن شكرها بشكل من الأشكال. هذه المرأة تفتخر كثيرًا بعينيها، وكانت قد سحرت الأستاذ بمثل هذا الطلسم، وها هي الآن تنجح مرة أخرى في مواجهتي.

إنما كنت منذ مدة قد نذرت نفسي للأستاذ، أعددت نفسي لأي نوع من التحقير والإهانة. أنا رضيت أن أبقى مدة عشرين سنة أخرى وكيلًا بسيطًا، وأن أجلس خلف هذه

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

المنضدة الحقيرة، لا لشيء إلا لملاقاة هذه المرأة. لذلك، فاللامبالاة لا يمكن أن يكون لها تأثير وخيم.

ربما تكون فرنگيس مضطربة الحال لأنها اضطرت إلى استخدام آخر أسلحتها وأكثرها فتكًا من أجل مجرد رجاء صغير، لتهزمني بنظرتها. من المحتمل أن حالتها لم تستقر بعد، وكانت تتظاهر بالهدوء وتتجاهلني، لكي تكتسب القوة. على أية حال، فقد نالت مقصودها، والآن من واجبي ألا أضيع هذه الفرصة، وأجبر هذه المرأة على الكلام. كان هناك أمر في غاية الوضوح بالنسبة لي، وهو أني لم أعد أحتمل، وإذا لم أستطع كشف سر هذه اللوحة التشكيلية، فالموت أرحم لي، إما اليوم وإما أبدًا!

فجأة راودتني فكرة. لم تكن لدي فرصة لأدرس نجاح خطتي أو فشلها. تركت المكتب وتوجهت صوب الباب ثم أمسكت بالمقبض وقلت:

«أتأذنين لي أن ألقي نظرة على الصفوف؟ أحيانًا يمكث الطلاب في الصف، وهذا يخالف القوانين، سأخرجهم وأعود على الفور لننطلق معًا إلى قاعة المتحف».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«هل سيطول الأمر كثيرًا، سيدي؟ أيمكنك أن تأذن لي بأن أذهب رفقة بوّاب المدرسة؟»

لم تكن تقوى على الصبر، ولم تكن تعيرني أية أهمية.

«لا، سيدتي، أولا أنا الذي يجب أن يكون في خدمتك ثم إني لن أتأخر أكثر من خمس دقائق».

قلت ذلك، وفتحت الباب ثم خرجت من الحجرة.

ذهبت مسرعًا إلى قاعة المتحف، فتح غلام الباب، كان في انتظاري على عتبة القاعة. قلت له:

«يا غلام، لا تنتظر أكثر، اذهب إلى البيت! أنا سأقفل الباب بنفسي وأعطي مفتاح باب المبنى للحارس، اذهب يا عزيزي!»

بمجرد أن نزل غلام من السلالم، دخلت إلى قاعة المتحف. كان المصباح مضاء. توجهت صوب لوحة "عيناها" بحرص لم أعرف له في نفسي مثيلًا أبدًا. كأني أواجه هذه اللوحة لأول مرة، كأني سمعت عنها لسنوات، ورأيت نسخًا عنها، لكن

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

اللوحة نفسها لم أرها بأم عيني أبدًا، كما لو أني عدت شابًا من جديد، وأقابل لأول مرة امرأة تريد أن ترتمي في حضني. بات للعينين معنى عندي. سلبت العينان الإرادة مني أيضًا. حدقت إليهما لبضع دقائق. تجسدت من جديد أمام ناظري فاجعة حياة الأستاذ بأكملها. يجب إذلال هذه المرأة الثرثارة، كنت أنظر إلى اللوحة بينما أضع خطتي.

أطفأت نور المصباح لئلا ينتبه أحد من الخارج ماذا أفعل. فتحت باب المخزن وأخذت اللوحة ووضعتها على طاولة، ومرّرت يدي فوق العينين، كأنما بلمسهما أزداد إدراكًا ويزداد شعوري باللذة. أحسست بغبار ناعم على اللوحة، نظفته بالمنديل. رفعت اللوحة بكلتا يدي ووضعتها فوق رأسي وحملتها إلى المخزن. كانت اللوحة ثقيلة، وأنا خائر القوى. أحسست بأن ظهري يتقوّس تحت الثقل، عدت إلى قاعة المتحف مجددًا وأنا أعد أنفاسي، جلست لثوان على الكرسي، جففت عرقي وعدت إلى المكتب، وقلت:

«تفضلي سيدتي، أنا مستعد لمرافقتك».

كانت جالسة باسترخاء على كرسي أثير تتفرج على صورة الأستاذ. ما إن سمعت صوتي، حتى انتصبت واقفة، وأخذت

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

حقيبتها اليدوية التي كانت ملقاة على ركبتها. وعلقتها على يدها، وقالت:

«أشكرك سيدي».

توقفتٍ عند عتبة الباب، وأمسكتٍ به، ولما خرجت فرنگيس أغلقت الباب وأقفلته بالمفتاح. لم تنتظر فرنگيس حتى أدلّها على الطريق. كان واضحًا أنها تعرف الطريق بنفسها. صعدت الدرج وأنا من خلفها. ووقفَت أمام باب القاعة. فتحتُ الباب فدخلَت ثم أغلقتُ باب القاعة وأضأت المصابيح. بمجرد ما أضاءت القاعة حدقتُ إلى وجهها.

كان مكان لوحة "عيناها" على الحائط المقابل للنافذة خاليًا. فجأة، فطنتُ في ضوء المصباح إلى أن هناك شيئًا ناقصًا، لكن فرنگيس لم تنتبه. خُيِّل إليّ أنها لم تفهم. تيقنتُ من شيء واحد؛ هذه المرأة ذكية وذات موهبة، وتستطيع بكل أريحية أن تتقمص دور ذلك الكائن الذي تريد أن تلعبه. ولو لزم الأمر، تستطيع، بنظرة عين واحدة، وبحركة واحدة من الشفاه، وبتقطيبة واحدة من الجبين، أن تظهر نفسها عاطفية، ورقيقة القلب أو مشوشة البال وغارقة في التفكير. هي التي هزمت الكثيرين بابتسامة واحدة. ربما أرادت أن

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

تتظاهر بأنها لم تنتبه إلى شيء، لكني سرعان ما شعرت بأن قاعة المتحف من دون لوحة "عيناها" هي ليست قاعة الأستاذ. ذهبت إلى وسط القاعة بالقرب من المدفئة البخارية، وقفت هناك أراقبها.

بدأت فرنگيس تتفرج على لوحات الأستاذ من الجهة اليمنى، بينما وقفت أنا في الوسط، وكنت أدور في الاتجاه الذي تذهب إليه وأتفحصها. كانت تمكث قليلا أمام بعض هذه اللوحات وتتغاضى عن بعضها الآخر وتتقدم. لم تكن هذه المرأة متفرجة عادية، كما أنها لم ترغب أن تظهر نفسها كفنانة. كنت أتساءل لأي غرض جاءت إلى هنا. ما هذه النزوة؟

كنت أرمقها من الخلف على الدوام، أدور في الاتجاه الذي تدور فيه. لم أعد أرغب في النظر إلى عيني هذه المرأة. كنت أتجنب نظراتها. أريد أن أراقبها من الخلف، دون أن أقع فريسة لسحر عينيها وجمال وجهها.

لم تكن تبدو فنانة وخبيرة كما لم تكن تبدو أيضًا مثل أولئك الفضوليين الذين يفتحون أفواههم انبهارًا عند مشاهدة لوحة. كانت تمر بسرعة من أمام بعض اللوحات وأحيانًا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

تتباطأ. فجأة، كانت ترجع مسرعة بضع خطوات إلى الوراء وتتأمل في لوحة أخرى، كما لو كانت تعرف كل اللوحات، وفي كل واحدة منها تعثر على شيء رائع. كانت هذه أول مرة يكف لسانها عن الكلام منذ أن جاءت إلى المكتب. أهي بفعل سطوة فن الأستاذ أم سيطرة ذكريات الماضي، أم بكلتيهما معًا؟

وأنا كنت مثل قائد وضع خطته ونفذها وينتظر سماع خبر انتصاره في أية لحظة. كنت قلقًا، ضربات قلبي تتسارع، لكني متيقن من نجاحي. فتَّ الغضب في عضدي وبدأت أحدث نفسي بلا فائدة، كنت أقول: ألا تهتمين بي؟ ألا تعبئين بي؟ تثرثرين مع الرجل الذي لا ينتظر أي شيء من أحد، فهو لا يمسك لسانه أمام أحد؟ مع الرجل المهووس بالأستاذ؟ مع الرجل الذي رأى حلم بعينيك لياليَ عديدة؟ معي أنا؟ مع الرجل الذي أدرك ألاعيبك من النظرة الأولى، وفهم مع من يتعامل؟ لنر، الآن، من سيكون بليغًا وفصيحًا؟ لنر، الآن، من سيجثو على ركبتيه متوسلًا؟ تأكدي أن سحر عينيك كان له مفعول في المرة الأولى، وانتهى الآن. لقد أُخذتُ على حين غرّة، قضيت على رجل من أمثال الأستاذ، والآن يجب أن تتحركي وفق هواي ورغبتي.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

كان يقيني بالنجاح راسخًا، لكن مع ذلك فإن شيئًا من التردد كان جاثمًا على صدري، يعذبني. أخشى أن هذه المرأة لم تنبس ببنت شفة عن لوحة "عيناها" مخافة أن تفشي سرها، حينها سأكون أنا الخاسر. هل تكون هذه المرأة الأنانية، لأجل أن تخفي أسرار حياتها الماضية، قد تظاهرت بعدم علمها بغياب تلك اللوحة الأصلية من القاعة؟ بدأت المرأة المجهولة تقترب من مكان اللوحة المفقودة. كان اضطرابي يزداد لحظة بلحظة، وتزداد معها محاولاتي لإخفاء هذا الاضطراب. إن موضوع هذه المرأة، بالنسبة لي، موضوع موت أو حياة؛ نجاح حياة بأكملها كان متوقفًا على ما كان في طور التحقق لي. لو لم أتمكن من كشف أسرار حياة الأستاذ لشعب إيران، فما فائدة حياتي إذن؟ لو أن الشعب الإيراني اليوم، يوم الجد والعمل، يدرك كيف أن الأستاذ كان جسورًا وكيف ناضل. لو يدرك الشعب اليوم أن رسام إيران الكبير كان يتدخل بشكل مباشر في شؤون الدولة، وكان، في الآن نفسه، يعتقد أن مصيره من مصير الشعب، حينها سيتشجعون أكثر وسيكافحون، وما كانت اليأس واللامبالاة سينهشان وجودهم. يجب إخبار الفنانين وإفهامهم لماذا تم نفي الأستاذ. لو استطاع شخص مثله أن يصمد في زمن الظلم، فلابد أن يكون اليوم لكل إنسان حي دور يؤديه، حيث توفرت الحريات بصورة أكبر بفضل جهد وتضحيات الأستاذ

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ومحبيه.

لم يكن هذا وحده سبب قلقي. أنانيتي أيضًا كان لها أثر مهم. آه، ذلك الوقت، حين كنت واقفًا في قاعة المتحف أتعقب المرأة المجهولة بعيني. ما أراه اليوم بهذا الوضوح والدقة، كان يبدو في نظري متقطعًا وغير مترابط. نعم كان لأنانيتي أثر مهم.

في نهاية المطاف، أنا الوحيد الذي أستطيع أن أكشف الغطاء عن حياة الأستاذ الشاقة. لقد درست بدقة وعمق شديدين جميع لوحاته، قرأت كل ما دوّنه على هوامش كتبه من مذكرات. من مثلي تَعِب من أجل الفنان؟ من مثلي تعذّب؟ من مثلي أنا يعرف الأستاذ؟

كم اجتهدت في حياتي لكي أصبح فنانًا! لسوء الطالع لم تكن لديّ إمكانات. رغم وجود الموهبة! لم يعد لي من هدف سوى تجسيد حياة الأستاذ، ومفتاح هذا النجاح هو في يد هذه المرأة. كنت على استعداد لأجثو على ركبتيّ أمامها، لآخذ بتلابيبها وأتوسل إليها أن تحقق لي طلبي.

اقتربت المرأة من مكان لوحة "عيناها". ألقت نظرة وتابعت

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

المسير. رجعت ثانية، رفعت يدها عن خصرها، رمت برأسها إلى الخلف، فجأة تسمّرت في مكانها. لمست برأس أصبعها الغبار الذي خلّفه إطار اللوحة على الجدار. توجهت بوجهها نحوي. كان وجهها قد علاه الاصفرار، وعيناها كانتا تبرقان، كأنّي بها أرادت أن تقول: هل أنت تخدعني؟ ما المكيدة التي تدبرها لي؟ أين اللوحة؟ لكني لم أمنحها أية فرصة. كانت تنتظر أن أقول شيئًا. كنت هادئًا تمامًا أقوم بتدفئة يدي، وناظري شاخص نحو زرقة شعلة المدفئة. هذه هي لحظة الهاوية. يجب أن تتكلم.

«سيدي الوكيل، كأنّ مكان لوحةٍ ما فارغ هنا».

«نعم سيدتي، يجوز ذلك».

«هل تُخرج لوحات الأستاذ خارج هذه القاعة؟»

«نعم يخرجونها، وأحيانًا تتعرض للضياع وتجد من يقتنيها».

«هل تبيعون هذه اللوحات؟»

«كل شيء ممكن».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«كيف ذلك؟»

لم تكن تتوقع مثل هذا. ارتباكها وصل حدًا تراءى معه كل ما كان خفيًا في وجهها. بدا وجهها مغتمّا، لكني كنت هادئًا وغير مبال.

«يا سيدتي، كل شيء وارد. كان الأستاذ يمتلك أكثر من هذه اللوحات بكثير، أكثر مما تلاحظينه أنت الآن. يأخذونها ويسرقونها، ولا أحد يكترث. في النهاية، ماذا يفرق وجود لوحة زائدة أو ناقصة للدولة الموقرة!»

«هل بيعت اللوحة التي كانت هنا؟

«ربما، وربما تكون موجودة في أحد الصفوف، يقوم بنسخها أحد الطلاب».

«هل تتذكر أية لوحة؟»

«لا، لست أتذكر».

كان واضحًا أن هذه المرأة ستفتح قفل لسانها بسبب لوحة

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

"عيناها". بقيت لفترة تنظر إلى اللوحات.

أشاحت بوجهها عني. وركزت من جديد على أعمال الرسام. وقفت قبالة لوحة التي يبلغ طولها مترين ونصف، وعرضها مترًا وبضعة سنتيمترات.

كانت هذه اللوحة من أعمال الأستاذ البارعة. وسط اللوحة يُرى رجلٌ حسنُ الهيأة، قويُّ البنيان، وقد ارتدى ملابس مرتبة ويقف أمام مرآة، يجذب بيده اليمنى قبعته ذات الحافة إلى أسفل، وجهه الكبير والمتجعد يبدو بوضوح في المرآة. واحتل معطفه الطويل والمفصل بعناية قرابة ثلثي اللوحة. وأُسندت عصا غليظة على طاولة صغيرة بجانب المرآة. يصدر دخان من لفافة سيجارته التي في المنفضة. في الناحية اليمنى يتراءى هيكل امرأة نحيفة تبلغ من العمر خمسًا وأربعين سنة، وهي تخرج من الغرفة بملابس غير متناسقة، وتبدي ملامح المرأة وقارًا ولطفًا، لكنها حزينة. تغطي رأسها بحجاب قروي أسود عُقد تحت بلعومها، ووضعت فوق غطاء رأسها قبعة أوروبية نسائية مصنوعة من الحصير الأسود. منظر هذه المرأة بالحجاب القروي والقبعة مضحك لدرجة أن من رأى هذا الجزء من اللوحة فقط، فستصيبه نوبة ضحك. وكأنما امرأة عاهرة تقوم بتقليد

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

امرأة أخرى. لكن قسمات وجهها لا أثر فيها للسخرية والازدراء، كما لو أنها صُنعت من الشمع وعلى وشك الذوبان والاضمحلال. كُتب تحت اللوحة على الإطار "حفل كشف الحجاب"(8). حينما يقرأ المرء هذا، لا يأخذه الضحك هذه المرة، بل يفكر مليًا؛ ما الأهمية التي يوليها الرجل للحفل؟ هو يهيئ نفسه بطمأنينة تامة لعمل مهم. لكن تبدو على ملامح المرأة علامات الاضطراب والفزع، فهي تعلم أنها تجعل من نفسها أضحوكة أمام الناس. ما الحل؟ يجب الذهاب، إنه أمر، الجميع يجب أن يشارك في حفل كشف الحجاب ويجب أن يصطحبوا نساءهم معهم. ويعتبر الرجل أن هذا الأمر عاد جدًا، هل هناك من يتوقع شيئًا آخر؟ لكن مسكينة المرأة!

وقفت فرنگيس لهنيهة قبالة هذه اللوحة. خمّنتْ أن المرأة المجهولة أدركت حقًا، عمق الفاجعة التي عبرت عنها اللوحة بلسان فصيح.

تروي هذه اللوحة قصة مؤلمة؛ ليس هكذا يكشفون الحجاب، ما زالت هذه المرأة ستضع الشادور على رأسها، لو يأخذونها ألف مرة إلى مجالس السفور فستبقى كما كانت. استُعملت مهارة وبراعة عجيبة في تجسيد ملامح الرجل الذي يرى فقط في المرآة؛ وجه هادئ. لم ير بعد اللباس

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الجديد الذي ارتدته زوجته مع الحجاب والقبعة الأوروبية، تخجل المرأة، وتستحيي أن تُظهر نفسها بهذه الهيأة حتى لزوجها، وكأنها تُجر من بين أشواك، وهي الآن تتجرع طعم وخزاتها التي تقطّع جسدها العاري، لكنها مازالت تنتظر ألمًا أشد. بادرت فرنگيس بالسؤال:

«لماذا وضعت هذه المرأة حجابًا قرويًا تحت القبعة الأوروبية؟»

«ألا تذكرين؟ كان هناك أمر بأن تعتمر النساء قبعة أوروبية في الحفلات. لكن هذه المرأة لم تكن تستطيع أن تظهر شعرها الأبيض لغير المحارم، انظري جيدًا! هي من نوع مناديل الرأس القديمة التي ربطت بها رأسها، لتخفي بها على الأقل رقبتها وشعرها الأبيض.

مرت فرنگيس من أمام اللوحة أيضًا. هناك على الجدران نُصبت عدة رسوم لـآقا"رجب، وقد وضعت الإطار لها جميعا. رمقتني فرنگيس بنظرة فبادرتها بالكلام:

«سيدتي، هذا كان خادم الأستاذ».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«عجبًا!»

كانت كلمة "عجبا" على وشك أن تسلب مني زمام المبادرة، وكدت أقول: "سأبصق في وجه من يتظاهر ويمثل"، لكني تماسكت، وقلت لنفسي: اصبر، سيسقط هذا القناع عن وجهك أيضًا، وستنطقين في نهاية المطاف!

قلت بصوت عال:

«نعم سيدتي، لكل لوحة من هذه اللوحات قصة. كل واحدة منها تروي شيئًا من أفكار الأستاذ وإحساساته ومراحل حياته. من المؤسف أنه ليس لديك وقت غير اليوم، ولا تستطيعين المجيء مرة أخرى لزيارة هذا المعرض، وإلا كنت مستعدًا لأقدم لك بعض الشروح بكل فرح وسرور».

«كنت سأمتنّ كثيرًا. نعم، كما تفضلت، أنا في طهران هذا اليوم فقط، وغدًا سأغادر. قرأت في الصحف مرات عدة شروحات لأعمال الأستاذ، لكن لم تتح لي فرصة مشاهدتها».

ها هي بدأت بالثرثرة من جديد، وإذا لم أوقفها فستصول وتجول في الساحة وحدها، وتذهب بعيدًا. قاطعتها قائلًا:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«ألم تكوني قد رأيت أيًا من أعمال الأستاذ قبل اليوم؟»

كان سؤالي هذا مفاجئًا لها، وبخاصة أنها سقطت في مستنقع الثرثرة. لم يكن أمامها وقت للتفكير. تأملت لبعض الوقت، لكن هذه المرأة تتمتع بقدرة عجيبة، وتستطيع أن تُظهر نفسها في الوضع الذي تريد، وتغيّر شكلها، إنما مجرد لحظة السكوت تلك، والتقطيب الذي رسمته على جبينها، وتضييق عينيها وتصغيرهما، أفهمني أن باطنها ليس بتلك الصورة من الهدوء التي تتظاهر به، لكن لا شيء يمكن أن يستنبط من كلماتها المنسابة والابتسامة التي تعلو وجهها. أجابتني:

«بلى، لقد جئت يومًا إلى هنا قبل بضع سنين، لكني شاهدت اللوحات على عجالة ودون تأمل. أظن أنه كان هناك لوحات أخرى لا توجد الآن».

«كأنك تتذكرين وجه بوّاب المدرسة، لأنك حين أتيت انتبهت إلى أن بوّابنا قد تم تغييره. هذه اللوحة التي تشاهدينها هي صورة آقا رجب خادم الأستاذ، الذي أصبح فيما بعد بوّاب المدرسة. تلك المرة التي جئت فيها إلى هنا، كان آقا رجب على قيد الحياة. والشخص الوحيد الذي له معرفة تامة

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

بالأستاذ كان هو، ولم يعد الآن حيًا».

تأنيت لبضع ثوان، ثم قلت في هدوء:

«وامرأة ظلت مجهولة....»

كان الأوان قد حان لأطلق آخر سهم من كنانتي. وقفت صلبًا صامدًا مستعدًا للهجوم. كنت أحملق فيها وأجتهد في أن أحس بأدق ارتعاشات روحها. قطّبت المرأة حاجبيها، وفتحت شفتيها قليلًا. كانت تريد أن تصطنع الضحك، تجمدت الابتسامة على شفتيها. لم تستطع حينها أن تحتقرني وتتلاعب بي. لكنها لم تزل تتحكم في لسانها. قالت:

«عجبًا، يا لها من قصة جميلة! ولا أحد يعرف هذه المرأة؟»

«لا أحد غيري أنا يعرف هذه المرأة».

رفعت يديّ عن المدفئة وفركتهما ببعضهما، ثم توجهت صوب فرنگيس ببطء، وسمّرت عينيّ في عينيها. كان قد تغيّر لون وجهي. هذه المرة كانت عيناي أنا اللتين سحرتاها.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

استجمعت المرأة المجهولة قواها الخائرة من جديد. ضحكت ضحكًا مجلجلًا، لكن صوت ضحكها هذه المرة لم يكن له صدى. كانت تتحاشى، فزعت مني، أرادت أن تبتعد عني، لكن قدميّ كانتا أسرع. حاولت بكل قوة أن تحافظ على القناع الذي غطت به وجهها، في الوقت الذي بات فيه تعجبها واضحًا.

«ماذا تقول؟ أنت وحدك من تعرف هذه المرأة؟ هل قابلتها؟»

تقدمتُ نحوها خطوة أخرى، لم يعد يفصلنا عن بعض سوى أقل من متر. كانت بدأت تضعف، بهدوء تام ولباقة قلت لها وأنا أركّز على كل كلمة: نعم، لقد قابلتها.

كدت أن أقول: «أنا أقابلها الآن»، لكنني رأيت المرأة مازالت مصرّة وما زالت تظهر إصرارها. أشاحت بوجهها عني، ووجهت نظرها ناحية اللوحات، واستعادت نظم الكلام. أرادت أن تغير الموضوع. السؤال الذي وجَّهته لي يبين أنها فقدت توازنها، وكانت تريد أن تعرف من أفشى سرها. سألت:

«إذًا.. خادمه من دلّك على المرأة؟»

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«لم يدلني أحد عليها، أنا عرفتها بنفسي».

«منذ متى توفي خادمه؟»

«مات قبل ثلاث سنوات، كانت ممتلكات الأستاذ بيده، وما تبقى أوقفه على أطفال آقا رجب. أحيانًا يأتون إلى هنا».

«هل هذه اللوحات تعود لهم؟»

«لا، هذه اشترتها الدولة. لم يتبق أي شيء، وربما تنتهي كل هذه اللوحات في غضون بضع سنوات مقبلة. بعضها الآن عبارة عن نسخ. يأتي تلامذة الأستاذ ويأخذون اللوحات بذريعة أنهم يريدون رسم مثيلاتها. يبيعون الأصل ويرجعون النسخة، ولا أحد يستطيع تمييز الأصل من النسخة.

«يا للأسف».

حان الآن دوري لأقول: "عجبًا!". في النهاية هناك شيء في هذه الدنيا يبعث على تأسف هذه المرأة المجهولة.

ألقيت نظرة على الساعة. أردت أن أوهم المرأة أنني في

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

عجلة من أمري، وأريد أن أتخلّص منها بسرعة وأذهب لأباشر أعمالي.

سألت:

«سيدي الوكيل، هل أنت على عجلة من أمرك؟»

أصاب سهمي هدفه وتحقق مرادي. لقد انتابها القلق. أفسحْتُ لها المجال قليلًا.

وأخيرًا أدركتُ أن رأس الخيط بيدي أنا. لا تتصور أنني في قيدها ويمكنها أن تتعامل معي كما تتعامل مع الآخرين. قلت لها:

«كلا، سيدتي، لست مستعجلًا، لكن، حسن، مهما نكن فلدينا معيشتنا. ويجب أن نباشر أعمالنا أيضًا».

«عذرًا! لأنني أخّرتك كثيرًا».

«لا، ليس مهمًا، شاهدي».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

مرة أخرى، انتبهت إلى اللوحات. نصف القاعة لم تره بعد. توقفت قبالة لوحة "البيوت الريفية" وتمعنت فيها أكثر من دقيقتين.

عادت فجأة وحدقت من جديد إلى إحدى صور آقا رجب المرسومة بقلم الرصاص. لم أستوعب هذه الطريقة في مشاهدة اللوحات التشكيلية. ماذا كان قصدها وراء التريّث أمام بعض اللوحات!

أكانت، حقًا، تدرك عمق ما كان يحكيه الأستاذ، أم أنها كانت تريد التظاهر بالخبرة والفهم؟ ربما كانت تعرف هذه اللوحات، وكانت تستعرض ذكرياتها الماضية في مخيلتها.

كانت لوحة "البيوت الريفية" حتى ما بعد أحداث شهر سبتمبر مخبأة في المخزن. ولم يطّلع أصدقاء الأستاذ وأكثر المقربين منه. في شهر سبتمبر قبل ثلاث سنوات، أخرجتها ووضعتها في إطار وعلقتها. يبدو في هذه اللوحة بكل وضوح سخط الأستاذ ومقته على كل ما حدث في العهد الديكتاتوري.

رسم الأستاذ أحد المنازل التي كان يبنيها بجانب طريق

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

"مازندران"، المالك الجديد لتلك المحافظة بأموال الشعب و"لمصلحة الرعايا". في الجزء الخلفي من اللوحة يتراءى شبح منزل ريفي، وقد بدا لونه خافتًا تحت ضوء القمر. منزلٌ حديث البناء ومنظم. وفي الآن نفسه، يبدو في النور كقطعة ظلام من ليل مشؤوم ومرعب. وفوق قمة الجبل المكسوة بالغابة، يُرى ضياء خفيف، يحيل على الطبيعة الخلابة لـ"مازندران". مزارع الأرز في عتمة الليل تبدو مشرقة ومنعشة. في الجزء الأمامي، ثمة شيخ قروي مع ابنه الشاب وقد مدّا أرجلهما التي بدت سوداء داكنة كالفحم فوق شعلة نار. كانت قسمات وجه العجوز الكادحة تلمع بسبب البهجة التي أصبغها عليه دفء النار. لكن نظرات ابن المزارع المرعبة متجهة صوب الناحية الأخرى من اللوحة. هناك حيث تسحب بالقوة امرأةٌ عجوز بحبل في يدها بقرةً نحيلة ورَمِقَة، توشك أن تهلك من الهزال وبرد أول الربيع. وقرب النار المشتعلة كلب مستلقٍ على الأرض، وقد رفع رأسه قليلًا كأنه فطن إلى الحادث المفجع الذي على وشك الوقوع.

تأملت فرنگيس في اللوحة لبضع دقائق، ثم ابتعدت قليلًا لتشاهدها بشكل أفضل من بعيد. رجعت القهقرى واقتربت من المدفئة في وسط القاعة. قلت لها:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«انتبهي سيدتي لئلا تصطدمي بالمدفئة. هل فهمت ماذا يحكي الأستاذ في اللوحة؟»

«أنت قل».

كانت اللباقة قد خانت لسانها، واضحٌ أنني أرعبتها.

«كنت أود أن تقولي أنت ماذا فهمت».

«لم أفهم الشيء الكثير».

«أتحبين أن أحكي لك؟»

«أرجوك».

«هذه منازل ريفية، قيل للرعايا إن البيت يجب أن يكون على الدوام نظيفًا وأنيقًا. على الخصوص في أول فصل الربيع حين كان يذهب جلالة الملك إلى "مازندران". كان موظفو الأملاك والعقار يزورون كل يوم المنازل مخافة أن تتسخ. ذلك النتوء الذي تشاهدينه في ركن اللوحة هو حطام كوخهم السابق. كانوا قد بنوا من ذلك المكان حظيرة

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

لأبقارهم وطيورهم، ولكنهم من فرط خوفهم من تلويث المنازل الجديدة كانوا يقيمون بأنفسهم فيها خلال فصل الشتاء. والآن، هم في انتظار قدوم الشاه في أية لحظة. جاء الموظفون وحطموا الأكواخ حتى لا يقيموا فيها مرة أخرى. لا حل أمامهم، سوى العيش في هذه البيوت الحديثة البناء، لكن لا توجد حظائر لحيواناتهم التي تنفُق من شدة البرد. كل ركن في هذه اللوحة يروي لك قصة. في الناحية اليسرى من الجزء الأمامي للوحة، يسترعي انتباهك منزل آخر، تشاهدين في نافذة هذا المنزل مغلاة برونزية واثنين أو ثلاثة مصابيح زجاجية. لاحظي كيف رسمها الأستاذ بارزة ومنيرة، أي أن القرويين ينعمون بالعيش الرغيد. كان نُظّار الأراضي يقرضون المصابيح لهم في أول فصل الربيع حتى يراها الشاه عند عبوره، وحين يحين وقت دفع أجرة القرويين، كان ينقص منها أجر الأثاث العهدة. لهذا السبب لم يبق في البقرة أي رمق. ابن المزارع مدرك للمصيبة التي تحل به، وينظر صوب الناحية الأخرى. بداية الربيع هي وقت العمل والري. يتعين على الفلاحين العمل بأقدام حافية في مزارع الأرز. في البيت لا يملكون ما يستدفئون به. ألقي نظرة على هذا الكلب الوفي! هو الآخر ينظر إلى المرأة الريفية، التي قد تكون والدة هذا الشاب. ربما يكون هذا الكلب أول من فطن إلى المصيبة وأخبر صاحبه».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«سيدي الوكيل، أهذه اللوحة أصلية أم نسخة؟»

«هذه اللوحة أصلية».

«هل بإمكانك تمييز الأصل عن النسخة؟»

«إلى حد ما».

«إذن، كيف قلت إن أحدًا لا يعرف؟»

«أنا أعرف. ليس الأمر بيدي دائمًا».

«إذن، هو بيد من؟»

«بيد مدير المدرسة، بيد الوزير الحالي، بيد حضرة المدير العام».

«لو أراد أحد أن يحصل على إحدى هذه اللوحات الأصلية إلى من عليه أن يتوجه؟»

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

دبت فيَّ الحياة من جديد. بدأنا نقترب من بعض. كانت حالة التصنع تلك قد بدأت تتلاشى. أحست فرنگيس بأنني أستطيع مساعدتها. كانت الخطة التي رسمتها متسرعًا بدأت بالتحقق.

«الأمر يتعلق بمن يكون هذا الأحد، سيدتي».

«ولو كنت أنا؟»

«أنت موجودة فعلًا، أليس كذلك؟»

«أنا؟ أنا المرأة التي لن تبقى في طهران أكثر من بضعة أيام، ولا أحد لي في هذه المدينة. أبي وأمي كلاهما يعيشان خارج إيران، وإذا ذهبت فربما لن تراني أبدًا».

«أية لوحة تريدين؟»

«اللوحة التي أريدها لا توجد في هذه القاعة».

«أية لوحة؟»

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«قل لي أولًا هل بإمكانك تحقيق رغبتي، حتى أخبرك أية لوحة أريد».

«يتوقف الأمر على مدى قدرتك على رد جميلي».

«لو أعطيتني لوحة "عيناها" التي يجب أن تكون هناك، وهي غير موجودة الآن، أعطيك خمسة آلاف تومان».

مع أني كنت أعددتُ نفسي بمهارة وذكاء، إلا أنني استُغفلت مرة أخرى. لم أكن أتصور أن تقترح عليّ هذه المرأة السرقةَ بكل هذه الجرأة. ترددتُ للحظات. كانت هذه اللحظات بالنسبة لي بمثابة زمن لا نهاية له. سكوتي أخاف المرأة.

«أنا أعلم أنك لا تريد هذا المال لنفسك. أعلم أنه يجب أن تعطيه للوزير والمدير العام».

لماذا كانت تجبرني على السرقة؟ ألأنها فقط اعتقدت أن هذا المكان مرتع للسرقة ولكل من هبّ ودبّ، وأنا شريك في هذه الجريمة، أم أنها خشيت لو أنها عادت مرة أخرى إلى هذا المتحف لن تجد أثرًا لهذه اللوحات، أم أن حبها للوحة "عيناها" أعطاها الجرأة لتقترح عليّ السرقة، وحين فهمت

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أنه يمكن أن تحتفظ بتلك اللوحة للأبد، قررتْ أن تسرق رائعة الأستاذ وتأخذها إلى البيت؟ يا لها من جرأة! كيف ومن أين اكتسبت هذه الوقاحة حتى تشتري شرفي بخمسة آلاف تومان فقط؟ خمسة آلاف تومان فقط!؟ منذ عشر سنوات وأنا جالس على هذه المنضدة في هذه المدرسة الخربة، ورغم وجود لصوص خبثاء جاؤوا إلى هنا بصفة مفتش خاص للمالية أو بصفة مدير أو وزير، لكنني لم أسمح بخروج ولو صفحة واحدة بخط الأستاذ من المتحف. والآن، هذه المرأة التي ليس معلومًا من أين جاءت، ولا من أين لها ذاك المعطف الأنيق الذي ترتديه وتلك السيارة الفخمة التي تستقلها، جاءت لتشتري شرفي بخمسة آلاف تومان. آه، كم تمنيت لو كنتُ طردتُ هذه المرأة الفاجرة خارج المدرسة. كم تمنيت لو قلت لها: سيدتي، أعطني قبلة، واللوحة لك. لا، هذه المرأة العاهرة لا تفهم قصدي. تمنيت لو كنت قلت لها: سيدتي، اقضي ليلة حتى الصباح في أحضاني واللوحة لك.

مررتُ بالقرب من المدفئة وذهبت إلى ركن القاعة، قبالتها بالضبط، بجانب الجدار المقابل، وفي أبعد نقطة ممكنة بين الجدران الأربعة للقاعة. ذهبت وجلست هنالك على طاولة صغيرة كانت مخصصة لدفتر ملاحظات الزوار. وضعت رجلا على رجل، ووضعت يدي تحت ذقني، وطفقت أحملق فيها،

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

وقد علا وجهي الشحوب.

«استجمعتُ كامل قواي المعنوية واتخذتُ قراري».

«سيدتي، خمسة آلاف تومان فقط؟»

«أنت وافق على طلبي، وأنا مستعدة لأعطيك ما تريد».

«ستعطينني كل ما أريد؟»

لمعت عيناها. هل غضبَت؟ لست أدري. كنت أعرف كل خلجات روح هذه المرأة واحدة واحدة. ليس لها معي أكثر من ساعة واحدة، لكني كنت على معرفة بهذه الشفاه والأسنان والخد والجبين والذقن مثلما أعرف أجزاء وجهي. كنت قد تفحصتها لساعات متواليات، ورأيتها لسنوات، مرات عديدة في اليوم. وحدهما العينان اللتان كانتا بالنسبة لي غامضتين، لكني لم أكن أتصور هذه النظرة الغاضبة. هذه النظرة لا تشبه تلك التي أذابت قلبي قبل نصف ساعة. كانت هذه نظرة حيوان جائع. ربما كان هدفها إهانتي؟ لكن هذه الحالة في عينيها لم تدم أكثر من ثانية واحدة. لم تدرك في الوهلة الأولى معنى الجملة كما كنت أنا قد قصدتها، لكن فيما

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

بعد وبلمح البصر قبلت المعنى الثاني، تقدمت ناحيتي وخاطبتني بأدب ولطف:

«سأعطيك أي مبلغ تريده».

لكني أصررت وقلت مجددًا:

«ستعطينني كل ما أريد؟»

قلتها هذه المرة بنبرة أخرى ليس فيها وقاحة. كنت أريد أن آخذ منها وعدًا بأن تعطيني ما أريد أنا. أخفتُها، لكنني خفت أيضًا. جاءت بخطىً مسرعة ووقفت قبالتي. نظرتْ إليَّ نظرة تستشيط غضبًا. كانت تريد أن تنفذ بعينيها إلى أعماق روحي. خلت أنها تريد ضربي.

انتصبتُ واقفًا وحملقتُ فيها. هذه المرة، كانت حالة عينيها تشبه تلك الحالة الغامضة وبذات المغزى الذي أثبته الأستاذ في اللوحة. الآن فهمت لماذا تتخذ العينان في لوحة الأستاذ معاني مختلفة. لماذا تُبكي المرء أحيانًا ولماذا تجعله يضيق ذرعًا بكل شيء أحيانًا أخرى. تقدّمتْ خطوة أخرى، وقالت:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«نعم، أعطيك كل ما تريد، شرط ألا تكون وقحًا».

«قبلث. أعطيني عنوان بيتك، سأحضرها هذه الليلة إلى منزلك».

«لماذا لا تريد أن تريها لي الآن؟»

«يجب أن يتم الاتفاق».

«لماذا لا تريد إنجاز الاتفاق الآن؟ أرني اللوحة هنا!»

«ينبغي ألا يكون كل شيء موافقًا لهواك. اسمحي لمرة واحدة في الحياة أن تواجهي رجلًا يكون أكثر قوة منك. لا تعتقدي أنك تستطيعين شراء شرفي وسمعتي بخمسة آلاف تومان. أنا أعدك أن أحضر اللوحة الليلة إلى بيتك. ولن آخذ منك فلسًا واحدًا. سوف أقول لك طلبي هناك».

«ائذن لي! أنا ذاهبة. أنا في انتظارك. تعال في الوقت الذي تشاء».

كانت هذه الجملة الوحيدة التي نطقت بها بصدق ومن دون

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

تصنع. لقد غُلبت. غلبتها، منذ أن قابلتني، كانت هذه المرة الوحيدة التي أطلعتني على نفسها. كنت منتشيًا بالنصر.

انتهت اللباقة وسقط القناع عن وجهها، وكشفت عن وجهها القبيح... لا، لم يكن لها وجه قبيح...

أخذت عنوان بيتها. كان منزلها يقع في أحد الشوارع المتفرعة عن الشارع الخلفي لسفارة إنجلترا.

رافقتُها حتى باب ساحة المدرسة، فتحت لها باب سيارتها، وحينما تطاير غبار الشارع في الهواء عدت إلى المدرسة.

****

لم يبق أي مجال للشك، لم يكن أمام المرأة من حيلة سوى أن تظهر لي نفسها وروحها عارية.

ذهبت إلى المخزن وأخرجت اللوحة. أخذُتها إلى القاعة ووقفت قبالتها لمدة. بات للوحة معنى واضح عندي. كانت مفتاح سر حياة الأستاذ "ماكان". لم يعد لديّ رهبة من هاتين العينين. وفكرت ألا أذهب إلى بيتها أبدًا، لكني بتّ

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

على يقين أنني إذا لم أذهب إليها فستأتي بنفسها. فهمت أخيرًا أنّ هناك أحدًا في هذه الدنيا اكتشف أسرارها. غيّرت رأيي مجددًا. أخشى أن تفلت من نفوذي. وأخشى بعد نوم ليلة هادئة أن تستعيد إرادتها من جديد. اتخذت القرار: أخطت بعض قطع الكتان ببعض، ولففت اللوحة فيها، وجمعت الورق من المخزن، ثم لففت اللوحة في الورق مرة ثانية. أحكمت إغلاق اللفافة بخيوط قطع السكر، ورفعت اللوحة بكلتا يدي ووضعتها فوق رأسي وتوجهت صوب المكتب.

عدت إلى قاعة المتحف، ألقيت نظرة إلى مكان اللوحة الفارغ، أطفأت المصباح، أغلقت الباب وجئت إلى المكتب.

أمرت الحارس أن يحضر عربة. لا توجد طريقة أخرى لحمل اللوحة. لم أكن أستطيع وضعها في السيارة.

كان أخذ اللوحة من المدرسة أمرًا عاديًا. الكثير من التلاميذ والمعلمين يأخذون أعمالهم إلى المنزل، ولا أحد يستطيع أن يظن بي سوءًا. ارتعدت فرائصي من شدة القلق، كان الجو باردًا، والثلوج والأمطار التي هطلت خلال الأيام الأخيرة بدأت تستحيل جليدًا. كنت أرتجف، لكن ليس من شدة البرد،

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

كلا، كنت كما لو أنني أرتكب جريمة. أفقد أفضل أثر لأكبر أستاذ في إيران. هل الأمر يستحق ذلك؟ لم أكن أعرف ماذا أنا فاعل. إلى هنا جرت خطتي حسب ما أشتهي، لكني لم أخطط لما بعد ذلك. ماذا أفعل بهذه اللوحة؟ هل فعلًا قررت أن أضع هذه اللوحة في منزل هذه المرأة المجهولة التي لم تكن هويتها معروفة لديّ؟ ماذا يكون جوابي غدًا؟ ماذا أقول لنفسي؟ ماذا يكون جوابي لأكلة الجيفة هؤلاء، الذين لا يقدّرون فن الأستاذ ولو قيد أنملة؟ ماذا سيقولون لي؟

شيئًا فشيئًا أدركت أن هذه المرأة قد سحرتني أنا أيضًا. من خضع، حقًا، لسلطة الآخر أنا أم هي؟ أحقيقةً أن عشق الأستاذ وحب فضله وشرفه وإبراز أهمية حياته الأليمة والمليئة بالصراع أجبرني، دون إدراك أو تعقل، على التفريط في شرفي؟ أم أن هذه الفاجرة اختطفتني، أنا الآخر، من قفص حياتي الضيق؟

كانت عقارب الساعة تشير إلى الثامنة بينما أقف أنا أمام بوابة المدرسة، متخوفًا من النظر إلى وجه الحارس الذي أنتظره مع العربة. يُسمع من بعيد صوت سنابك الخيول التي تجر العربة على الجليد الهش. ولّيت مدبرًا إلى الجهة التي يأتي منها صوت حوافر الخيول وهي تحتك بالثلج والجليد

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

لكي لا يرى الحارس وجهي، لم يبقِ القمر بوجهه السافر سرًّا. كان الأفق المضيء والأرض والمنازل غارقة في بياض أغبش، والسيارات تطلق العنان لأبواقها دون حياء أو خجل، وتعيّرني بفورة الحياة وغليانها.

لم يتبق، بالنسبة لي، طريق للعودة، كان الشيطان قد جرى في عروقي.

حينما جاء الحارس، ودعته وقلت له:

«تأخر في السهر قليلا هذه الليلة، ربما أعيد اللوحة».

في شارع "إسلامبول"، كانت السماء تبدو أكثر ظلمة تحت ضوء المصابيح الخافت. والسحب البيضاء والدكناء متفرقة فيها، فيما لسعة البرد كانت تلفح أنفي وشحمة أذني.

سحبت قبعتي إلى ما فوق عينيّ حتى لا يتعرّف عليّ أحد. كانت الساعة تشير إلى الثامنة مساء وحركة الناس والمارة في أوجها. ما أشد لامبالاة الناس وهم يتحركون! ما أسعدهم!

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

كانت السيارات تمر بانسيابية من اليمين واليسار وبوق العربة شاذّ في هذه البيئة. خلف سفارة إنجلترا كانت النسوة يهمن على وجوههن بحثًا عن الزبائن، في حين كان المتأنقون يبحثون عن الطُّعم. لما رمق أحدهم عربتي توقف عندها، وألقى إليّ نظرة، ثم سلّم علي وسخر مني.

كنت أود أن يسرع صاحب العربة. كنت أريد أن أجد، بسرعة في منزل المرأة المجهولة، ذلك الهدوء الذي كنت بحاجة إليه. قلت لصاحب العربة:

«سر بسرعة، إنهم سكارى، ويتسببون لنا في الأذى».

كان صاحب العربة العجوز أكثر جرأة مني:

«كلاب، من يكونون؟! هل يحسبون أن المدينة فوضى ولا نظام فيها؟ الأرض أصبحت جليدًا، إذا أسرعت فستتزحلق الخيول».

لم أكن أصغي لكلام صاحب العربة. كان التردد ينخر داخلي، كيف لي أن أطمئن إلى انتصاري الساحق؟

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ألا تكون هذه المرأة كتلك النسوة المغامرات، اللائي ظهرن على الساحة بعد شهر سبتمبر؟ ربما تريد أن توقع بي وتأخذ اللوحة مني لتشبع توقها للشهرة...

أخرجت قطعةُ الورق التي كتبت فيها عنوان المرأة المجهولة. كانت قد تكومت. قرأتها تحت ضوء مصباح عند نهاية تقاطع الطرق. وقع نظري على السيارة ذات اللون الأحمر الداكن، التي كانت المرأة المجهولة قد استقلتها عند مجيئها إلى المدرسة.

طرقت الباب. فتحت الباب امرأة تربط فوق خصرها مريلة بيضاء وحول رأسها منديل صغير. قلت لها:

«قولي للسيدة إني قد أحضرت اللوحة».

لم تتأخر المرأة، وقالت:

«تفضل إلى الداخل».

أعطيت صاحب العربة أجره. أسندت أعلى اللوحة على جبيني وكتفي، فيما أمسكت أسفلها بكلتا يدي، ودخلت إلى

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

البهو. أرادت الفتاة أن تأخذها عني، فقلت:

«لا، هذا ليس عملك، قولي لي أين آخذها؟»

«تفضل إلى الداخل! السيدة جالسة في غرفتها. ألا تريد نزع معطفك؟»

أدركت على الفور أني في بيت من بيوت الأعيان. كانت الصالة غاية في الروعة. تتوسط الغرفة طاولة دائرية منخفضة، وفوقها وضع وعاء من الكريستال المصقول، تخايلت في داخله بعض زهور القرنفل، وقد أضاءت الثريا المعلقة في السقف المزركش بألوان جميلة الصالة بأكملها. كما وُضعت مزهرية كبيرة في ركن.

أسندتُ اللوحة إلى جانب الطاولة المنخفضة. أخذت الفتاة معطفي وقبعتي. ألقيتُ نظرة إلى ما حولي؛ كل شيء يبدو لي جميلًا وظريفًا. أحسست أنني غريب في هذا الوسط. وجدت نفسي حقيرًا ومسكينًا. فزعتُ.

هل تريد هذه المرأة، أن تتغلب عليّ في عقر دارها وبيئتها. في المدرسة كنت أنا صاحب البيت والحاكم، أما هنا فكل

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

شيء كان ينظر إليّ نظرة احتقار. لم تستطع عيني التعود على مزهرية الكريستال والثريا والجدران المطلية بألوان بهية والسجاد ذي الرسومات الرائعة. أنا أعرف كل أثاث المدرسة ومطلع على تاريخ وجوده، عشت لسنوات هناك، لمست بيدي كل اللوحات هناك، لكني عاجز وقليل الحيلة هنا، في هذا البيت الفاخر والبهي. قالت الخادمة:

«تفضل سيدي!»

فتحت باب غرفة، كانت فرنگيس جالسة باسترخاء على مقعد، وقد ارتدت لباسًا أخضر اللون ملتصقًا ببدنها. كانت تبدو أكثر شبابا. وجهها الحسن أعاد لي نشاطي وأحيى كبريائي المُصادَرا ودون أن أعير المرأة المجهولة أي اهتمام قلت للخادمة:

«أنت أحضري اللوحة إلى الغرفة، لكن احذري أن تصطدم بالباب أو الجدار».

حينما همّت الخادمة برفع اللوحة قلت لها:

«لا، لا، ليس هكذا، أمسكيها من الوسط».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

كنت أتكلم بصوت مرتفع لألفت نظر فرنگيس إلي. تابعَت قراءة جريدة كانت بيدها لبضع ثوان. وعند سماع صوتي انتصبت واقفة، فاضطرت إلى المجيء حتى الباب لملاقاتي.

دخلتُ إلى الغرفة خلف الخادمة، والمعطف ملقى على يدي، كشخص اعتاد التردد على مثل هذه المنازل. أومأتُ برأسي للسيدة، وكنت أراقب بعيني أين ستضع الخادمة اللوحة. لكن اللوحة الكبيرة التي كانت معلقة على الجدار المقابل أثارت انتباهي؛ منظر منطقة "جماران" هذا الذي كان معلقًا على الحائط هو بالتأكيد، عمل الأستاذ، لأني كنت قد رأيت أكثر من تصميم له، وأنا منذ مدة طويلة، أبحث عن اللوحة نفسها. حينما رأيتها في غرفة المرأة المجهولة، ازددتُ يقينًا، فلم يعد من الممكن مع كل هذه القرائن أن يوجد شك في أن هذه المرأة لا تعرف الأستاذ.

بمجرد أن وضعت الخادمة اللوحة على الأرض، توجهت نحوها، وأخذتها من يدها، وقلت:

«جميل جدًا، أنا سأفتحها بنفسي».

كانت الخادمة تخرج من الغرفة حين أمرتها فرنگيس قائلة:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«سكينة! انتظري! ماذا تحب أن تشرب سيدي؟ أترغب في كأس من الكونياك؟»

كانت هذه النبرة المؤدبة واللطيفة، ولكنها مصطنعة، تصاحبها ابتسامة تشي بالسعادة والابتهاج.

إذا أرادت هذه المرأة أن تتعامل معي بهذه الطريقة مجددًا فسوف أفقد أعصابي. فهي تعرف جيدًا لأي غرض جئت إلى هنا، وتعلم أنها يجب أن تكون مطيعة لي، ولو لساعة واحدة، وتفصح عن الأسرار. ومع ذلك، فهي تريد أن تتحاور بنفس النبرة التي كانت تتحدث بها معي حينما جاءت إلى مكتبي.

التفتُّ ناحية الخادمة وقلت:

«شكرًا، لا أريد شيئًا».

علا وجه فرنگيس الاحمرار جراء ردّي الحاد والعنيف. لم أجرؤ على النظر إلى عينيها. كان واضحًا من لحن صوتها أنها اهتزّت. فسألت:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«إذن ائذن لها أن تأتي وتفتح اللوحة».

«لا، سيدتي، اتركي لي هذا الأمر، أرجوك دعي خادمتك تذهب».

أشارت برأسها إلى سكينة، فذهبت.

دون أن أنتظر أي مجاملات، ذهبت وجلست على المقعد الوثير المقابل لفرنگيس بالضبط.

تريثت فرنگيس قليلًا، ثم جاءت وجلست.

خيم الصمت لدقيقة أو دقيقتين. كان صوت مرور السيارات والعربات وحتى الراجلين مسموعًا. بعد ذلك نفد صبرها.

«ألا تريد أن تريني اللوحة؟»

«أنا أحضرت اللوحة لهذا الغرض، لأريك إياها. لكن في الأول يجب أن ننهي الاتفاق».

«قلت أنا مستعدة لأدفع لك أي مبلغ تطلبه».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
fb/groups/Sa7er.Elkotob/ انضموا لجروب ساحر الكتب
sa7eralkutub.com او زيارة موقعنا

«وأنا قلت لك أنني لست مستعدًا لأبيع شرفي رخيصًا هكذا. مسألة أخرى، لو أردت أن تتحدثي معي بنفس النبرة التي يبدو في نظري أنها مصطنعة وكاذبة، فسآخذ اللوحة على الفور وأذهب. أنا جئت إلى هنا لأتحدث معك بصدق وإخلاص سيدتي، اعذريني، ما زلت لا أعرف اسمك. أناديك السيدة فرنگيس. أنت وعدتني أن تعطيني أي شيء أريده.

«ماذا تريد؟»

«أنت يجب أن تعطيني ما لم تعطيه لأي شخص».

«بمعنى؟»

«إذا أردث التوضيح، سأضطر لقول مقدمة حتى تفهمي قصدي جيدًا: إذا كنت أطلب منك الصدق والإخلاص، فيجب أن أكون صادقًا ومخلصًا معك. لا تعتقدي أنني تعرّفت إليك هذه الليلة. منذ عشر سنوات وأنا أشاهد كل يوم هذه اللوحة، التي هي الآن في غرفتك. ولذلك، فأنا أعرفك منذ عشر سنوات.

توقفتُ للحظات، وانتظرت أن تقاطع كلامي، حتى أتحكم أنا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

فيها وأقول: اتفقنا على أن نتحدث بصدق. لم تنبس فرنگيس ببنت شفة. واضح أنها باتت طيعة في يدي. لم تنكر، طأطأت رأسها إلى أسفل. شبّكت أصابع يديها، وجلست مثل تمثال من دون حركة. كان الفستان الأخضر مواتيًا لها وضفائر شعرها الملقاة على كتفيها متموجة. وحده وجهها المدوّر كان باديًا. أسندت جسدها بهدوء متكئة على خلفية المقعد الوثير، وقد حدقت بعينيها إلى غطاء طاولة من الجوخ أسود اللون مزين بالورود. جهدتُ في أن ألقي نظرة خارقة إلى عينيها، لكنها لم تنظر إليّ. باتت مثل فرخ أسير بين يدي. قلت:

«ما اسمك سيدتي؟»

«لا تسأل. ليس لاسمي أي تأثير على غرضك. أنا ذلك الشخص الذي تبحث عنه».

«أعلم هذا، جميل جدًا، فليكن اسمك الحقيقي بالنسبة لي المرأة المجهولة، هل ترغبين في أن نتحاور معًا بصدق وإخلاص؟»

«ماذا تريد مني؟»

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

بدت نبرة صوتها مؤثرة، أضرمت النار في قلبي. خجلتُ لأني عاملتها بمثل هذه الغلطة. فرنگيس هي كسائر الناس الأنانيين، تثير شفقة الإنسان حين تتعرض للذل، فهؤلاء يستطيعون أن يبدوا كبارًا فقط عندما يكونون في أوج سيطرتهم، وحين تصيبهم صدمة واحدة يخرون أذلاء مساكين.

لم أدل بجواب، لكنها طرحت هذا السؤال:

«سيدي الوكيل، هل جئت إلى هنا كي تعذبني؟»

«لا، بل على العكس، جئت لأخلص نفسي وأخلصك من الكابوس الذي كان يؤرقنا. لكن غرضي الرئيس ليس هذا. أنت وآقا رجب كنتما الوحيدين اللذين تعرفان الأستاذ. توفي آقا رجب ولم يفصح عن شيء، ربما بسبب إرهابهم له. ربما لم يكن يفهم أو كان يتظاهر بعدم الفهم. لكنك تعرفينه، أنت تعرفين أسرارًا عن حياته، ونشرها للأجيال الحالية والقادمة ضروري. يمكنك أن تعتبريني مرائيًا أو نصّابًا، ولك الحق في ذلك، لأن اكتشاف لغز حياة الأستاذ، بالنسبة لي، فيه طابع من الأنانية أيضًا. أنا أوقفت حياتي، عن قصد أو غير قصد، على الأستاذ، ويجب أن أفكّ لغز حياته».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«أتريد أن تكتب عن حياة الأستاذ؟»

«ربما، إذا كان يصب في المنفعة العامة، وإذا كانت حياته مصدر إلهام للناس، ربما أكتب».

«إذن، لو قلت ما أعلمه، هل ستعلن عن ذلك في كتابك؟»

«أنا لن أكتب عن حياتك. إن تعرّف الناس إلى حياة الأستاذ فيه منفعة».

«أنت أردت أن تكون صادقًا ومخلصًا معي؟ هل كذبت عليّ حتى الآن؟

«نعم، كل ما قلته لك في قاعة المتحف عن بيع آثار الأستاذ "ماكان" كان محض أكاذيب. منذ وجودي في هذه المدرسة لم تخرج منها ولا قطعة ورق واحدة عليها لامسها قلم الأستاذ، لكن الأمر لن يبقى هكذا على الدوام. لا يتوقف الأمر عند عدم سرقة أعمال الأستاذ، بل إنني قمت، قدر الإمكان، بجمع العديد من اللوحات والرسوم التي باعها أو وهبها بنفسه لهذا وذاك في حياته. اشتريت، على الأقل، مائة أثر من

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

آثاره، لمصلحة الدولة، وأعدتها إلى المتحف. ومع ذلك، فأنا أحضرت، الليلة، هذه اللوحة إلى بيتك، ومستعد أن أتركها هنا وأنصرف. إذن، لا يمكنك أن ترضيني بالمال. عشر سنوات وأنا أنتظرك. أنت صاحبة هاتين العينين...»

صُعقت المرأة المجهولة ووضعت كلتا يديها على حافتي المقعد الوثير. عدّلت جسدها الطّيع والمرن، ثم قالت:

«لا، ليس كذلك. هذه ليستا عينيّ».

«لكنّ هذه الشفاه وهذا الفم والجبين والشعر والوجنتين، من المؤكد أنها لك».

«ربما».

«ربما، إذن فكيف هاتان العينان ليستا لك؟»

«سيدي الوكيل...».

أصبحت نبرة صوتها أكثر ليونة ورجاء. أشفق قلبي مرة ثانية. كنت قاسيًا جدًا...

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«سيدي الوكيل، لا يمكن الجواب بكلمة واحدة. لعل الحق معك. ربما يكون من الأفضل لي أن أحكي ما كابدته، ولو لمرة واحدة في الحياة، وأروي لك ما لم أفصح عنه لأحد -على حد تعبيرك-، وأتخلص من هذا الظل الذي يتبعني في كل مكان. ألا ترغب في شرب كأس من الكونياك؟»

أومأت برأسي.

«على أية حال، حوارنا الليلة سيطول كثيرًا. هل تسمح أن آمر بإعداد عشاء لك أيضًا» وسأطلب لنفسي كأسًا من الكونياك، أعصابي مشتتة. أنا مضطربة وخائفة منذ أن أتيت إليك في الساعة الرابعة والنصف إلى الآن. وليست هذه حالتي لليلة فقط. لقد مر شهر على قدومي إلى طهران، ومنذ أيام وأنا أشعر بقلق من جراء اعتزامي مشاهدة هذه اللوحات. كلما حلّت الذكرى السنوية لوفاته تنتابني هذه الحالة، فأذهب إلى المناطق النائية على وجه الخصوص، حيث لا تكون اللوحات في متناولي. لكن هذه السنة لم أتحمل...»

نهضت من مكانها، وكانت متجهة صوب الباب، فقلت لها:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«جميل جدًا، إلى أن تأمري بإعداد العشاء، أكون أنا قد فتحت اللوحة».

«لا، اصبر».

رجعت نحوي، ووضعت يدها على حافة الكرسي الذي كنت جالسًا عليه، وقالت:

«تريّث، فأنا لست مستعدة الآن».

فتحت الباب وخرجت، طفقت أتفرج على أثاث الغرفة. في أقصى الغرفة، كانت توجد منضدة صغيرة للكتابة، وقد رتبت فوقها عدة كتب وبعض الورق، يضيئها مصباح مثبت على عمود طويل، ذو زجاج أخضر اللون. على الجهة اليمنى، هناك مكتبة صغيرة مملوءة كتبًا باللغة الفرنسية، وثُرى على الطاولة صورة للأستاذ موضوعة في إطار خشبي منقوش.

ستائر الغرفة ذات لون أزرق داكن، وفوق خزانة ذات أبواب زجاجية غامقة صُفّت بعض التماثيل القديمة. وكان منظر "جماران" يزيد الغرفة بهاء. واكتملت تجهيزات الحجرة بكرسيين وثيرين آخرين وأريكة كبيرة.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

انتصبتُ واقفًا وذهبت باتجاه الجدار لأتفرج على لوحة الأستاذ. في هذه الأثناء، فتحت المرأة المجهولة الباب ودخلت خلفها الخادمة وهي تحمل صينية وكأسين. وضعت ما في يدها على الطاولة وانصرفت. أخرجت المرأة المجهولة من الخزانة زجاجة كونياك ووضعتها على الطاولة وجلست. احتست قعر كأس من الكونياك، ثم فكرت قليلًا وقالت:

«اسمح لي أولًا أن أحكي لك كيف تعرفت إليه، ثم بعد ذلك اسأل ما بدا لك».

«ليس لدي سؤال أوجهه لك. كنت أود أن تتحدثي عنه أكثر».

«لا أريد أن أحكي لك شيئًا عن حياتي. ليس في حياتي شيء جديد مختلف عن حياة سائر الناس. شيء آخر، ما علاقتك أنت بي وبمصير أمثالي؟ أما الأستاذ فقد كان أسمى بكثير من كل المحيطين به.

لا أتذكر بالتدقيق في أية سنة تعرفت إليه، لكن أذكر جيدًا أن عمري لم يكن يتجاوز تسع عشرة أو عشرين سنة. كنت فتاة جريئة، أنا نفسي أقول جريئة، لكن الفتيات في سني

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

وشاكلتي كنّ يعتبرن وقحات. كنت أستطيع أن أُعرِّف نفسي لشخص لم أره ولم أعرفه أبدًا، وأتحدث معه لساعات في مواضيع لا تعجبه أساسًا، وفي قضايا ليس لدي اطلاع عليها، ولأني كنت جميلة، لم تكن جسارتي تثير الاشمئزاز. كان الشباب يعجبون دائمًا بجرأتي هذه ويزيدونني حماسة. لم أكن في المدرسة بنتًا بلهاء، ولكن موهبتي تجلت بشكل يفوق ما هي عليه في الواقع. أنا الابنة الوحيدة لوالدي، وتربيت على الدلال، وأمي هي الزوجة الثانية لأبي، ولم يكن لها أدنى دخل في تسيير البيت. كانت جميع الأعمال تتم وفق رغبة أبي، وأمي تكتفي فقط بالتذمّر قبل أن تستسلم.

منذ طفولتي كنت أحب الرسم، أحيانًا أرسم مناظر طبيعية بالألوان المائية. كان أبي ميسور الحال، لذلك، رفلت في حياة مرفهة ومريحة ماديًا. لم أشعر أبدًا في حياتي بالفقر والحاجة. والدي، الذي ربّاني على الدلال، كان يعتقد أنني موهوبة للغاية. فكان يقول لي: أنت فنانة، وإذا عملت بجد، فسوف تصبحين يومًا أكبر فنانة تشكيلية في إيران. في أغلب الأوقات، حينما كان والدي يلتقي بأصدقائه، ولا ينشغل بلعب الورق أو بالحديث عن السياسة والأوضاع الجارية في البلاد، كان، إرضاء لأنانيته، يريهم أعمالي ويبالغ في مدحي وثنائي.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

لو لم أكن جميلة، ولو أنني أخذت الأمور بجدية، لربما أصبحت إنسانة مهمة. لكن لأني كنت سطحية ومزاجية، وكان والدي برغبته وإرادته يزيح عن طريقي كل الموانع، أحسست، منذ سن السادسة عشرة، أنني أستطيع أن أظهر من خلال وجهي وجرأتي أكثر من ظهوري من خلال استخدامي للفنون الأخرى التي كنت أتوفر عليها، أو التي أستطيع أن أكتسبها. ونتيجة لذلك، لم أكن آخذ أي أمر بجدية. كنت أختار دائمًا الطريق الأسهل.

في تلك الأيام، تحدث لي والدي عنه؛ عن الأستاذ "ماكان". حينها كان قد مضى على تخرجي في دار المعلمات سنتان، وقد ضقت ذرعًا بالفراغ. قال لي والدي إن "ماكان" تعلّم الرسم في الخارج، وقضى بعض الوقت في إيطاليا، وأهل الفن يكنون له الاحترام ويشترون لوحاته، ويلاقي شهرة وسمعة جيدة بين الرجال. ومن جملة ما قاله أنه يعطي دروسًا خصوصية. وطلب مني أن أذهب أنا أيضًا عنده وأتعلم الرسم. أمي المرأة المؤمنة الملتزمة كانت تعتبر الرسم حرامًا، ولم توافق على اقتراح أبي. وظل والداي مدة شهرين أو ثلاثة يتجادلان حول مصيري، وما الذي يجب أن أفعل. كانت أمي تريد تزويجي، لكن أبي الذي ذاق طعم الزواج،

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

رغب من أعماق قلبه بأن أختار أنا بنفسي الزوج الذي يوافق طبعي، وفي بعض الأحيان، كانت الأمور تؤدي إلى خلافات بينهما.

في يوم من الأيام أخذت أعمالي التشكيلية التي تبدو لي جميلة للغاية، ودون أن أخبر أحدًا، ذهبت إلى مرسمه.

لست أدري، أنا لم أستطع أبدًا أن أحلل نفسيتي. لم أستطع أبدًا، هذا لا يعني أنني لم أفكر، لا، بل لم أستطع أن أفهم الأسباب التي دفعتني إلى أن أرتكب أفعالًا ذميمة لا تليق بفتاة من طبقتي، لكني لم أنتبه أبدًا إلى قبحها. لست أعلم ما الذي دفعني ولأي سبب، بحيث إنني منذ المرة الأولى التي رأيته في مرسمه، أدركت أنني أقابل شخصًا يختلف عن أولئك الذين تعاملت معهم. تصرّف معي بطريقة عجيبة، في الوقت الذي كان فيه الآخرون يتأثرون بضحكي وانشراحي وبشاشتي، كان هو غير آبه لضحكاتي، تلك الضحكات التي كانت نابضة من صميم الفؤاد، ومن عيني وفمي وخدي وشفتيّ، وكانت تدل على شبابي وحيويتي، بل إنني أحسست أنه لا يعيرني أي اهتمام.

لم يكن في الأساس، إنسانًا مغرورًا وأنانيًا، لكن كان يلزمه

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الكثير من الوقت حتى يستأنس بأحد. كانت هالة باردة تغطي وجهه على الدوام، ولا يُطلِع أحدًا على ما في داخله إلا بعد طول مدة. وعلى عكس الآخرين، استقبلني ببرود كبير، لكن بروده وجموده لم يكن بالشيء الذي يقلقني. كأني لست فاتنة بالنسبة إليه. لم يسيء التعامل معي ولم يهنِّي. ليته فعل، على الأقل، كنت سأزيل ذلك القناع الكاذب الذي أضعه على وجهي في مثل هذه الحالات، وكان هو سيضطر إلى أن يكشف عن باطنه الغامض. لكن تصرفه هذا، العاقل والمهذب وغير المبالي، آذاني وأوجعني. حينما أردت أن أريه ما كنت قد رسمت، ذهب وجلس على منضدة صغيرة، كما لو أراد أن يضفي بعض البروتوكول على مشاهدة أعمالي، حتى لا يكون لإبداء رأيه طابع شخصي أو حميمي. أمسك بيده اليسرى بعض أوراق الرسم وكان يأخذ باليمنى الورقة التي يشاهدها ويضعها تحت الأخرى، ويشاهد الورقة الثانية. كل هذه المشاهدة ربما استغرقت دقيقة واحدة. كنت أتوقع منه أن يشجعني، لم أكن أنتظر أن يقول لي، مثل الآخرين، إنني أنجزت رائعة من الروائع، لكن أريد أن يقول على الأقل: «جيد، ليس سيئًا، أين تعلمت؟ أنت مبتدئة ويجب أن تتعلمي». عوضًا عن ذلك، ناولني الأوراق ببرود، وقال: «ستتحسنين إن شاء الله». أحد أعمالي هاته كانت عبارة عن صورة للخادمة التي تعمل في بيتنا. كبرت هذه البنت في

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

بيتنا، وتزوجت في سن السادسة عشرة، وبعد عام واحد فقط، تركها زوجها مع طفل واختفى. وقد رسمت هذه المرأة مع طفلها بالألوان المائية.

تصورت أنني عكست في الصورة تلك المعاناة التي تحمّلتها هذه المرأة، في طريقة حملها الطفل، وفي حالة عينيها فمها المفتوح. كان الآخرون، حينما يرون هذه الرسومات، يغدقون عليّ بالإطراء والثناء، في الوقت الذي لم يكتف فقط بعدم قول كلمة تشجيع واحدة، بل إنه لم يهتم ولم يدقق النظر فيها أكثر من الرسومات الأخرى التي كانت في أغلبها مناظر طبيعية.

كم كان هذا الرجل مقتصدًا في الكلام بشكل عجيب، يعطي قيمة لكل كلمة يريد النطق بها. حين أعاد إلي أوراقي، جلست لهنيهة، ربما متأملة أن يعطيني بعض الإرشادات، لكنه لم يقل شيئًا. كأنه كان يريد إفهامي: حسنٌ، لا تضيّعي وقتي إذا لم يكن لديك طلب آخر.

لم أر في عمري مثل هذا الرجل أبدًا. على الأقل، كان بإمكانه أن يقول لو تريدين تعلم الرسم، تعالي واشتغلي لمدة حتى أرى ما يحدث بعد ذلك. فلقد أخبرته حينما دخلت إلى

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

مرسمه بأنني جئت لأتعلم الرسم. سمعت أنه يعطي دروسًا خصوصية. لم تكن لهذا الرجل رغبة في التدريس، في الأساس. هذه المدرسة، التي أنت اليوم تشرف عليها، تأسست فيما بعد بفضل تعليم التلاميذ في الدروس الخصوصية. لا أدري لماذا كرهني هذا الرجل، وإلا فليس هناك سبب في التشدد معي.

كنت أنتظر أن يريني أعماله، أن يسرف معي في الحديث، كما الآخرون، أن يتجاوب على ضحكاتي، وحتى أن يصرّ على أن أستشيره ثانية، أو على الأقل، يقول كلمة واحدة، أن يقول: رسمك هذا مشكلته كذا، وليس العكس. كلما كنت أطيل الجلوس، كان يتعامل معي ببرود أكثر. وفي النهاية تجمدت الضحكة في شفتيّ.

تعامله الأول كان في نظري مهينًا. كأني به يريد إهانتي غير قاصد. ما الذي سبب له النفور مني؟

حينما عرّفته بنفسي، وذكرت له اسم والدي، سألني:

«عجبًا، أنت بنت "أمير هزار كوهي المازندراني"، وترسمين أيضًا!!».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

نبرته الساخرة هاته أغضبتني.

لا أعرف كيف يفكّر. فيما بعد استعدت هذه الحادثة في ذهني آلاف المرات. لقد اعتقد، بالتأكيد، أن هذه الفتاة اللعوب جاءت لتتدلل وتتبختر، وتذهب، فيما بعد، لتشيع في كل مكان أنها تعرّفت إلى فلان، الرسام الشهير والمحترم من قبل الرجال المثقفين. كلا، لم يمنحني أية فرصة.

قمت فسلّمت، توقفت لثانية، لكنه لم يُظهر رغبته بالمصافحة. نهض من الكرسي قليلا ولم يستو واقفًا، ثم انصرفتُ.

داهمني غضب شديد. لم يكن قد تعامل معي أي رجل حتى ذلك اليوم بتلك الطريقة. لا أدري لماذا. على كل، لم أفهم يومئذ، أضمرت في نفسي عداوة لهذا الرجل الجامد عديم التربية، لقد أثار غضبي.

أرجوك أن تنتبه! كان لسلوك هذا الرجل تأثير في حياتي، ولو أنه تعامل معي بحنان أكثر لربما كنت تمكنت من تنمية ميولي الفنية.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

حين خرجت من بيته، كدت أطلق العنان لدموعي، وكانت أرنبة أنفي ترتعش. كنت مشمئزة من كل شيء وأفكر طوال الوقت في سبب معاملته هذه! لم أتوصل إلى نتيجة.

مهما أردت أن أشرح لك عواطفي خلال ذلك اليوم، وألا أقحم تجاربي التالية فيها، فلن أستطيع. ومع ذلك، ما أدركه اليوم يختلط تقريبًا بتلك العواطف. إذ لا يمكن فصل مراحل الحياة عن بعضها. لو أنني ما كنت رأيت الأستاذ ثانية ولم يبق لذكرياته التي نُقشت في صفيحة قلبي أي وجود، حينها لم تكن هذه الحادثة، بما لها من أهمية، لتترك طابعها في قلبي وروحي. لكن يومها فكرت ولم أهتد إلى شيء. لم أتمكن من تحليل دواعي تصرفي وسلوكه. أما الآن، وأنا أسرد حوادث عشرين سنة ماضية تقريبًا، فكأني استنبط أنه خطر بقلبي في ذلك اليوم أن هذا الرجل الجامد عديم العاطفة لا يمكن ألا يعني شيئًا. على كل حال، فإن الصورة، التي نُقشت في قلبي عنه، صورة رجل عنيف وفض وأناني، لما يملك أخلاقًا رفيعة، ولم يكن يقدّس في هذه الدنيا إلا بنفسه.

آه! ليت الأمر كان كذلك. لقد استمر تأثير هذا اللقاء في حياتي للأبد. أعلم أنك تحكم عليّ من خلال العينين اللتين تنظران إليك في هذه اللوحة. لقد رسمْتَ لي في مخيلتك

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

صورة غير لائقة. لك الحق في ذلك. أتعلم أين تكمن تعاستي؟ تعاستي هي أنني أحيانًا أعتبر نفسي أيضًا امرأة خبيثة، أعتبر نفسي مذنبة، وأحمّل نفسي مسؤولية موت الأستاذ. في الوقت الذي فيه أنا اليوم تعيسة، وامرأة من دون صديق ولا معين، امرأة وحيدة وحائرة، امرأة بلا زوج ولا أخ وبلا أحد، والأسوأ من ذلك امرأة بلا صديق ولا رفيق. آه! أنا لا أريد أن أكدّر وألوث ذكرى أستاذك الشفافة التي تحتفظ بها. لا، لو كان هنالك رجل في الدنيا جدير بالثناء والاحترام، فإنه هو.

كان أستاذك كل شيء بالنسبة لي، وأنا لا أرضى أبدًا أن تتلطخ ذكراه في مرآة خيالي، لكن لأجله هو فقط فقدت كل ما أملك. لم أستطع أن يكون لي زوج، أن أربي ولدًا. لماذا تزوجتُ؟ لأجله فقط. لماذا طلقتُ؟ لأجله فقط. لماذا ليس لدي صديق ورفيق؟ لأجله فقط. سيدي الوكيل، أتعلم أن هذه أول مرة أحكي فيها عن ماضيّ المشؤوم، أتعلم ماذا يعني أن تتكدس كل هذه التعاسة في قلب أحد وألا تجد متنفسًا؟!

إذا كنتُ في هذه الليلة أقول شيئًا لأول وآخر مرة، ففقط لأجل أن أعرِّفك بنفسي وأعرّفك به. تحلَّ بالصبر! ما لم تعرفني فلن تعرفه، ألم أقل لك؟ ربما كنت أنا وراء قتله. ربما

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

خُدعت. ربما لم يكونوا يرغبون في قتله. ربما كانوا سينفونه فقط. ولو كنتُ ذهبتُ رفقته، ربما كان الآن حيًا يرزق، و... ربما... ألف ربما...

الحقيقة أني أريد أن أقول لك شيئًا، شيئًا أفهمه جيدًا وأدركه، لكن ليس لديّ القدرة والاستعداد لأن أعطي له شكلًا وأقدمه بصورة غير قابلة للفهم. لم أفهم أبدًا ماذا أريد في الحياة. كانت القوى المتضادة تجرني دائمًا من جهة إلى أخرى، وأنا لم أستطع أن أقدّم قلبي وروحي لطرف وأبعد عني طرفًا آخر. تعاستي تكمن هنا. كنت دومًا مترددة. دائمًا أخطو برجل نحو الهاوية وبرجل أخرى نحو القمة. وفي النتيجة كان وجودي معلقًا.

الآن، وأنا أستحضر ذلك اليوم وذكراه، حينما كنت خارجة من ورشة رسمه في شارع "لاله زار"، مازلت مترددة في ما إذا كان ما أعتقده اليوم كنت على علم به في ذلك اليوم أيضًا! فيما بعد، كنت أفكر دومًا، لو أنه كان لطيفًا معي يومذاك، فقط بمقدار ما يكون ممكنًا لأي رجل عادي، ربما - أتعرف؟- ربما كنت سلكت طريقًا آخر في حياتي. أنظر.. قلت إني لا أملك أي شيء في الحياة، لكن في أعين الناس لا أحد في الدنيا أكثر سعادة مني. أنا امرأة ثرية، أملك كل شيء،

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أسافر على الدوام، قضيت أكثر عمري في السفر والسياحة، آتي إلى إيران أحيانًا من أجل ترتيب أموري المالية فقط. غنية، المال، آآآآه! يا لتعاستي بهذا المال! حائرة ومتشردة، لا قرار لي في أي مكان. لدي الأب والأم، لقد اختارا جوار كربلاء، ومضى وقت لم أعد أكاتبهما. تكتب أمي أنَّ عليَّ أن أذهب عندهما لإعلان توبتي. آه! ما أسعد هذه الحمامة العجوز! لا قرار لي في أي مكان. ليس لدي وكر أعلق قلبي به.

متع الدنيا كلها هي عذاب بالنسبة لي. ليتني مثل أمي، ولدتُ بلهاء، وجاورت كربلاء وأنا بلهاء. ليتني كنت متسوّلة، ويحبني كائن. حينها كنت سأفديه بروحي.

لماذا تنظر إليّ هكذا؟ نعم، أنا فديت الأستاذ بجسدي مرة واحدة.

الحق معك، الأمر مضحك! أنا نفسي يغلبني الضحك أحيانًا. أحس بهذا، لكني لا أؤمن بإحساسي أيضًا. أخاف أن تكون أحاسيسي وعواطفي كاذبة حتى تجاه نفسي.

كل النساء في هذه المدينة يغبطنني. الرجال في يدي كالشمع، أستطيع خداعهم بكلمتين حلوتين، وأستطيع أن

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أفعل ما شئت معهم. يدورون من حولي مثل قطيع الذباب. لكنك تتخيل أن هذه هي السعادة. ليس لدي أحد أبوح له ما يعتصر بقلبي.

لا تربطني علاقة عميقة بأحد، الكل مولع ومتيّم بجمالي. ما زالوا، إلى الآن، يسقطون في حبال غرامي، لكني لست صديقة لأحد. الحذر الحذر من النساء! إنهن يحتقرنني جميعهن. منزعجات مني من أعماق قلوبهن، ويتصورن كلهن أنني بابتسامة واحدة أستطيع أن أخطف من أحضانهن رفقاءهن وخاطبيهن وأزواجهن ومن يشاركونهن معاصيهن، ولكن هذا ليس صحيحًا. هذا ليس صحيحًا سيدي الوكيل. أنت تدرك، الآن، مدى معاناتي في الحياة، ولهذا السبب أنا منزعجة من هذه اللوحة التي أحضرتها إلى هنا، لأنه هو الآخر عرفني على هذه الشاكلة...

أنا أدور في حلقة ولا أستطيع أن أبيّن الأمور في تسلسل أحداثها. يجب أن تتحلى معي ببعض الصبر. اسمح لي أن أفشي لك قليلًا ما في قلبي...».

***

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

سكَبَت لنفسها كأسًا من الكونياك. كان هذا الكأس الثاني. وسكبت لي كأسًا أيضًا. احتست قليلًا من كأسها ووضعته على الطاولة، بعد ذلك استغرقت في التفكير.

***

«ماذا كنت أقول؟»

«لا أدري ماذا كنت تريدين قوله، لكني أود أن تكملي حديثك بنفس الطريقة التي تتحدثين بها. هكذا تظهرين لي أكثر وضوحًا. كنت تريدين أن تشرحي أي إحساس انتابك حينما خرجت من مرسمه... »

«نعم، نعم، هو ذاك. أتصدّق أنني فيما بعد، وبخاصة عندما غادرت طهران، فكرت على الأقل ألف مرة في تلك الدقائق المعدودة التي قضيتها وأنا عائدة من "لاله زار" إلى البيت؟ آه، في النهاية، أنا لم أكن أعرفه، لم يكن لي أي علم بأخلاقه وطباعه الخاصة. الشيء الوحيد الذي فهمته هو أنه لم ترقه أعمالي. هو لم يكن في أي وقت يمدح ويمجّد كثيرًا عمل أيٍّ كان. حتى روائعه كان يقيّمها ببرودة وفظاظة. لم يكن أبدًا متعودًا على إبراز تعلقه بشيء، ولو أن ذاك الشيء ينال

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

إعجابه كثيرًا. أنا أعرف هذا. أنا فسّرت تعامله معي بشكل آخر، لا أتذكّر، أعتقد أنني قلت لنفسي: واضح أنني لا أستحق شيئًا. هذا ما أردت أن أقوله. كان لتصرفاته في حياتي تأثير حاسم. في الطريق، استغرقت مدة في التفكير، فأحيانًا يبحث الإنسان عن شيء دونما قصد وحين لا يجده، يشعر بالضياع.

حين عدت إلى البيت، وجدت شابًا، كان يومها ألد خصومي، جالسًا في غرفة الجلوس. كان شابًا حسن البنية، متوسط القامة، حصل على الدكتوراه حديثًا، يرخي شاربه حتى يبدو مسنًّا. كان يتعقبني بالسيارة وكنت أُعجَب به أحيانًا، لكنه كان يبالغ في إظهار نفسه عاشقًا، وهذا ما كان ينفرني منه. ربما لو أنه لم يعاملني ذلك اليوم بتلك الطريقة، كنت سأعيش حياتي كسائر الناس، هل تفهم ما أريد قوله؟ تعامله معي في مرسمه كان له تأثير حاسم في حياتي.

ماذا كنت أقول؟

كان الشاب قد جلس في الغرفة، وحينما دخلت وجّه لي سؤالًا بنبرة بدت لي ثقيلة جدًا: لماذا أخّرتني؟ ألم يكن مقررًا أن نذهب هذه الليلة إلى مكان ما؟ أجبته بغضب شديد حتى

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

انصرف المسكين، ولم أره بعدها في حياتي قط، في الوقت الذي كنا تواعدنا حقًا أن نذهب إلى حفلة أقيمت بمناسبة عيد ميلاد أحد أصدقائنا المشتركين.

والدتي التي علمت عن طريق "فضه سلطان" كيف تصرفت معه، ظلّت لأيام تنغّص عليّ: هل يتعامل الناس مع رجل غريب هكذا؟ هل يغضبون أحدًا منهم دونما سبب؟ لقد رفست حظك بنفسك.

سمعت أن الشاب المسكين قال لشخص ما: لا يعرف المرء كيف يجب أن يتعامل مع هذه الفتاة. أحيانًا يود لو شقّ بطنها بسكين.

بقيت متخاصمة مع نفسي شهرًا كاملًا، ونسيت اللقاء به. لكن كما قلت، كنت أفتقد شيئًا ما. كان عملي في السابق منحصرًا في شراء الألوان والريشة والورق وقلم الرصاص ولوحة الرسم، وكنت أستورد الأشياء الثمينة والجيدة من ألمانيا وفرنسا وإيطاليا، لكن خلال هذا الشهر كدت نسيان الرسم.

في ليلة من الليالي، سألني والدي قبل تناول عشائه: ألا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

تريدين أن تذهبي يومًا عند "ماكان" الرسام؟

كان والدي دائمًا ما يحتسي بضعة كؤوس من الخمر قبل العشاء، وينشط بعب كأسه الأولى، وكانت هذه أفضل الأوقات التي يمكن الحديث فيها معه، حيث يسكر بدءًا من الكأس الرابعة.

قلت له:

«ذهبت يا أبي»

«حسن، ماذا حصل؟»

«هو نفسه لا يعرف شيئًا يا أبي».

«ماذا تقولين يا فتاة؟ السيد "صارم الممالك" كان يثني على أعماله كثيرًا، وهو خبير، ألم تري ما أجمل اللوحات التي يملكها في بيته!

«يا أبي، اسألني أنا. إنه لا يعرف شيئًا. هو لم ينظر إلى أعمالي أبدًا، لم يفهم. ولم أر شيئًا له في ورشته، يا له من

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

إنسان متكبر ومتعال!»

لم يضف والدي كلمة واحدة. كان لا يحب التحدث مع أحد حين يتفرغ للشراب، وكان يتناول صفحة جريدة من يدي أو يد أمي وينظر إليها، لكنني لم أسمح بذلك.

«أبي...»

رفعت أمي رأسها ونظرت إليّ. كانت تعلم جيدًا أنني حينما أبدأ الكلام بهذه النبرة، فإن لي طلبًا بالتأكيد. وتعلم أيضًا أن أبي ما كان يتواني في تلبية أي طلب لي، وبخاصة حينما كنت أتغنج عنده.

سأل أبي:

«ماذا؟»

«أرسلني إلى الخارج لأتعلّم، هنا لا وجود لأحد يمكن أن أعمل عنده».

ضيّق والدي عينيه الصغيرتين أصلًا، وألقى بنظرة من تحت

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

النظارات، لكنه لم يقل شيئًا.

قالت والدتي، التي كانت جالسة في الناحية الأخرى، تدخّن الشيشة:

«كفى، كفى، من أين تعلمت هذا؟ ما فائدة الخارج! ألم يكن هذا قولك، وأي تحفة ذاك الذي يعود من الخارج حتى تصيري أنت كذلك، ما علاقة الفتاة والذهاب إلى الخارج؟»

رفع والدي رأسه عن الجريدة وقال:

«لو كان ولدًا، لما كان أي عيب في ذلك؟»

«أيها السيد، لماذا تسمع كل ما تقوله هي؟ من الذي أرسل ابنته وحيدة إلى الخارج؟»

«لماذا تكون وحيدة؟ أليس عقيدنا المسؤول عن الطلبة العسكريين موجودًا في باريس؟»

سألته:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«أي عقيد؟»

«العقيد آرام».

قالت أمي:

«ابن السيدة "خاور"، حفيد عم والدك».

تساءلت:

«ألم أره؟»

«بلى، هو هناك منذ أربع أو خمس سنوات. ربما لا تتذكّرين».

لم يضف والدي كلمة، أزال النظارات من عينيه، وغمزني وقال:

«سأفكّر في الأمر».

لم أترك الموضوع أبدًا. وخلال غياب أمي ألححت على أبي حتّى ليّنت عوده، وذهبت أخيرًا إلى الغرب.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ما أكثر الأشياء التي لدي لأحكيها لك. لست أدري إن كان قولها ضروريًا أم لا؟ لكن، كما قلت، من الأفضل لي لو أحكيها كلها.

«احكي، كل هذا مفيد لي. إن كنتُ تعلقت في البداية بهذه اللوحة، فلأني كنت أريد أن أعرف ماذا عانى الأستاذ في السنوات الأخيرة من عمره. لكن، الآن، تعلقت أيضًا بحياتك أنت، وأرى أن حياتكما تداخلتا ونسجتا خيوطهما بعضهما في بعض. ما لم يعرفكِ أحدٌ فلن يعرف الأستاذ».

«المشكلة تكمن هنا. وهو الخطأ الذي أرتكبه أنا أيضًا. أنا لم يعرفني أحد، وأنا نفسي لم أعرف نفسي، وأستاذك أخطأ أيضًا».

«عفوًا سيدتي، لكن كل الناس غير الملتزمين بالمبادئ في الحياة، يقفزون من غصن إلى غصن، وهكذا يفكرون».

«سيدي الوكيل، أرجوك، لا تحدثني بحديث طلاب المدارس. أناس قبلك أيضًا كانوا يتبجحون عليّ بمثل هذه المبادئ».

«ليس هناك أي سبب لتكوني غامضة بهذا القدر».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«لا تسخر مني، سوف ترى أن الأمر ليس كذلك. وهنا مكمن تعاستي».

قالت هذه الجملة بنبرة حزينة جعلتني آسف وأندم على الأذى الذي ألحقته بها.

«أتدري لمَ أحكي لكَ كل شيء؟ لأنك الشخص الثالث، بعده في ذلك اللقاء في ورشته، الذي حينما تنظر إليّ أحس أنك لا تحدّق طمعًا فيّ ولا في جسدي».

«الشخص الأول كان هو الأستاذ، والثالث هو أنا، ومن يكون الثاني؟»

«الشخص الثاني هو ذاك الشخص الذي عرّفني به الأستاذ. وهو الآخر لم يعد له وجود بالنسبة لي. لهذا السبب، فلست أخجل أبدًا، وأريد أن أنقل لك كل شيء».

أطبقت عينيها، بينما نظرت أنا إلى جسدها نظرة فاحصة؛ أنف طويل، شعر أسود متماوج، شفاه رقيقة ولطيفة وخفيفة الماكياج، قوام متناسب وإن كان قصيرًا شيئًا ما، سيقان

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

موزونة. كل هذا كان جميلًا وفاتنًا، لكنها كانت صادقة. هذه أول مرة أتفحّص فيها امرأة جميلة. رأيت أمامي على الفور تلك الفتاة الشابة ذات التسع عشرة أو العشرين سنة، التي كانت تتجول في شوارع باريس بمفردها. ولكي لا أسمح لأجوائها الحزينة بأن تسيطر عليّ، أجبرت نفسي على قول:

«تخيلي أنني لست هنا، تخيلي أنك تحكين لنفسك وحدك، وحتى لا تقولي أنا فعلت كذا وكذا، قولي: تلك الفتاة ذات العشرين ربيعًا، سمّيها فرنگيس، اسمك أنت ليس فرنگيس؟ قلت إن تلك الفتاة العشرينية ذهبت وحدها إلى ديار الغرب.

«كلا، لا أريد أن أروي قصة حياتي. ليس في حياتي شيء جديد. أنا لم أعش حياتي. حياتي مثل حياة كل الفتيات من طبقتي؛ جئن وذهبن، ومتن من دون أن يذقن طعم السعادة أو يدركن حقيقتها. ما الذي يمكن أن يكون مثيرًا في حياتي بالنسبة لك؟ أضف إلى ذلك، أن قصة حياتي لم تنته بعد، أنا فصلٌ في كتاب. حياتي ممتعة فقط على قدر درجة علاقتها بحياته. لو لم يكن هو لما كنت شيئًا. آه، هو من أراني خيالًا من الحياة الواقعية للبشر. وأنا، لشدة ضعفي، أصبت بالعمى ولم أستطع أن أتذوق لذة جمالها. أنا أريد أن أتكلم عن علاقتي به. اسمح لي بالتفكير قليلًا.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أعتقد في أواسط العام ١٩٣٠م كنت في الخارج. ذهبت مباشرة إلى باريس عن طريق روسيا وألمانيا. كان في استقبالي في المحطة العقيد آرام. تسجّلت في باريس في Ecole des Beaux Arts(9) وكنت أتصور أنني أدرس وأتعلم الرسم. ولأجل الالتحاق بـ E.d.B.A كان يجب أن أجتاز امتحانات القبول. لكن، في فرنسا، كل الأمور هينة على الأجانب. يستطيع الأجانب أن يتعلموا كل شيء، حتى لو لم يخرجوا بشيء، فسيحصلون على الدبلوم بأي شكل من الأشكال. تعلمت اللغة الفرنسية خلال سنة أو سنتين، لكنه مر وقت طويل حتى أدركت في أي مستنقع علقت.

يبدو أن الحياة، بالنسبة لي، كانت كلها نزوات ومتعة وتسلية، لكنني، في أعماقي، كنت دائمًا أرى نفسي تعيسة، ولا أعرف كيف أتخلص من هذه المعمعة.

انظر، تصيب الإنسان في الحياة مصائب عديدة، وهو نفسه المتسبب فيها كلها، لكنه لا يدرك ذلك، أو حينما يدرك جذورها يكون الأوان قد فات. حياتي أنا لم تكن هكذا. إن تكرار أجمل المتع هو معاناة وعذاب. كانت تسليتي وتسكعي إجباريين. لا أريد أن أبرئ نفسي، فقد كان الكل يريد أن

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

يكون زوجًا لي، مؤقتًا أو دائمًا، كل حسب طريقته، بدءًا من ذلك العقيد آرام، الذي يكبرني سنًا وكان مسؤولا عني، وحتى ذلك الشاب الفرنسي المنفّر الذي كنت أتقزز من شكله.

أنا لم أرتكب أي ذنب حتى أجبر على تبرئة نفسي أمام أي إنسان، أي إنسان ذي ضمير. لا، ليس غرضي تبرئة نفسي، قصدي بهذه المقدمة أن تعي أنت وتفهم حينما عدت إلى إيران بأي أحاسيس وبأي طريقة للتفكير، واجهته، واجهت أستاذك «ماكان»، الصديق والرفيق ورجلي الذي أراده قلبي.

كل متعة تطول فهي معاناة ومصيبة. حينما أفكر جيدًا أرى أن جذور شقائي ترجع إلى حياة الرفاهية والراحة التي نعمت بها وترعرعت فيها منذ الطفولة.

جمالي كان بلائي. الجمال بالإضافة إلى الحياة الخالية من الأعباء، تعاونا على إيصالي إلى هذا المصير الأسود.

الشهرة والافتخار والاحترام، كل هذا جيد ونافع وناجح. لكن كل إنسان مشهور يود لو يتيه أحيانًا بين عامة الناس ويختلط بهم ويذوق لذاتهم ويشعر بقلقهم ومنغصات حياتهم، حينها ستكون الرفاهية وراحة البال، بالنسبة له أكثر

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

لذة وإمتاعًا. لكن حينما يعرفه كل الناس ويشير إليه الجميع بالبنان، لا يبقى حرًا. وقتها تصبح الشهرة مصدر متاعب للإنسان.

كان هذا حال جمالي أنا أيضًا. وفي E.d.B.A حينما كان يتحدث معي بروفيسور عجوز، كان هو الآخر ينظر إلى عيني أكثر مما ينظر إلى عملي المتواضع، وكان ينسى في الأساس أنه يجب أن يدرسني، فقد كان يمدح عملي ويمجده عبثًا ودونما علم، وكان الطلبة يعادي بعضهم بعضًا بسببي.

كان كل واحد منهم يتبجح باطلًا على الآخر بتلطفي معه، كم تمنيّت أن أهنأ بالراحة في المدرسة والعمل وفي المكان الذي ينبض له قلبي شوقًا وطربًا. في ذلك الزمان، كان الفن التشكيلي يشغل كل اهتمامي، فالحب والزواج والاعتزاز والاحترام بمثابة دخان داكن يصيب بالعمى مقابل شعلة حب الفن.

في أحد الأيام، لاحظت فجأة في مرسم المدرسة أن أكثر الطلبة منهمكون في رسم صورة لي. ومؤخرًا، حينما كنت أذهب مع العقيد آرام إلى مجالس السمر في السفارات ووزارة الخارجية الفرنسية، كان الصحفيون يدرّون أموالا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

من وراء صورتي. وقد ألف كاتب فرنسي مبتدئ رواية عني. قصته طافحة بشرح حبه الذي كان ينمّيه في قلبه لفتاة هندية. كل الأعين كانت ترقبني، في أي مكان أتوجه إليه، في المسرح والسينما وفي الحفلات الموسيقية والمنتزهات العمومية والمصايف، وفي المحاضرات. كنت أعاني الأمرين من جراء هذا الأمر. كان الجميع يتملقني ويسعى لإرضائي. والأسوأ من ذلك، تصرفات أبناء وطني، أولئك الذين رفضتهم بشدة، كانوا في كل مكان يرمونني في ظهر الغيب بأقدح الألفاظ، ووصل الأمر بأحدهم إلى أن يكتب رسالة لأبي ينقل فيها حكايات لا تصدق عني.

كان والدي يحبني كثيرًا، ولذلك، كانت له ثقة كبيرة فيّ، وكان من الطبيعي ألا تترك هذه الرسائل أي تأثير في تعامله معي. حذار من ذلك الوقت الذي كنت أستأنس فيه لأحد بسبب سجية أحبها فيه، كان هو وأمثاله حينها يعبدونني، ومستعدين لقتل بعضهم بسببي، لكن صداقتهم كانت تعذبني.

كان بين هؤلاء شباب جيدون أصادقهم وأحبهم كإخوة لي، وكنت مستعدة لأقوم بأي تضحية لأجلهم.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

كانوا يعطونني الكتب ويحاولون أن يجتذبوني إلى حياة مفيدة، وأحيانًا يستغلونني سياسيًا، ويعطونني طرودهم البريدية فأرسلها إلى إيران. وحينما يجتمعون بي يدور كلامهم كله حول المؤتمر والملتقى والتظاهرات؛ يتحدثون عن السياسة والاستبداد والنظام البوليسي الإيراني وفقر الناس وبؤسهم. وأنا كنت أستمتع بانسجامي معهم. لكن كل هؤلاء، كان واحدٌ بعد الآخر منهم يقع في حبي ويتضاءل احترامي له. أترى التعاسة التي كنت متخبطة فيها؟

واحد من هؤلاء فقط كان استثناء. ولحسن الحظ، كانت لديه خطيبة يعيش معها. وأنا استطعت أن أحوز ثقة هذه الفتاة الظريفة وأن أفهمها أني لا أكنّ لخطيبها أي شعور خاص. كانت هذه الفتاة الوحيدة التي أحبتني، وربما مازالت تحبني. ذلك الشاب الذي كان يتعلم الرسم، وكان دائمًا معتلًا ومريضًا. هو السبب وراء تفكيري في الأستاذ على الدوام منذ السنة الرابعة لوجودي في الغرب وإلى ما بعد ذلك. وحينما عدت إلى إيران، لم تكن لدي حيلة غير رؤيته والاستعداد لخدمته بكل ما أملك من قوة.

إذا تجاوزنا هذا الشاب، فإن باقي الأشخاص كانوا من الذين هُزموا في حربهم معي أو كانوا يحلمون بالانتصار علي

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ويشيدون القصور في أذهانهم.

هل تعلم نتيجة ذلك؟ أنا أقول لك، بمنتهى الصراحة، حتى أستطيع فيما بعد أن أدافع عن نفسي بأريحية وحتى أستطيع فيما بعد أن أقنعك بالخطأ الذي ارتكبه الأستاذ. هاتان العينان اللتان رسمهما لي ليستا ملكي.

هل تعلم نتيجة ذلك؟ كانت نتيجة ذلك أني أوغرت صدري بعداء هؤلاء العشاق البلهاء، وكنت أتلذذ بتعذيبهم وإثارة غضبهم.

كلما كان يزداد جنونهم، كنت أزداد قسوة. أصبحَت هذه هي حياتي. أما الرسم والدراسة في الخارج وفي E.d.B.A فكانت مجرد وسيلة لتسليتي.

اسمح لي أن أروي لك حادثة وقعت في حياتي، رغم أنها لا علاقة لها بحياة الأستاذ، لكنني أود أن أحكي لك هذه الواقعة، كما كانت في الحقيقة. أظن أنك بعدها ستعرفني، بشكل أفضل.

كان أحد الأشخاص الإيطاليين من بين زملائي الطلبة في

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

E.d.B.Aيدعى دوناتللو. كان هذا الرجل ممتلئ الجسم وجميل الهيأة ووسيم للغاية، له شعر أسود وعيون سود وكث الحاجبين وفي المقابل له أنف دقيق وشفاه وفم مثير. كان بنظراته ينفذ إلى أعماق القلب. لكن، في نظري، كانت هذه العيون السوداء الكبيرة مع نظرته الحادة تلك تثير السخرية. فهو عديم الحياء وجريء، لكنه عزيز النفس. كلما التفتُّ إليه في المدرسة، كنت ألاحظ أنه كان ينظر إلي، لكن بنظرات مسترقة. وبمجرد التفاتي إليه كان يحول نظره إلى ناحية أخرى، كأنه لم يرني أصلًا.

بعد ثلاث أو أربع سنوات من الحياة في باريس، كنت قد تعرفت إلى كل الإشارات والإيماءات. كان يأتي شخص وقح وصلف، يمرح ويأكل ثم يذهب، وآخر يتقطّر وجهه إحساسًا وعاطفة، يتقرّب مني باستخدامه للشعر والموسيقى، يريد أن يصبّ أمواج عشقه الحارق قطرة قطرة.

كان البعض فاشلًا وغير ذي كفاءة، بل سمج بعشقه الأفلاطوني. وكان البعض مصرًا وعنيدًا -والعياذ بالله- من هؤلاء الذين يُفقدون الإنسان أعصابه. بيد أني كنت أعرف جيدًا كيف يجب التعامل مع كل واحد من هؤلاء.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

كان هذا الإيطالي، الذي يبلغ من العمر سبعًا وعشرين أو ثمانيًا وعشرين سنة، أكثر هؤلاء سخافة في رأيي. كان متحفظًا ومنطويًا، وحتى إني كنت أعطيه الأمل، لكن لم يكن يتقرّب مني. استهزأت به مرة أو مرتين، حدّقت إلى وجهه ذات مرة، كنت أجلس بالقرب منه في الصف وأرمي ريشتي قربه بحيث لا ينتبه الآخرون، لكنه لم يكن يكترث، وفي الوقت نفسه يبدو من حركاته أنه متيّم بعشقي.

ذهبت ذات ليلة رفقة مجموعة إلى (10)Bois de Boulogne. كان الجو صحوًا ومقمرًا، كنّا نتمشى في الغابة، وكلٌّ كان يغني بلغته.

أكثر الحاضرين كانوا طلبة E.d.B.A والغالبية فتيات. حينما كان الرجال يمرون من أمامهن كن ينفجرن ضحكًا. احتقرتُ ضحكاتهم السخيفة هاته. ابتعدت عنهم شيئًا فشيئًا وذهبت وحيدة إلى (11)Pavillon. كان مطعمًا جميلًا، فجأة رأيت دوناتللو جالسًا إلى طاولة، واضعًا أمامه كأسًا من مشروب فاتح الشهية، وهو يدخن السيجارة تلو الأخرى فقصدت مباشرة طاولته.

رآني من بعيد، ورفع رأسه وألقى إليّ نظرة بعينيه الكبيرتين

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

السوداوين. فقلت:

«هل تسمح لي أن أجلس إلى طاولتك؟»

لم يقم من مكانه، وأشار بيده. لم يكن هناك كرسي فارغ على الطاولة. اضطر للقيام، سحب كرسيه وقدّمه لي. وقف للحظات حتى جاء النادل وناوله كرسيًا.

كانت هناك مِنْفَضَةُ مملوءة بأعقاب سجائر، وقد أطفأ بعضها دون أن يدخنها كاملة. من الواضح أنه كان يكره التدخين، ومع ذلك، كان يدخّن. بمجرد ما جلس أطفأ سيجارته، وسأل:

«ماذا تريدين؟»

قلت:

«أطلب لي مشروبًا فاتحًا للشهية أنا أيضًا. بعد ذلك نتناول العشاء».

لم ننطلق في الحديث. كان جالسًا يدخن. تحدثت له عن القمر وعن باريس وعن الطلبة الآخرين وعن رفاقي، بلا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

فائدة.

أثرت الحديث عن الفن. شرحت له بالتفصيل أن محب الفن يستمتع أكثر من الفنان نفسه. من الطبيعي ألا يكون كل فنان راضيًا عن عمله، ولو كان من الروائع. يريد دائمًا أن يبدع شيئًا أفضل وأجمل مما أنتجه، ويستطيع دومًا كشف عيوبه وأخطائه. الفنان هو أفضل منتقد لأعماله، لكن المشاهد يغرق في المتعة. أغلب الناس لا يدركون العيوب بسهولة، وينظرون فقط إلى الجوانب الجميلة.

كنت أنتظر أن يخالفني الرأي، أن يثير النقاش، أن أستحثه على الكلام، لأسحره فيما بعد بجمال وجهي فأنهي أمره؛ حتى إذا أظهر حبه، استهزأت به، وتخلصت من شر هذا أيضًا، لكنه ما كان لينصاع. كان يدخن وينفث دخانه في الهواء لئلا يضايقني. حين رفع رأسه بدت زرقة عروق عنقه من خلف جلده الأبيض، وكنت ألحظ ارتعاش بدنه. ومع ذلك، فقد كان جالسًا ببرود ولا ينبس بأي كلمة.

بعدها، بادرته بسؤال. كان يعطي أجوبة متقطّعة وبطريقة حادّة.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

تناولنا العشاء. وأحضروا لنا قنينة Grave(12) supérieur، شربها هو بالكامل تقريبًا، وأنا بالكاد بللت شفاهي.

الشيء الوحيد، الذي اقتلعته منه، هو أن أباه كان من أصحاب المناصب العليا في وزارة الخارجية في إيطالية الفاشية.

نفد صبري وطلبت منه أن نتجول معًا قليلًا وأن يوصلني إلى البيت. أطاعني. حينما عبرنا من أمام بحيرة Bois de Boulogne لاحظت أن هناك قوارب للكراء. فقلت: هل نركب قاربًا؟ فقبل.

سألته: هل تجيد التجديف؟

لوّح برأسه.

كان هو أول من وضع رجله على القارب، ثم أخذ بيدي ليساعدني، فأمسكت بيده بشدة، متظاهرة بالسقوط. التصقت بذراعه، لكنه لم يبال. لم أكن أصدق. ما زال متشككًا. هكذا كنت أعتقد في نفسي.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أجلسني على أريكة القارب الخلفية. كان القمر ينشطر على صفحة الماء إلى أقسام مع كل ضربة مجداف، ثم يسارع على الفور لاستعادة شكله الأول، لكن سرعان ما يعود ليترنح من جديد.

كان دوناتللو يضع السيجارة بين شفتيه بحيث إن إجاباته كانت تصدر متقطعة. بدأ شيئًا فشيئًا يدندن، كان صوته غليظًا. ثم رمى بعد ذلك السيجارة في الماء. كان يمخر الماء بذراعين قويتين ويغني بصوت عال أغنية مدهشة وعجيبة. فكرت في نفسي: لقد بات بئيسًا ومقهورًا. فأشفقت عليه. بغتة، جاشت نفسي بغضًا، فتساءلت: لماذا إذن يضايقونني بهذا القدر؟ أردت أن أطلب منه أن يرجع، لكن صوته كان حقًا أخّاذًا لدرجة أني لم أجرأ على الكلام.

ما إن أنهى غناءه حتى انتصبت قائمة وتقدمت خطوة وقبّلت رقبته من الخلف. ارتجّ القارب، كان على وشك أن ينقلب، لكن فجأة تدحرج دوناتللو إلى جهة واحدة، ومثل فهد يخطف فريسته في قفزة واحدة، سحبني إليه وضمّني بين ذراعيه القويتين حتى كدت أُسحق، ثم غطّى وجهي ورأسي بالقبل.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

حينما كان يلفي فرصة يتحدث بالإيطالية، وكان يرطن بأشياء لا أفهمها. الجملة الوحيدة التي أتذكرها هي هذه: Ti volio bene(13)

خلّصت نفسي من قبضته، أجلسني بجانبه. فجأة، فكّ الطلسم وبدأ يتكلم، كان يقول كلامًا، نصفه بالإيطالية والنصف الآخر بالفرنسية. يقول تلك الترهات التي يقولها كل العشاق البلهاء... لفَّني الحزن فأمرته أن نعود. ومن دون أن أنبس بكلمة واحدة وأكسر الصمت، استقللت سيارة أجرة عائدة إلى باريس. استغرق رحلة القارب ساعة واحدة.

أمام باب المنزل، وبمجرد أن فتح الحارس الباب، ودعته مازحة ضاحكة، فسألني: متى سنرى بعضنا؟

أجبته ضاحكة: نحن نرى بعضنا في المدرسة دائمًا.

تركته خلفي وتوجهت نحو شقتي.

جلست لبعض الوقت على فراشي. كان حزن شديد يعذبني ولا يخلي سبيلي، ولم أستطع النوم. كان يبدو لي أن قبلات

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

هذا الرجل العنيف مصطنعة ومقرفة، انصرفت لمدة إلى قراءة كتاب ونسيت القصة.

حين دخلت إلى المدرسة صباح اليوم التالي، كان واقفًا أمام الباب. أتى صوبي ضاحكًا، بادرته بانشراح ومشينا معًا في الرواق. كان ذلك القناع المصطنع الذي يغطي وجهي أثناء حديثي مع المتيّمين حاضرًا أيضًا في ذلك اليوم. مهما حاول أن يزيل هذا القناع، لم ينجح. وفي وقت الظهيرة، قال وقد بدت على ملامحه علامات الارتباك:

«سآتي اليوم عصرًا إلى منزلك لنكون معًا».

«لا وقت لدي في العصر».

حقًّا لم يكن لدي وقت، كنت قد واعدت العقيد، حفيد عم والدي، على اللقاء به.

«ماذا عن الليل؟»

«ليس لدي وقت لأسبوع، فضلًا عن ذلك، فنحن نرى بعضنا في المدرسة كل يوم...»

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

***

قطعت فرنگيس كلامها. كانت عيناها تلتمعان وربما كانتا قد ابتلّتا...

قلت لها:

«السيدة فرنگيس، أكملي بقية القصة».

«ليست هناك بقية. إنك تفهم بالتأكيد أن تأثري ليس بسبب دوناتللو. أتعلم مقدار تأثير هذه الحادثة فيّ؟ إنه بمقدار إحساسك بالحموضة التي تتركها حبة عنب واحدة في فمك حين تأكل عنقودًا من العنب الحلو.

في تلك الأيام اشتهر فيلم في كل أنحاء أوروبا، وكانوا يرددون أغنيته في جميع المقاهي.

لم أعد أتذكر لحن الأغنية ولا نصها، لكن مضمونها على النحو التالي:

«أنا خُلقت لأجل العشق، من مفرق الرأس إلى أخمص القدم.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ولم يعد الأمر بيدي. يدور الرجال حولي كما يدور حول الشمع البعوض. إذا كانوا هم يحرقون أجنحتهم، فما ذنبي أنا؟...»

سكتت فرنگيس مرة أخرى.

ألم ترغب في قول شيء آخر؟ لم أجرؤ على توجيه السؤال لها، لكنني اكتفيت بتكرار الجزء الأخير من شعرها هكذا: «إذا كانوا هم يحرقون أجنحتهم، فما ذنبي أنا؟...»

تناولَت كأس الكونياك وطفقت تنظر للحظات إلى لونه الأصفر، وقالت:

«لا شيء، لم أر بعدها دوناتللو، بعد أسبوع من ذلك، عثروا على جثته فوق بحيرة Bois de Boulogne»

****

«ماذا تقولين؟»

«لا أعلم».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«هل تسببتِ للأستاذ أيضًا بنفس المصيبة؟»

«لا، لا، لا تتكلم هكذا. أنت مازلت لا تعرفني، أنا كشفت لك جانبًا واحدًا فقط من حياتي، كل هؤلاء كانوا مدلّلين، لم أكن أقيم لهم أدنى اعتبار في الحياة، أما "ماكان" فقد حطّمني تحطيمًا. لم يكن اللعب ممكنًا معه. فضلًا عن ذلك، أتعتقد أنني كنت أسخر من أولئك عن علم وقصد، لا، ليس كذلك. كان وحش يسكنني، وكنت في شد وجذب معه طوال العمر. فهو من كان ينخر أعماقي، أما في الظاهر فكان يجبرني على التصرف الشرس...».

لم تكمل كلامها، سكتت لبضع دقائق. كانت عيناها محدّقتين إلى غطاء الطاولة.

ارتسمت على شفتيها ضحكة حزينة، حملقتُ فيها للحظات. كنت أبحث في هذا الوجه البريء عن أثر للشر، لكن لم يبق هناك أي سرّ مخفي في العينين. إنها امرأة تعيسة تعترف بذنوبها أمامي.

كان نباح كلب منبعث من بستان الجيران وبوق سيارة من بعيد يكسران الصمت. فجأة، دبّت فيها حركة وتهلّل وجهها

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

وبدأت من جديد:

«كنت قد نسيت بالكامل لقائي بالأستاذ في المرسم، هي مجرد ذكرى في طور النسيان، كدت أنساها تمامًا، لكن حادثة ذكّرتني مرة أخرى بالأستاذ وربطت حياتي بحياته.

كانت أوروبا بكل تلوّناتها تكاد تصبح في نظري رتيبة ومملة، وكان عشقي وشوقي للفن خلال الأيام الأولى قد تخليا عني. كان أكثر الأشخاص، الذين يُقدمون على صيد هذا الطائر الجميل ويقطعون طريق الفنان المليئة بالمصائب والبلايا، يرجعون من وسط الطريق خالي الوفاض. حوالي تسعين في المائة منهم لم ينجحوا في الامتحان، وما تبقى، أي عشرة في المائة، كانوا أنانيين لا يستطيع أحد الوصول إليهم. أما الفنان الحقيقي هو ذاك الشخص الذي تُعجن شخصيته وتُخلط في فنه. وعلى هذا الأساس، فالفنان يجب أن يكون إنسانًا، في المقام الأول.

آه، سيدي الوكيل، ما أسهل قول ذلك. أساسًا، إسداء النصح أمرٌ في غاية البساطة. أكثر الأشخاص المحيطين في E.d.B.A كانوا يتسلّون بالفن، ولم يكونوا يعملون بشغف حتى يتمكنوا من تحمل معاناة الفشل، والاستمتاع بنشوة

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

النجاح. كانت حياة أكثرهم مُؤمَّنة، يرسمون، لأن الرسم -في نظرهم- أسهل من أي عمل آخر. هؤلاء أُجبروا من طرف آبائهم الأثرياء على اختيار هواية لأنفسهم.

تخرج في هذه المدارس الآلاف من هؤلاء الرسامين في كل سنة، لكن في كل قرن تمنح الحياة رساميْن أو ثلاثة للبشرية.

لقد أدركتُ الشيء المبهم والمظلم الذي أحسسته، يوم لقائي به في طهران في الطريق من البيت الكائن بشارع لاله زار، أدركته بعد مرور ما يقارب أربع سنوات في باريس، في الفضاء الموجود على رأس كل زقاق، وفي كل بستان، وحفل، وفي المسارح، وحتى في مساكن العمال، والقرى البائسة.. أدركتُ أن الجمال الساحر يجرح قلب الإنسان، بكل ما في الكلام من معنى، وبكل ما ينطوي عليه من فواجع. كم كنت أود لو أستطيع أن أشرح لك كيف شق هذا العجز وهذا الخمول طريقهما إلى وجداني. كم عانيت حينما أُجبرت على إخبار والدي بالواقع المرير الذي اطّلعت عليه.

أتحب الموسيقى؟ أنا أعتبر أمتع ساعات عمري هي تلك التي أحب فيها لحنًا موسيقيًا، لكن العجيب أنني لست دائمًا على هذا النحو، فأحيانًا تكون الموسيقى، بالنسبة لي، أي موسيقى

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

تتصورها، مملة ومؤذية.

لماذا أتحدث لك عن الموسيقى؟ أحيانًا في هذه السيمفونيات، يتسرب لحن هادئ وقليل من وسط ضوضاء الأوركسترا. هذا اللحن الهادئ واللطيف يروق لقلبك وتتوقعه ويتكرر هذا الصوت الرقيق، لكن هذه المرة يأخذك أكثر من المرة الأولى. وشيئًا فشيئًا، تبدأ كل الأوركسترا بعزف ذلك اللحن المفضّل لديك بصوت واحد وبقوة، لا يبقى لك مجال للسيطرة على نفسك. وهكذا تبرز أيضًا المصائب المرعبة، لا يدرك الإنسان في البدء عمقها، تطفو على السطح أحيانًا وتغوص في العدم.

فجأة تنطلق كل الأوركسترا بالعزف، آنذاك تنهمر الدموع من عينيك، وأنت نفسك لا تدري لمَ تبكي.

بعد أول لقاء معه، طفا على السطح إدراكي لمأساة حياتي، وألمي الذي لا يُحتمل من جراء كوني أفتقد الموهبة، تمامًا كما ظهر ذلك اللحن المرعب، ولكنه تلاشى من جديد. غير أنني حينما تذوقت ضغوط ذلك كله، كنت أذهب بجدية وأنصت للموسيقى ساعات طوالًا، وحينما كنت أجهش بالبكاء، أقول لنفسي: أنا لا أعرف لماذا أبكي، أنا أبكي على

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

وضعي.

حينها، لما كان هؤلاء العشاق البلهاء يرون حالتي هذه، يظنون أنني أبكي من شدة الشوق أو من شدة الرقة والحنان. آه...»

أطبقت فرنگيس عينيها، وأحكمت قبضة يديها الصغيرتين، وانتاب كامل جسدها حركة شديدة. كنت أرى حركة صدرها السريعة.

«الرسم ونسخ الأشياء ووضع الخط الموزون والألوان المناسبة بجوار بعضها، تلك أمور يمكنك تعلمها في المدرسة، هذه لها قواعدها ومبادئها، وكل من يتمرّن لبضع سنوات يتعلّم. أنا أيضًا كنت أعرف هذا العمل، لكن ما كنت أعجز عن القيام به هو خلق العوالم والأحوال؛ أي خلق عمل فني يعكس السعادة التي أحسستَ بها في الحياة، والألم الذي تكبدته، والقلق الذي خيّم عليك من جراء إدراكك لحدث ما، والمذلة التي تجرّعت مرارتها، والانتظار والشوق والقلق والخوف والرعب والحسرة والفشل والوحدة، بحيث يحس المشاهد بنفس هذه العواطف، وتعلّم هذا أمر صعب جدًا، ولا يقدر عليه أستاذك في الرسم، ولو كان مفتونًا بوجهك

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الجميل.

كنت أود أن يتضح في عمل لي، ذلك الشوق الذي في أعماقي، وذلك الوحش الذي يقودني إلى النذالة والدناءة، هذا الوحش الذي يلتهم أعماقي. أنا ليس لدي أحد، هؤلاء هم من كانوا حولي، وهؤلاء لم يتعاملوا مع قلبي الإنساني. منذ الصغر، لم تكن لدي أخت حتى أشكو لها. صديقاتي منذ أن تعرفت على نفسي كنّ يحسدنني، وأمي كانت تنتمي إلى ذلك العالم الآخر. كان ما يرضيها في الحياة كتاب أدعية وسجادة وتسبيح وشيشة وضريح "شاهزاده عبد العظيم" وقم، تستمتع بالجلوس مع "خاور سلطان" و"أمين الحاجية" والسيدة "عرفان"، تدخن الشيشة وتغتاب الناس.

أما أبي فكان شيخًا كبيرًا، ومع أن له قلبًا حنونًا، لكنه لم يستمتع بشبابه. كان يقيّم كل شيء من وجهة نظره إما جيد أو سيء. ومع ذلك، كان يسعى ألا يتصرف على خلاف رغبتي. الأمل الوحيد الذي كان قد تبقى لي هو فقط أن أشغل نفسي بالرسم. وكلما كنت أكبر أكثر، أدرك أن هذه الهواية أمرٌ جادّ. كنت أتمنى أن ألقي بهمومي في فني وأبوح بما لا يمكن الإفصاح عنه. كنت أود لو أستطيع أن أقول لنفسي: لماذا لا يسعدني شيء في الحياة؟ كنت أود لو

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أحببت شخصًا وافتديته بكل ما أملك. على الأقل، كنت أتمنى أن أستطيع بيان ما لم يكن في مقدور شخصيتي العثور عليه في لوحة للرسم. هذه هي تلك المصيبة، قولها في بضع كلمات سهل ويسير، والتعبير عنها ينتهي في جملة واحدة، لكن الإنسان يظل العمر بأكمله يتجرع مرارتها، ويتجدد هذا الألم كل يوم في صورة جديدة. كنت أود لو أستطيع أن أرسم إحدى الصور العابرة بألوان وخطوط جميلة.

أتفهم في أي حال سيئة كنت حين أدركت هذه الحقيقة؟ يا للزمان الذي عشت فيه! يئست من كل شيء.

دعني أخبرك أنني فكرت حتى في الانتحار، وحتى إنني ذهبت يومًا بمفردي إلى بحيرة Bois de Boulogne تلك، واستقللت القارب وحدي، وجدّفت، وراودت ذهني لثانية فكرة أن أضع حدًا لحياتي كما فعل دوناتللو. حينما وقعت عيني على ماء البحيرة العكر، رأيت عالمًا أسود فانتابني الرعب، وضحكت على بلاهتي.

لمّا حكيت جزءًا من حياتي لذلك الشاب الشاحب الذي كان يبيع المنمنمات ويعيش فيMontparnasse قال لي: إنه

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الكسل، اذهبي واعملي، حتى تتذوقي لذة الحياة. كان محقًا، ليس لديّ هذه الميزة. عندما كنت طفلة، كنت أنادي على «فضه سلطان» لتناولني كأس الماء من فوق الكرسي وتضعه قرب فمي، هذه تربية مرحلة طفولتي، كيف كان ممكنًا أن أعمل؟

صعود سلم الفن العالي كان يلزمه شجاعة وعمل دؤوب، الأمر الذي كنت أفتقده في نفسي. لم أكن أقدر على أن أجلس لساعات وشهور وسنوات كإنسانة واعية أرسم بالألوان والخطوط الشيء الذي أرغب في التعبير عنه. لم أُرزق هذا الصبر. كنت دومًا أختار الطريق السهل، كان لدى الآخرين الإصرار، وأنا أفهم هذا. كنت ألحق الضرر بنفسي، وأعمل أيضًا ولكن يبقى العمل في النهاية غير مكتمل، فالتسلية واللهو يغلباني ويرمياني في عالم متناقض ومتقلب.

آه، الأستاذ، كان أستاذك من هذه الناحية رجلًا عجيبًا. لو كنت قد عرفته كما عرفته بعد عودتي إلى إيران، لقامت حياتي على أساس آخر.

أنا لا أجرؤ على أن أتفوه بكلمة سيئة في حقه، حتى حينما

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أكون وحيدة وأستحضر وجهه، لكن أستاذك، حبيبي الوحيد، ظلمني كثيرًا.

سأكشف لك سر هذه اللوحة التي كنت تشرحها لي في قاعة المتحف: «البيوت الريفية»، لقد اشتغل عليها ثلاث سنوات، ووضع لها مئات التصاميم. هل دقّقت في وجه ذلك العجوز الريفي؟ أتعلم مقدار البساطة ومقدار الخوف والرعب الكامنين في وجهه؟ إنه عجوز خبير ومتنوِّر. كم من ملك جلس على العرش وذهب أثناء حياته، لقد رأى جلالة الشاه بأم عينيه مرتين أو ثلاثًا، كان نفسه يعرّف العجوز بنفس الكلمات التي قلتها تقريبًا. ربما غيّر قسمات وجهه عشرين مرة. جلس يرسم في غابات «مازندران» لساعات طوال، في الصباح الباكر، في حر ظهيرة فصل الصيف، تحت الأمطار، في أول الليل، في ضوء القمر، وفي الليالي المظلمة التي غطّت السحب فيها السماء. سافر ذات مرة في فصل الشتاء إلى «مازندران» ليشاهد الغابة وهي مكسوة بحلة بيضاء. أحيانًا كان يرسم عدة شجرات من زوايا عديدة مختلفة وتحت إضاءات متنوعة، حتى يحصل على أفضل وضع. لو كنت أعلم أن الرسم يستلزم التعب والمعاناة لهذه الدرجة ما أمسكت أبدًا الريشة في يدي.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أنا لم أترب هكذا، لم يعلموني العمل، ولم أكن في حاجة إليه حتى أعيش حياتي. لقد كان الآخرون ينجزون كل أعمالي برغبة. كان شعار أبي: لا تقم أبدًا بعملٍ يستطيع الآخرون إنجازه لك، كان يقول إن هناك أعمالًا أكبر يجب أن نقوم بها نحن، أما أنا فليس هناك عمل أحسن القيام به.

أسوأ ما في الأمر أنه كانت لي القدرة على التمييز بين الفن والعمل التافه. أنا نفسي كنت أحس قبل أي أحد آخر أن هذا ليس بذلك الشيء الذي أبحث عنه، كان رأيي جيدا جدًا، لكن ما أنتجه كان مبتذلًا ولا روح ولا حركية له، وهذا ما منعني من الاستمرار في العمل.

وهكذا استمر الوضع حتى عيل صبري، وتعبت من الحياة، وكرهت العيش في باريس، فسافرت إلى إيطاليا، وهناك قمت بزيارات سريعة للمدارس، كما زرت مراسم عدة رسامين كبار في إيطاليا بتوصية من أساتذتي في باريس، وبرفقة العقيد آرام الذي كان وقتها موجودًا في روما للاطلاع على أوضاع طلبة القوة الجوية. لقد أثّرت فيّ عظمة فن هذه البلاد والروح الفنية التي مازال الناس يتمتعون بها تأثيرًا معكوسًا. لقد انحنيت أمام جلال هذه العظمة.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ذهبت يومًا عند أحد الرسامين الإيطاليين الكبار يدعى إستفانو، وبمجرد ما رآني، بادرني بالسؤال: هل أنت إيرانية؟

حينما سمع جوابي المثبت، أسهب في تمجيد الأستاذ، وبعد ذلك تحدث عن شاب إيراني آخر يسمى «خداداد»، والذي استطاع بمساعدةٍ من إستفانو أن يلتحق اسمه بـ E.d.B.A. كان هذا هو ذاك الولد الشاحب اللون، الذي أشرت إليه.

إستفانو واحد من كبار التشكيليين في العالم، ولوحاته كانت تباع بأسعار باهظة في جميع أنحاء الدنيا.

عظمة الفن الإيطالي وكلمات المدح التي قالها أكبر رسام في الدنيا في حق «ماكان»، قضت على أضعف مقاومة موجودة في نفسي وحوّلت أملي يأسًا، وتذكّرت لقاءه.

واستعدت ذلك المنظر، حينما كان يقلّب رسوماتي في يده، ويشاهدها واحدة تلو الأخرى، وحينما تذكرت ما قلته عنه لوالدي، أحسست بالخجل.

هذه الضربة الأخيرة دفعتني إلى أن أتخذ قراري، لم يكن يساورني أدنى شك. لقد ثبتت صحة قول الأستاذ في

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

طهران، أو بشكل أصح، ما لم يقله الأستاذ. لا أمتلك جينات الرسام الفنان، والبيئة الاجتماعية التي أعيش فيها سلبت مني القوة والتصميم.

أدركت هذا. لو أنه أخبرني في ذلك اليوم لربما كانت لدي حياة هادئة ولكنت أنا أيضًا هادئة. هو لم يقل شيئًا، وأنا لم أستطع أن أغفر له ذنبه هذا.

بالرغم من أنني كتبت لأبي أنني قررت أن أبقى في إيطاليا ستة أشهر لأدرس فيها، لكنني عدت إلى باريس بعد أسبوعين، وكتبت رسالة لوالدي. واليوم حين أتذكر ذلك أحس بالألم.

كان أبي أقرب شخص إليّ في حياتي بعد الأستاذ. كلما أحس بالبؤس في حضرته، كان يروق لي أن أضع رأسي على كتفه وأستسلم للبكاء.

والدي رجل عاقل، وأظن أنه قبل أن يشعر بمحبته لي، لم يكن قد تذوق أبدًا طعم الحب والحنان، كان يفكر في المستقبل فقط، ويريد أن يشعر بأنني سعيدة. في إحدى الرسائل التي كتبتها في السنة الثالثة من إقامتي في باريس،

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

وبعد أن علم أبي بأوضاع حياتي عن طريق رسالة أحد البلهاء الحقودين، اعترفت أنني ارتكبت خطًا فادحًا في حياتي، فلم يكن من حقي الذهاب إلى فرنسا، وكان من الأفضل لو بقيت في طهران، وعشت حياة عادية.

كتبت له بصراحة ووضوح أن ما كان قد أبداه رسام طهران المعروف من رأي في رسمي كان قريبًا من الواقع تقريبًا. لكن أبي إما أنه لم يفهم وإما أنه لم يهتم بكلامي. حينما عدت من روما إلى باريس، جلست وحاولت قدر الإمكان أن أشرح له مأساة حياتي. كتبت له أنني لا أتقدم كثيرًا في أعمالي، وأن الرسم فن جد صعب، وأنا إلى الآن لم أستطع إرضاء أساتذتي، وأريد أن أرجع إلى إيران، وطلبت منه رأيه في الموضوع. كان من المعلوم والمؤكد أنني لا أستطيع أن أكتب لأبي عن كل الصعوبات في حياتي المضطربة في أوروبا، لكن صدقني، مع ذلك، فقد سعيت قدر ما أستطيع لأن أكون صادقة.

أما الرسالة التي تلقيتها جوابًا عن رسالتي كانت تبعث على اليأس كثيرًا. فقد كتب والدي في جوابه أنه لا يريد شيئًا في الحياة غير سعادتي ورفاهيتي، ولا يرغب أبدًا أن يطرح عليّ خطة لمستقبلي، فما بالك بأن يفرض أوامر، لكنه سمع أن

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

العقيد آرام، وهو من جميع النواحي، رجل صالح وفاضل وله مستقبل زاهر بالتأكيد، قد تقدّم بطلب الزواج مني. لو يعلم هو أن ابنته الوحيدة سوف تكون لها حياة سعيدة، ليس مع العقيد، بل مع أي شخص تريده فلن تبقى هناك أمنية في الحياة لم تتحقق، يستطيع أن يموت وهو مرتاح البال.

رسالة أبي هذه نفرتني من الحياة؛ بمَ أفكر أنا، وبمَ يفكر هو! كنت أحاول أن أفهمه أنه ليس لدي موهبة، وأنني أعاني الأمرين من هذا الجهل، وهذا الضعف، بينما كان هو يختار لي زوجًا.

كنت أبحث عن ملاذ في هذه الحياة المليئة بالقلاقل، وأريد أن أجد شيئًا تتعلّق به نفسي عسى أن تنتهي هذه الأزمة الروحية والأخلاقية التي داهمتني. ذهبت وعثرت على الشاب الذي كان إستفانو قد تحدث عنه في روما، بيد أن هذا كان أمرًا عسيرًا. كنت قد رأيته في السنة الثانية حين توقفت في باريس في مدرسة الفنون الجميلة، كنت أعرفه، ولقد كانت خطيبته فتاة ظريفة، غير أنه لم يُر في هذه الأماكن منذ زمن طويل. كل من أسأله لا يجيب جوابًا محددًا. أتذكّر حينما سألت العقيد آرام عن أحواله، قال: «آه، هذا من المتطرّفين، أسوأ سمعة حتى من طلاب برلين. ما دخلك أنتِ

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

بهؤلاء؟».

كان أكثر الطلاب الإيرانيين المقيمين في باريس يعرفونه، غير أنهم لم يكونوا يعلمون أن يمكن العثور عليه، أو كانوا لا يرغبون في إعطاء أية معلومات عنه. كان الكثيرون يتعجّبون من سؤالي، ولأنهم على علم بالقرابة التي تربطني بمسؤول الطلاب العسكريين، كانوا يتصورون أنني أبحث عن أحواله بنية سيئة. بعد مرور أسبوع، وجدته أخيرًا.

كان قد استأجر منزلًا في (14) Rue de la vavin, Montparnasse وكان الطلبة الإيرانيون يعرفونه جيدًا، بيد أنه لا أحد يرغب بأن يعطي معلومات عنه بشكل علني.

هذا الشاب الطويل والنحيل المضطرب الحال، كان الوحيد الذي لا ينظر إليّ بعيون عاشقة، ربما لأن فتاة سليمة وظريفة كانت ترعاه كأخت حنون.

ربما أيضًا لأنه كان دائم المرض، وكان يرى نفسه بين أحضان الموت. آه، كم أتمنى أن أراه اليوم وقد أصبحت فاشلة ومنبوذة.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أنا متيقنة من أنه سيُدخل البهجة إلى قلبي، وربما يرشدني إلى طريق النجاة.. آه، ما أحلاها من أوهام!

كان هذا الفتى منشغلًا بالنضال، ومنذ أن وعى بنفسه وهو يصارع وتتقاذفه أمواج الحياة من صخرة إلى صخرة، بيد أنه عزمه لم يخر. كان من ألد خصوم الاستبداد، يستميت على عقيدته هذه، لدرجة أنه كان يحلل أي موضوع من خلال عدائه هذا. أعلم أن «مهربانو» رفيقته وصديقته المخلصة قد عشقت فقط إرادته الصلبة والعنيدة هذه. كانوا ينادونه «خداداد»، ولا أعلم بتأثير أي سحر من جانبه. حكيت له آلام حياتي، واستطاع أن يجعل مكانًا لنفسه في حياتي.

كان هذا الشاب يتحدث بصراحة ومن دون تحفظ، إلى حد الوقاحة أحيانًا. بيد أن أسلوبه في التعبير لم كن خادشًا. كلما كان يعيّرني بحقائق حياتي المنحوسة كنت أزداد تعلقًا وافتتانًا به.

وحينما شرحت له كيف تعامل معي الأستاذ «ماكان»، وكيف عرّفته أنا لأبي، أجابني بدون حياء: «إن هذا أكبر دليل على جهلك».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

تصور، لم أكن أسمح لأحد أن يتحدث معي بهذه الطريقة، الشباب الآخرون الذين لا يساوون عندي مقدار قشّة، كانوا جميعهم يرقصون فرحًا بإشارة واحدة مني. لم يكن هؤلاء آدميين، ولم أكن أسمح لهم أبدًا أن يتجاوزوا حدودهم خطوة واحدة. فضلًا عن ذلك، فإن تصرفاتي معهم لم تكن حميمة، في حين رماني هذا الشاب النحيل والطويل بالجهل في اليوم الأول الذي ذهبت فيه للقائه بعد عودته من إيطاليا. أصبت بالرعب، ولم أجرؤ على مجرد الغضب، فما بالك أن أرد على جسارته بطريقة معينة!

عثرتُ على بيته في منطقة Montparnasse بصعوبة. كان منزله يقع في علية الطابق السادس، وقد غُطّيت نصف الغرفة بسقف مائل، يشرق عليها نور الشمس من نافذة صغيرة، لا العين ترى سوى أسطح مغطاة بالطين والمداخن تتراءى من النافذة، وعلى الجدار تجلب نظرك خطوطٌ قاتمة اللون خلّفها من ورائه جريان ماء المطر. كانت الساعة تشير إلى الحادية عشرة صباحًا، ولأني كنت قد سمعت أنه يعمل في بيته، ذهبت قبل الظهر، بيد أنه لم يكن موجودًا.

استضافتني خطيبته، فقد سبق وأن رأيت هذه الفتاة مرة واحدة لكننا لم نتعارف. كانت ذات شعر أسود، وعيناها

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

كعيني غزال. لم تكن فاتنة الجمال، لكن وجهها يبدو كوجه فتى في الثامنة عشرة من العمر يطفح بالحيوية والشغب، وقامتها النشطة والمرحة تجذب المرء إليها.

"مهربانو" من الفتيات الإيرانيات الأوائل اللواتي ابتعثن إلى فرنسا على نفقة الدولة، وكانت تلتقي بـ"خداداد" خلسة بعيدًا عن أعين السفارة وإدارة البعثة. وقد التحقت بكلية الطب في باريس، وكانت تريد أن تتخرّج طبيبة أطفال.

أدركت من النظرة الأولى أنها ليست مرتاحة لرؤيتي. كانت هذه الفتاة بالغة البساطة لدرجة أن أقل تأثر يبدو على وجهها، ومع ذلك، فقد فهي أكثر طيبة تُظهر. وأنا لم أكن ممن يعرض عنها.

بادرت بالكلام، فقلت:

«جئت كي أرى "خداداد". أنا أتيت من روما، والتقيت بإستفانو هناك. أتعرفين إستفانو؟»

أردت أن أجبرها على الكلام. لكنها لم تجب، إنما اكتفت بإيماءة من الرأس. وأكملت كلامي:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«إستفانو حاليًا هو أكبر رسّام في العالم. سأل عن أحوال "خداداد"، وقد جئت لأرى أعماله».

ابتسمت ابتسامة أزهار أول الربيع، وفُكّت عقدة قلبها.

«لم يعد "خداداد" يشتغل».

«لماذا؟»

كانت لـ"مهربانو" نبرة أخّاذة كأنها وَتَر يستجيب لحنًا شجيًا لأصغر نقرة على قلبها، وتظل ذبذباتها تجوب الهواء لمدة، وتجعيدة تعلو جبينها تحوّل على الفور ملامح وجهها البشوشة والجذّابة إلى حالة حزن تثير الرقة.

ألقيت نظرة على حاملة لوحة الرسم المقابلة للنافذة، وكان موضوعًا عليها قطعة ورق مقوّى، وأستطيع أن أرى من هذه الناحية ظلها فقط.

انتبهت الفتاة لنظرتي وقالت:

«هذه هي كل أعماله».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«دعيني لأرى بنفسي».

«إنها غير مكتملة، سأريك إياها».

هبّت واقفة وأخذت منمنمة ألوانها غير مكتملة وناولتني إياها وقالت:

«يرسم مثل هذه ويبيعها ويعيش منها. لا يبقى الوقت للرسم الحقيقي».

«لماذا؟ ألم يعودوا يصرفون له منحة الدولة؟»

«كلا، أوقفوها منذ ستة أشهر، وهو يعيش من بيع هذه المنمنمات».

«لماذا أوقفوها؟»

«لا أدري ما أقول، اسأليه بنفسك. هم في نهاية المطاف يعرفون "خداداد". الجميع يعرف كيف يفكّر. من المؤكد أنهم أخافوك أنت أيضًا. منذ مدة طويلة، هذه أول مرة يأتي

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

فيها شخص إيراني يتفقده، كأني أسمع وقع قدميه... أظن أنه هو، الحياة عجيبة. لا يقوى على المشي، ومع ذلك فهو دائم الحركة، ولا يفكر بتاتًا في صحته. طوال الوقت يسعل، لكنه يعتقد أن حالته جيدة وأنه مزكوم. هل سمعت مرة بزكام مزمن؟ مرهق على الدوام، أظن أنه محموم ويخفي عنّي. وما يتبقى له من وقت يجب أن يرسم فيه هذه الأشياء، وكل ما يدرّ من دخل يجب أن يصرفه على الدواء والطبيب. يصعد السلالم كالعجزة.

سمعتُ صوتا مرحًا من بعيد:

«مهري، مع من تتحدثين؟»

انتصبت "مهربانو" واقفة، ذهبت وفتحت الباب، وأجابت بصوت مرتفع:

«تعال بنفسك لتشاهد، عندنا ضيف، أصبحت الآن مهمًّا ويأتون من إيطاليا لمشاهدة أعمالك. يجب أن تخجل من نفسك، ماذا لديك لتعرضه؟»

تجلّت طلعة "خداداد" على مدخل الغرفة بقامة طويلة

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

وصدر ضيق وشعر أشعث ترجّحت خصلة منه على جبينه.

كان يتأبط علبة كبيرة ألقى عليها معطفه. وضع على الأرض الجرائد الفارسية أولًا، ثم رمى بمعطفه على حافة السرير بعد ذلك.

«سررت كثيرًا بمجيئك، لكن أخبريني ألم تخافي؟ كيف تجرّأت للمجيء عندي؟»

بعدها التفتَ ناحية "مهربانو" وقال:

«غير صحيح ما تقولين؟ إنها لم تأت من إيطاليا. أنت مسجلة في E.d.B.A. تعرّفنا على بعضنا هناك، أليس كذلك؟»

راقت لي نبرته المبتهجة والحميمة، أجبته من صميم القلب بنفس تلك النبرة الضاحكة، فقلت:

«نعم، لقد جئت من إيطاليا الأسبوع الماضي. كان إستفانو يسأل عن أحوالك وعن رسام آخر، يبدو أنه حاليًا في طهران... غير أني لم أفهم لماذا نخاف؟»

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

قاطعني:

«هل رأيتِ إستفانو؟ أما زال يتذكّرني؟ الشخص الآخر الذي سأل عنه، هو بالتأكيد، الأستاذ "ماكان"، أليس كذلك؟»

قلت له:

«أنت أيضًا تعرف "ماكان"؟»

«بالتأكيد أعرفه. لو لم يكن هو، لكان اليوم قد اهترأ على بدني ألف كفن. على فكرة، "مهربانو"، إن الأستاذ قد أرسل رسالة، خذي، اقرئيها بصوت عال حتى تسمع ضيفتنا. لم أر رجلًا في حياتي بإحسانه وشجاعته. إنه لا يخشى شيئًا».

سلّم الرسالة لـ"مهربانو".

حينما تلفّظ باسم الأستاذ دبّت في بدني قشعريرة اشمئزاز. كان الأستاذ قد أصبح رمزًا ليأسي وضعفي، وإحساسي بالنقص والإنهاك يزداد كلما زادت الأشياء التي تدل على أهمية الأستاذ "ماكان" وفضله. تشكّلت في ذهني الذكرى المتقطّعة عن يوم اللقاء الأول ذاك؛ وأنا أراه بعيني جالسًا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

على مكتبه يشاهد أعمالي. التفت "خداداد" ناحيتي وقال:

«أتعرفينه؟»

«التقيت به مرة واحدة لكن لا أعرفه جيدًا».

قال:

«مهري، لماذا لا تقرئين الرسالة بصوت مرتفع؟ كتب هناك في آخرها بعض الكلمات الخاصة لك، لا أريدك أن تقرئيها، أولها من هنا...»

أخذ الرسالة من يد المسكينة وقال:

«خذي، اقرئي من هنا، أنت أيضًا أنصتي».

أعاد إليها الرسالة وبدأت الفتاة تقرأ باستسلام هكذا:

«ما كان يجب عليّ القيام به من أجلك قد قمت به، وليس لدي أمل أن تصل إلى نتيجة في النهاية. رئيس دائرة الأمن يحسب لك ألف حساب. لقد وصفوك لدى فخامته بـ

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

.terrible(15)

ماذا فعلتَ حتى صرتَ سيء السمعة لهذه الدرجة؟ لكن لا تيأس! إذا أردت، تستطيع أن تنجز شيئًا، يجب ألا تخلي الساحة. ما أسهل أن تصير عالمًا، وما أصعب أن تصير إنسانًا! انتظر حتى يتغيّر رئيس دائرة الأمن هذا، شريطة ألا تفقد جرأتك. يقولون إن جميع الرسومات والكاريكاتيرات التي تنشر في باريس في الرسائل والصحف الفارسية وحتى في المجلات الفرنسية عن أوضاع إيران هي أعمالك. لا قدّر الله!..»

لم يسمح "خداداد" أن تكمل الرسالة فقال:

«إنه أستاذ شهم».

ضحك "خداداد"، ولم أفهم معنى ضحكته. أكملت "مهربانو" قراءة الرسالة:

«لا تهتم، هذه هي الحياة. أحيانًا يجب أن تتقبل الفشل. والآن دورك لتُضرَب. فالشّجار لا يخلو من الدموع والكسور...»

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

كانت رسالة مطولة، بيد أن "خداداد" كان في عجلة من أمره، وربما لم يكن لديه وقت حتى يكمل الرسالة إلى نهايتها. ذهب وفتح الجرائد التي كان قد لفّها بخيوط، جلس على الكرسي وشرع يقرأ إحداها. كانت "مهربانو" تقرأ الرسالة وأنا أنصت:

«كان رئيس دائرة الأمن ينقل عنك أخبارًا، يقول إن صحيفة تحمل عنوان "پيكار" تصل كل أسبوع لجميع الطلبة في فرنسا. تصدر هذه الصحيفة في برلين، وأنت من توزعها على الشباب الإيراني في فرنسا...»

نظر "خداداد" إلى ساعته، ولم يترك رسالة الأستاذ تُقرأ إلى نهايتها، سأل "مهربانو":

«ما غذاؤنا لنهار اليوم؟ لا نستطيع الذهاب إلى المطعم، كما تعلمين. لأننا لا نملك مالًا. يجب أن نتناول شيئًا هنا، شيئًا تستطيع ضيفتنا مشاركتنا فيه».

أنا أيضًا نظرت إلى ساعتي. كانت حوالي الواحدة زوالا.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أثر فيّ إخلاصه، وقبل أن تستطيع "مهربانو" التغلب على حالة الاضطراب التي كانت قد داهمتها، وتستعيد هدوء قسمات وجهها وتجيب، بادرت بالكلام، فقلت:

«إذا أذنتم لي، أنا أدعوكم لنذهب معًا لتناول الغذاء في المطعم».

قال "خداداد":

«إنها فكرة رائعة جدًا».

«لا، أنت لا تستطيع أكل طعام المطعم» ألم يمنعك الطبيب من أكل اللحم. سيدتي، هو لا يفكر في نفسه أصلا. أنا لا أسمح لك بالذهاب إلى المطعم».

غالبنا الضحك أنا و"خداداد":

«عزيزتي مهري، لا تغضبي. الحق معك. حسنًا لنر ماذا لدينا؟»

رمى بالصحف أرضًا، وتوجه صوب حقيبة كانت تحت سرير

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

النوم. أخرجها، وألقى نظرة داخلها وقال:

«خبز، زبدة، ما هذه العلبة؟ لدينا أيضًا الجبنة الهولندية. مربى كانت والدة مهري قد حضّرتها في طهران، وماذا آخر؟ إذا أردت الموت اذهب إلى گيلان(16). والشاي يحضّره لنا صاحب البيت، وأنا يجب أن أشرب الحليب. إنه وجبة ملكية».

بعد ذلك، سألني:

«هل أنت مستعدة لأن لتشاركي فقراء مساكين؟»

أجبته ضاحكة سعيدة:

«بالنسبة لي هذا كثير» حقًا أنا لم آت إلى هنا لأتناول الغذاء، لكنني لا أقدر أن أرد دعوتكما».

التفت "خداداد" ناحية "مهربانو" وقال:

«إذن، قومي! واطلبي من صاحب البيت أن يحضر لنا شايًا وحليبًا. فضلًا عن ذلك، فإن وراءنا عملا. إلى أن تحين الساعة

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الثالثة يجب أن نكتب العناوين على كل الصحف ونوصلها إلى البريد. الصحف المتوجهة إلى إيران يجب أن نلفها في صحف "ماتن" القديمة».

خرجت "مهربانو" من الغرفة، وبمجرد ما استفردتُ به سألته:

«ما هذه الصحيفة التي ترسلونها إلى إيران؟»

علا وجهه التعجب وقال:

«ألم تري أنت صحيفة "پيكار"(17)**؟»

الحق أنني كنت قد رأيت هذه الصحيفة، كانوا يرسلونها إلى عنواني أحيانًا. أتذكر مرة أن رسالة وصلت إلى جميع الطلاب الإيرانيين من السفارة تدعونا في حال وصول هذه الصحيفة لأن نسلمها للسفارة على الفور دون فتحها. وكان هذا الأمر مدعاة لسخرية الطلاب، وكل من لم ير صحيفة «پيكار" حتى ذلك الوقت، كان يطلبها من صديقه.

قلت:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«لا، لم أرها».

بدا هذا الشاب البهي الطلعة متجدد النشاط.

«أين عشت حتى لم تعلمي بوجود مثل هذه الصحيفة؟! تُرسل إلى إيران حوالي ألف نسخة منها، يقرؤها عشرات الآلاف من الناس، على الأقل. تدور نسخها من يد إلى يد، هذه هي الصحيفة الوحيدة التي تصدر باللغة الفارسية وتعرّي واقع الناس المؤلم».

قلت لنفسي: الآن، أعرف لماذا أوقفت الدولة صرف المنحة له.

أعطاني الصحيفة لأقرأها، وتحدث لي لمدة، عن موضوعاتها الرئيسة، وعن الاستبداد الحاكم في إيران.

حينما كان يتكلم كان جسده يرتعد بالكامل، وعيناه تصبحان مستديرتين وتلمعان، وبين الفينة والأخرى كان يرفع يده ليرد شعره المشتت عن جبينه ويرميه إلى الخلف.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

كان يضع يدًا في جيبه، ويحاول باليد الأخرى أن يجسد الكلمات التي تخرج من فمه.

أصابع يده اليمنى الخمس كانت دائمًا ما تتمظهر في الهواء بأشكال مختلفة. وأحيانًا يقذف بنفسه من كرسيه الذي يجلس عليه إلى الخلف في حركة سريعة، كما لو كان يستطيع من بعيد أن يجعلني تحت تأثيره، بشكل أفضل. حين كان يضع رجلا على أخرى، يصير أكثر هدوءًا، وفجأة يهبّ واقفًا، ويضغط بكلتا يديه على حافتي الكرسي ويبقي جسده معلّقًا في الهواء وهو يتحدث.

كان هذا الشاب قطعة نار وكتلة أعصاب. كنت أحس بنفسي قريبة وطبيعية وغير خجولة أمامه، وهذا لم أشعر به قبل اليوم. إن صدى صوته القاطع والحاد يتردد كما يتردد صوت المطرقة حينما تضرب على السندان. لم أكن قد رأيت كل هذا الحماس والفوران في أحد من قبل.

تحدث لمدة عن أوضاع إيران، عن الجرائم التي تُرتكب والفساد والرشوة، وعن الثروات التي تنقل إلى الخارج على أيدي أبناء الأعيان أمثالي، وعن الأبرياء الذين يموتون في الزنازين، والرجال الذي يقعون فريسة لجشع وأهواء الشاه،

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

وعن نشر الفسق والتزوير والرياء، وعن نفوذ الإنجليز الذين يسخرون من هؤلاء الرجال كما يسخرون من المهرّجين. فجأة، كان يتريث قليلًا، ويشير إلى حياتي، كان يقول مثلًا:

«في الوقت نفسه أنا وأنت نتسكع في باريس، نسرق أموال هذا الشعب ونرميها بعيدا. هل فكرت، حتى الآن، من أين تُؤمَّن حياتنا أنا وأنت؟»

كنت ملتزمة الصمت، حقًّا أحس بالخجل في بعض الأحيان، وكأني شريكة في كل هذه الجرائم ولدي مسؤولية في ذلك.

بعد ذلك، تحدثت أنا عن نفسي وعن E.d.B.A وبيئة الطلاب الإيرانيين وكيف أنها أفقدتني أعصابي، وتحدثت عن ضعفي وعدم رضاي عن عملي، وعن الأستاذ واعتبرته مقصّرًا لأنه أجبرني على الذهاب إلى الخارج. كان بإمكانه أن يعلّمني الرسم، وأن يقول لي باللغة، التي يجب أن يكون كل معلّم مطلعًا عليها، إن الرسم يختلف عن التسلية، وإنه يجب عليّ ألاّ أهدر حياتي في عمل لم أُخلق له.

وقلت في النهاية:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«ماذا بوسعي أن أفعل؟»

«آه، كل شيء».

فُتح الباب ودخلت "مهربانو" وفي يدها بعض الكؤوس وسكين وشوكة، وتشاجرت معه:

«ألم تقم أنت بأي عمل؟ هيا انهض، وضع السفرة، غطاء الطاولة عندك داخل الخزانة. رتّب الطاولة، حتى أحضر أنا الشاي والحليب».

نهضت من مكاني واقفة وقلت:

«سيدة مهري، ناوليني إياه! أنا سأعد كل شيء. اذهبي أنت وأحضري الباقي».

كان هذا الرجل قد أرعبني، كنت أخاف أن أنظر إليه، تمامًا كما أخاف الآن أن أنظر إليك».

***

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

قطعت المرأة المجهولة كلامها دفعة واحدة، تأوهت من أعماق قلبها، وكانت عيناها تلمعان من البلل، لم تكن دموعًا. هذه المرأة تنسى نفسها أحيانًا، أنا لا أدري لماذا انتحت سبيل الصمت فجأة، ولم أشأ أن أُفرِطَ عِقد ذكرياتها. حدّقَت فيّ للحظات، غير أني كنت أنظر إلى الأرض. إنها صادقة، لقد كانت نظراتها مليئة بالعجز والضعف، مع هذا لم أكن أرغب برؤية هذه النظرة. ثم بدأت من جديد:

«يا لك من رجل عجيب! لا أعلم لماذا أحكي لك قصة حياتي، كل هذا لا معنى له.

أنظر إليّ! ماذا تخشى! أنا أبوح بما في أعماقي. أنظر، أنت تفهم من عيني أني أقول الصدق أو الكذب، لم تعد بداخلي تلك القدرة التي تتصورها أنت، أتعلم أي نوع من الناس أنا؟ أنا ذاك الشيء الذي يسميه الناس، عادة، الإنسان الظالم. قوتي كلها تبرز فقط حين أواجه من هو أضعف مني، أما حين أواجه شخصية أكبر مني، تخور قواي ولا يبقى لي شيء، وأحس بضعفي إلى حد يثير الشفقة، حتى ذلك الوقت الذي كان أستاذك مطيعًا لي... لا، ليس مطيعًا، فمطيع كلمة غير جيدة، فهو لم يكن في أي وقت مطيعًا لأي أحد، حتى ذلك الوقت الذي كنت فيه بالنسبة للأستاذ متساوية معه،

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

كنت ألاعبه. لكن حينما تسلّطت على كامل وجودي، فجأة، قوة أكبر من قوة الجمال، وكل ما تريد أن تسميه، قوة ما فوق اللامبالاة، وألقت بي الحياة بعنفها وقسوتها في غياهبها، لم يعد لدي حينها إرادة ولا اختيار.

كنت طائرة ورقية هائمة في السماء، وغافلة عن أن رأس الحبل هو بيد طفل شقي مشرد. أتفهم ما أريد قوله، لم أدرك أبدًا خلال تلك الأيام هذه الحقيقة المرة. كنت أتصور أن كل حركاتي وأفعالي هي بمحض إرادتي ورغبتي، واليوم أحاول أن أضع ذلك الإحساس الغامض والمشتّت في قالب ما. كان "خداداد" أقوى مني أيضًا، لقد فتنني هذا القلب الرحيم والمحب بلا حد أو حصر، ولم أستطع مقاومته. لماذا أقول إحساس غامض ومشتّت؟ صحيح أن نفوذه الأخلاقي ترك أثرًا في حياتي، بيد أن تأثير شخصيته عليّ لم يكن قد وصل إلى عظمة الأستاذ وجلاله، كان وجودي مازال لم يحترق ولم يتحول إلى رماد بعد.

أصبحت مريدة لـ"خداداد"، أريد أن أساعده مهما كلّف الأمر، لم أكن أؤمن بما يقوله لي، غير أني أحب أن أكون محط احترامه. لم يكن قصده خداعي، كلما أعطاني أمرًا، نبهني إلى الخطر الذي يُحتمل أن يواجهني، لكنه أيضًا لا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

يستطيع أن يصب سائلا مذابًا في عبوة زجاج أكثر من سعتها.

بعد أسبوع أو اثنين، كنت قد أصبحت صديقة مقربة إليه جدًا، لدرجة أن "مهربانو" كانت تأتيني لتشكو همومها. يا لها من حياة مضطربة تلك التي يعيشانها، لكن في الوقت نفسه، كانا على الدوام سعيدين وضاحكين وراضيين. النضال جعلهما هادئين، كم أتحسر! لو كنت أعلم حينها ما أعلمه اليوم، لما وجدت امرأة تعيسة هذه الليلة جالسة أمامك، ولم يكن للوحة "عيناها" وجود، وربما كان الأستاذ مازال حيًا أيضًا.

ليس معنى هذه الجملة أنني قتلته، لا، معناها أنه هو أيضًا عرّض نفسه للقتل وعرّضني أنا أيضًا للقتل.

"خداداد" ضحّى بنفسه من أجل الأستاذ "ماكان"، كان يدين بكل شيء في حياته للأستاذ، لقد صادفت في باريس ميزاتٍ بين هؤلاء الشباب الذين ضحوا بكل شيء، نقرأ عن نظيرها بالضبط في كتب الماضي، حينما كان هؤلاء يثقون في أحد ويطمئنون إليه، يتغاضون عن كل ما يملكونه، الفرق أن الأمر في الماضي ربما كان تعبديًا، أما اليوم فهو أمر

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

يصدر عن وعي ومعرفة وإصرار.

كان "ماكان" قد صقل موهبة "خداداد"، وهو الذي يسّر مستلزمات سفر ابن البستاني الشريد إلى أوروبا ودراسته في باريس.

سألت يومًا "مهربانو":

«لماذا يحب الأستاذ "ماكان" لهذه الدرجة؟»

«أنا لم أر "ماكان"، لكن بحسب ما يقول "خداداد"، أعرف الأستاذ أفضل من نفسي».

«كيف تعرفينه؟ أي نوع من الناس هو؟»

«ولكنك أنت قد رأيته».

«لم أقابله أكثر من مرة واحدة، كان رجلًا أنانيًا وفظًّا في نظري».

«لا يجب أن يكون هكذا».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«عجيب، قولي لي!»

«سأقول لك، لكن "خداداد" لا يرغب أن يتكلم أحد عن هذا الموضوع، لأنه خطير، ربما يقبضون على الأستاذ في طهران، لكن أنت لا تخبري أحدًا، أنا أيضًا لا أعرف كل شيء. تتذكرين أنه قبل بضع سنوات تم إلقاء القبض على حوالي مائتي شخص من الطلاب والمعلمين والأطباء في طهران وبعض المدن الأخرى، أحد الأشخاص الذين كان من المقرر إلقاء القبض عليه، ومازالت دائرة الأمن تبحث عنه، هو "خداداد" هذا، أنقذه "ماكان"، أخفاه في منزله أسبوعًا كاملًا. بعد ذلك، أرسله إلى إحدى ضيع طهران التي كانت ملكًا لأحد أصدقائه، كما أعدّ لـ"خداداد" هوية مزورة، وبمجرد ما تم تغيير رئيس دائرة الأمن ورجعت المياه إلى مجاريها حجز له تذكرة وأرسله إلى الخارج. اسمه الحقيقي ليس "خداداد"، لم يفصح لي عن اسمه الحقيقي. كان يعطيه مصروفه لفترة، إلى أن أقدم من طهران على التسجيل بواسطة الرسام الإيطالي إستفانو، وهذا الأخير هو من ألحقه بـ E.d.B.A، ومنحه شهادة خولته أن يكون من جملة الطلاب الحكوميين المبتعثين من طرف وزارة الثقافة. كان يستلم منحته، بشكل منتظم، ولم تكن حياته سيئة. كان بإمكانه أن تكون له حياة

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

جيدة، لكنه كان يصرف أكثر ماله على طباعة الصحف والمنشورات».

قلت:

«لم أكن أصدق أن يكون الأستاذ إنسانًا ذكيًا وجسورًا إلى هذا الحد. عجبًا، يا له من إنسان غريب!»

قالت "مهربانو":

«على العكس، الأستاذ "ماكان" إنسان فريدٌ جدًا. دعي "خداداد" نفسه يحكي لك».

«لا أعلم، مع هذه الضغوط الموجودة حاليًا في إيران، هل ضاق ذرعًا بحياته؟»

«أليس "خداداد" هكذا؟ صحيح أن الإنسان هنا في الخارج يزداد جرأة، وبخاصة حينما يكون قد تخلى عن كل شيء، لكن مع ذلك، هم أناس عجيبون، يفكرون في الجميع، إلا في أنفسهم. إنه يرى دائمًا الخطر المحدق بي ويحميني، لكنه لا يفكر في سلامة نفسه، لا يسير معي كثيرًا في شوارع

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

باريس، لئلا يرانا أحد من السفارة معًا، ويستدعونني من طهران، ويقطعون مصروف دراستي. وزعت السفارة بيانًا على جميع الطلبة الإيرانيين بألا يختلطوا به. جميع من في السفارة يعتقد أنه هو الوحيد الذي يحيد الطلاب الإيرانيين عن الطريق ويوعّيهم بالسياسة».

«ماذا حصل حتى أوقفوا صرف منحته؟»

«بسبب هذه المقالات التي كُتبت في الصحف في فرنسا».

«أهو من يكتب هذه المقالات؟»

«كلا، لم يكن هو من يكتب المقالات، لكن هناك فتى يدعى "غيرت"، كان جاسوس السفارة، يجتمع بالشباب وينتقد الشاه والدولة أمام الطلبة، وحينما كان يقول أحد شيئًا يزيد على كلامه، ويقدم تقريرًا للسفارة بذلك. سرق هذا الفتى من محل في مدينة بوردو علبة تصوير فوتوغرافية، وحبس ثلاثة أشهر، وكتبت عن الواقعة صحف بوردو. أما صحيفة "پيكار" فقد نقلت خبر صحف بوردو تحت عنوان: "تعرفوا على جواسيس السفارة". تجادل الطلبة الإيرانيون حول هذا الموضوع كثيرًا، كان العديد منهم غير مصدق، بيد أن

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

"خداداد" لم يأخذ حذره، وبحث عن نسخة لصحيفة بوردو التي تحمل اسم (18)La Voix de Bordeaux والتي نشرت قصة سرقة «غيرت»، وعثر عليها وأظهرها للجميع. واضح أن الفتي أضمر العداوة والحقد لـ «خداداد» بسبب هذا الموضوع. في النهاية أُجبر «غيرت» على العودة إلى إيران دون أن يكمل دراسته. وبعد سنة، ومكافأة له على الخدمات التي أسداها في فرنسا لرفع سمعة البلد، عُيّن رئيسًا لمصلحة التعليم العالي في وزارة الثقافة، ومن موقعه ذاك، أرسل تقريره السري والمباشر إلى البلاط، وكانت نتيجة ذلك قطع مصاريف دراسة «خداداد»».

أنا عشقت هذا الولد وهذه البنت من صميم الفؤاد، يا للجرأة التي كانا يعملان بها معًا» لا أحد منهما يفكر أنه في النهاية لا يمكن العيش دومًا على هذا النحو. قالت "مهربانو":

«حينما أكمل دراستي سأعود إلى إيران»

«وماذا ستفعلين مع "خداداد"؟»

«هو أيضًا سوف يرجع».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«في ظل هذه الأوضاع، لو عاد فسوف يعتقل».

«وهل الأوضاع ستبقى على هذه الحال للأبد؟»

ما كان يواسيها هو هذا الأمل في المستقبل.

كنت أزورهما مرتين أو ثلاث مرات في الأسبوع، على الأقل. أحيانًا كنت أساعده، فأرسم له صور حواشي المنمنمات، وألفّ الصحف التي يريد إرسالها إلى إيران وأوصلها إلى البريد. وحين أحسست أنه في ضائقة مالية وحياته لا تسير كما ينبغي ببيع المنمنمات، أرسلت له مرتين بواسطة البريد مبلغ مائتي فرنك في كل مرة.

بعد فترة، ذهبت يومًا إلى بيته، وجدته طريح الفراش وكل بدنه متورم. اتضح أن كبده ليست على ما يرام، لم يكن معه مال حتى يزور الطبيب، بمجرد أن دخلت إلى الغرفة، قال لـ"مهربانو":

«حسنٌ، مهري، إذا أردت أن تذهبي، الآن، فلا مانع من ذلك. أنت، هل عندك وقت لتبقي هنا ساعة أو ساعتين؟»

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

قلت له:

«ليس لدي ما يشغلني، وحتى لو لم يكن عندي وقت، فإني مستعدة لأن أبقى بجانبك الليلة كلها».

«آه، مهري، أتسمعين ماذا تقول؟ ألا تغارين؟»

قالت «مهربانو»:

«لا تجعل من نفسك مهزلة. انظر كم أنت قبيح!»

بمجرد ما ذهبت المسكينة، قال:

«أنا ليس لدي مال، هل تستطيعين أن تقرضيني؟»

«أعطيك كل ما أملك».

«كم معك؟»

«لدي بعض المال في البنك، والآن معي مائتان إلى ثلاثمائة فرنك».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«انظري بالضبط كم معك من المال؟»

نظرت، كان معي مائتان وخمسة وسبعون فرنكًا، أخرجتها وأريتها إياه، وقلت: خذ كل المال.

تغيّر لون وجهه. وقطّب جبينه وقال:

«انهضي وافتحي تلك الحقيبة الموضوعة تحت سرير النوم! ثمة ظرفان ناوليني إياهما».

أطعت أمره. وميّزت خطي فوق الظروف بسرعة. هما نفس الظرفين اللذين أرسلتهما إليه عبر البريد. فتحهما وأخرج منهما أربعمائة فرنك وقال:

«تفضلي! هذا المال هو مالك، لا تبعثي لي مالًا بعد الآن».

«هذا المال ليس لي».

«لا تكذبي! أنا أريد أن أتكلم معك بجد».

كان أسلوب كلامه هذا فيه من التحكم والأمر حد إثارة

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

دهشتي وتعجبي. كيف يجرؤ أن يأمرني وينهاني هكذا؟ لقد أُصبت بالرعب، كانت هذه أول مرة في حياتي أواجه رجلًا أقوى مني، وجمالي لم يكن له أدنى تأثير عليه.

***

سيدي الوكيل، لا أتذكر بالضبط كل الكلام الذي دار في ذلك اليوم، لأنه كان يتكلم لوحده لمدة ساعة ونصف، بل أكثر، لكني أعلم أني حينما خرجت من بيته، كنت قد اتخذت قراري الحاسم. أنا أحاول، الآن، أن أقول لك ماذا قال لي، وكيف قلب حياتي رأسًا على عقب. أنا كشفت له نفسي ذلك اليوم، فُكّت كل العقد وحُلّت جميع الأزمات التي كانت تملأ ثقوب قلبي. أقول لك بصراحة، بعد ذلك اليوم، هذا هو اليوم الثاني الذي أفتح فيه قلبي وأكشفه لأحد.

مكمن تعاستي هو أن الأستاذ "ماكان"، هذا الرجل الشجاع والمجبول على الإيثار، الذي كان يأسر قلوب الناس ويسيطر عليها، لم يرد، أو لم يقدر أن يدرك مقدار القوى الشيطانية والإنسانية التي تتجاذب في وقت واحد داخل أعماق روحي، بيد أنه، أي هذا الفتى المتحمّس، الذي كان يكبرني بسنتين أو ثلاث فقط، أمسكني في قبضته كما يمسك فرخ

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

دجاج. كان يقطع أنفاسي، لكن بمجرد ما كان يفتح يده، كنت أستطيع استنشاق الهواء الطلق، حينها كنت أتذوّق كل المحبّة الكامنة في يده، في قبضة يده المملوءة. ألم أقل لك إني كنت روحين في جسد واحد؟ هو كان يستطيع أن يرعى الملاك الذي بداخلي، لكن أستاذك نمّى في قلبي الوحوش فقط.

قال لي:

«هل أشفقت عليّ حتى أعطيتني المال؟ إن كنت صادقة، فلماذا لا تشفقين على حال أولئك البدو الذين انتزع أبوك في طهران لقمة العيش من أفواههم وأفواه أطفالهم الجياع؟»

تحدث معي لفترة، كانت كلماته عذبة، وأنا كنت أحس جيدًا بأنه يعمل، بلطف وأناة، على إنقاذي من المستنقع الذي كنت قد علقت في أوحاله. تحدث في البدء عن الرسم.

كان يقول لي:

«لا يمكنك أن تصبحي فنّانة جيدة. إنها أرض وعرة مليئة بالصخور والأخطار. أنت لم تتذوقي في حياتك معاناة

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الفشل. ففي ظل البيئة التي ترعرعت بها في طهران، والدائرة التي رسمتها حول نفسك، لا يمكنك أن تصبحى فنانة. الإنسان الذي لم يتجرّع مرارة الجوع في حياته، والإنسان الذي لم يرتعد جسده من البرد، والإنسان الذي لم تذق عينه طعم النوم من الليل إلى الفجر، أنّى له أن يستمتع بالشبع والدفء وأشعة شمس الصباح.

ذهبتِ ذات مرة عند الأستاذ "ماكان"، وأساء معاملتك، حسنٌ! ماذا كنت تتوقعين؟ ما الهدية التي كنت أخذتها له؟ أكنت تريدين أن يقبّلك أم أن يستجديك؟ أردت أن تذهبي مجددًا! أردت أن تذهبي للمرة الثالثة، أن تترجيه. هو يملك ما لا يملك أحد من الناس. هو فنان، له سلطة على أرواح الناس، فهو يستطيع أن يُحزن الناس، وأن يضحكهم، وأن يبكيهم، أو يثير نشاطهم، وأن يجبرهم على الحياة. هو يملك شيئًا لا يمكن شراؤه بالمال ولا حتى بالروح. أما أنت فتتباهين، ولأن الأراذل والمنحطّين حولك كانوا يدلّلونك، تخيّلت أن الأستاذ أيضًا يجب أن ينحني لك لتتعالي عليه وتبيعينه الكبرياء.

ذهبتِ مرة عند الأستاذ، وحكمت عليه دون أن تَرَيْهِ أو تعرفيه، وجئت وسلكت الطريق الأسهل. قلتِ في نفسك: لدي

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

المال، وسأذهب إلى الغرب. هناك يوجد الآلاف من أمثال هؤلاء الرسامين، وأستطيع، بما أملك من مال، أن أتعلم الفن على أيديهم.

كتب لك والدك. لو كان لك أخ، لو كان لك عم، جميع أفراد طبقتك كانوا سيسدونك نفس النصيحة: تزوجي وعودي! لو كنتِ صبيًا، أتعلمين ما النصيحة التي كان سيوجهها لك والدك؟ كان سيقول: عد بدبلوم! الكثير ممّن في طهران اليوم لهم مثل هذه الدبلومات ويعيشون منها، يعيشون حياة جيدة، لكنهم ليسوا فنانين. سيتسمر الناس في الحديث عن الأستاذ "ماكان" إلى خمسين سنة أخرى، وإلى مائة سنة أخرى، بل أكثر، بيد أن هؤلاء الملوك والوزراء يُنسون بمجرد موتهم.

كل هذا لا أهمية له عندك، أنت لا تبحثين عن الشهرة، أنت لا تلهثين وراء المال، أنت تتعقّبين السعادة. الإنسان لا يصل إلى سعادته بالدبلوم أو بالمال أو بالزواج. يجب تحمّل آلام الحياة حتى تغمز لك السعادة بعينيها من بعيد. انظري، أنا معتلّ، وربما مصاب بالسل أيضًا، لا أعلم، ربما أتوهّم فقط، في كل الأحوال أنا مريض ومعتلّ. لقد ولدتني أمي في حجرة صغيرة أسفل البستان بطريقة تأكدت فيها أن صاحب البيت

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

لا يسمع صياحها. في تلك الحجرة المشبعة بالرطوبة ترعرعت مريضًا، أنا نفسي أعلم أني لن أعمِّر طويلًا، لن أعيش لأكثر من بضع سنوات قادمة، لكني سعيد، لدي يقين أنني أقوم بعمل. خلال السنوات العشر المقبلة، سوف يستطيع المئات على الأقل من الأطفال المصابين بداء السل أن يتعافوْا، وهذا الشيء يسعدني، هذه هي المتعة التي أجنيها من وراء النضال. لست أخشى أحدًا، لا رئيس دائرة الأمن، ولا بلاغات السفارة! فهم، الآن، من يخافون مني. حينما تُنشر صورة لي في أحد معارض باريس، ويقوم السفير الإيراني بإرسال تقرير إلى طهران عبر التلغراف، أكون في أوج سعادتي، لكن، لا تيأسي، لم يفت الأوان بعد. تستطيعين أن تصبحي سعيدة.

طريق الفن مازال مفتوحًا في وجهك، ابتعدي عن حياة التشرد والضياع هذه التي ابتليت بها، اعملي، كافحي، اصرفي الأموال الطائلة التي تملكينها في أمور أخرى، اجلسي في بيتك، اعملي بجد في المدرسة، تحمّلي آلام الفشل، لكي تصبحي فنانة...»

كان يهينني، أنا وعائلتي وأبي، كان يهين الجميع دون قصد، لكنه كان صادقًا، كل ما يقوله عين الواقع. كان يضرم النار

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

في أعماق قلبي. حينما داهمه السعال صمت لهنيهة حتى يجدد أنفاسه، قلت له:

«"خداداد"، إن الوقت تأخر، أنا الآن أحس بأنني لا أملك أية بموهبة».

انتابتني حالة من الضغينة، وشعرت برغبة خانقة في البكاء، فطفقت أبكي وأشهق، كانت هذه أول مرة أرى فيها نفسي ذليلة أمام رجل. قال "خداداد":

«ابكي! ليس عيبًا، ولكن ليس في حضوري لأني لا أستطيع تحمّل بكاء المرأة. لماذا فات الأوان؟ كم انقضى من عمرك؟ لماذا تتسرعين هكذا؟ بعض الناس يعانون طوال العمر، ثم يجنون ثمرة عمرهم في مرحلة الشيخوخة. أنت لم تكملي بعدُ خمس سنوات في الرسم، وقبل أن يحدث أي شيء تريدين أن تبدعي رائعة من الروائع؟»

«لا، لا أتحدث عن خلق روائع، أنا كسولة، ولا يمكنني أن أبدع عملًا من تلقاء نفسي، أترى أنني تحت إرشاداتك سأنفذ كل ما تقول، لكنني لا أستطيع أن أقوم بأي عمل بنفسي. لهذا السبب، أنا يائسة. قررت مرارًا وتكرارًا أن أجلس وأعمل بجد،

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

غير أن الأمر لم ينجح. إن صفّارة شاب متسكع من تحت نافذتي تسحبني إلى عالم من العار والخزي. لمن أبوح بهذا الكلام؟»

«حسنٌ، ليس الطريق الوحيد إلى السعادة أن تصبحي رسامة أو فنانة، ما أهمية ذلك؟ مثلما أن هناك آلاف الطرق توصل إلى الوضاعة والعدم، فإن السمو لا يكون فقط عن طريق الفن، تتخيّلين أنك بمفردك لا تستطيعين العمل، هيا، تحركي، حتى يساعدك الآخرون، حتى تستطيعي أن تخرجي نفسك من الجلد الذي قامت طبقتك بحشوك فيه، هيا، اذهبي إلى إيران! اذهبي إلى الأستاذ، اعملي هناك تحت إشرافه، واقتربي منه، لكن بتواضع. الناس في وطننا مساكين إلى الحد الذي يجعلك قادرة على مساعدتهم بآلاف الطرق. ربما يكون هذا الألم الذي تكابدينه اليوم سبب نجاتك. لكي تصيري فنّانة يجب بالضرورة أن تكوني إنسانة. أنت لا زلت لا تعلمين في أي وضع يعيش أبناء وطنك. هيا، اذهبي إلى إيران! وكوني إنسانة! ربما تعثرين على طريق النجاح! فالحياة لا تقتصر على وجودك أنت فقط. إن لم تستطيعي، الآن، أن تظهري الوحوش التي تلتهم ذاتك في لوحة الرسم، فاقتلي الوحوش التي تجثم على قلوب الناس في إيران. نجاحك هذا سيفضي إلى تحرر آلاف الأشخاص من شعب

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

إيران، وسيحقق لك السعادة. هيا، اذهبي إلى إيران! هناك العديد من الشباب الذين أكملوا دراساتهم في أوروبا، وأسسوا تنظيمات سرية، مازالوا لا يقدرون على القيام بأي عمل، إنما سيحين ذلك اليوم الذي يسدون فيه خدمة كبيرة لهذا الوطن، إنهم في حاجة إلى مساعدة أمثالك.

جمالك هذا، الذي كان سبب عذاب روحك، من الممكن أن يكون مفيدًا لهم في إنجاز أعمالهم الشاقة. اذهبي عند الأستاذ! اطلبي العمل عنده. اذهبي إلى إيران! اذهبي عند الأستاذ، بخضوع وتفان، وليس بغرور وتكبر، قولي له إنك كنت متعاونة معي أربعة أو خمسة أشهر.. قولي... قولي..

***

اتخذت قراري بعد ذلك بيوم أو يومين.

سيدي الوكيل، إنّ لغزًا ما، ضمّنه الأستاذ في هذه اللوحة في عيني، يكمن في هذا القرار، ومن هنا أخطأ.

أنا نفسي لا أعلم، وإلى اليوم لم أفهم. لا أعلم أجئت إلى إيران كي أنقذ نفسي من الشقاء والبؤس اللذين ابتليت بهما

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

في باريس، أم جئت إلى إيران لأذهب عنده، وأرتمي بين رجليه طالبة عشقه، أم جئت إلى إيران كي أسيء استخدام وصية "خداداد" بالتقرب منه والتعرّف إليه، وأنتقم من الرجل الذي أوصلني إلى هذا اليوم الأسود، أم جئت إلى إيران لأبدأ حياة شريفة وأكون إنسانة مفيدة؟

أنا لا أعلم هذا، وهو لا يعلم أيضًا، وأستاذك أيضًا الذي كان يستطيع أن يمنح حياتي قالبًا، هو أيضًا كان مترددًا في البداية، إنما بهاتين العينين الماجنتين اللتين رسمهما لي في هذه اللوحة، أهانني إهانة كبيرة.

لقد تصوّر أنني جئت إلى إيران لأجل الانتقام منه بإتعاسه...

***

كادت غصة الحلق تفتك بالمرأة المجهولة، غير أنها هبّت واقفة، كانت الساعة تشير إلى العاشرة ليلًا، نادت على سكينة وسألتها:

«هل العشاء جاهز؟»

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«نعم سيدتي، منذ مدة».

قالت لي:

«تفضل سيدي الوكيل».

***

لم نتبادل ولا كلمة واحدة على مائدة العشاء، كانت سكينة واقفة خلف الكرسي تنقل، بأمر من سيدتها، أواني الطعام من هذه الناحية إلى تلك، وكانت فرنگيس تحدّق في غطاء طاولة أبيض اللون، وتضع لقيمات في فمها دونما شهية. من الواضح أنها جلست إلى المائدة لتحول دون خجلي.

أما أنا فقد كنت أنظر إليها الوقت كله، تبدو امرأة تعيسة جالسة أمامي، امرأة أضاعت سعادتها في الحياة، وعبثًا تبحث عنها. لم يبق أي أثر للضغينة التي كانت في صدري تجاهها أول الليل، حتى إنه لوهلة راودتني فكرة أنه ربما يكون الأستاذ وراء بؤسها الحالي. كانت هذه المرأة تعكس حثالة المجتمع الذي ترعرعت فيه.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

كنت أسعى لأنظر إلى عينيها، بيد أن رموشها الطويلة كانت تحول دون ذلك، وحين ترفع رأسها بحيث أستطيع أن أشاهد هاتين العينين اللوزيتين المخمورتين لم أكن أرى فيهما أثرًا للانحطاط.

حينها، كنت أسائل نفسي: لماذا لم يستطع الأستاذ أن يهدّئ من روعها ويدعوها لحياة شريفة؟

قبل أن تكمل سرد بقية قصتها، كنت أشفق عليها أكثر مما أشفق على الأستاذ، فهي في نهاية المطاف كائن حيّ جالس أمامي، هل كان من الممكن مساعدتها؟

أحسست، مع مرور الوقت، بأنه يجب أن أكوّن رأيًا بشأنها. كانت امرأة شريفة، ربما أهم شيء فيها هي جلوسها قبالتي وإقرارها بمعاصيها. كانت تفصّل، بشجاعة متناهية في نقاط ضعفها أكثر من اللازم، أليس هذا دليلًا على صفاء سريرتها؟ ما كان ممكنًا أن تكون هذه المرأة مذنبة بل هي مسلوبة الإرادة، واتخذتها الأحداث ألعوبة لها، مثل قشة ترتفع في دوامة الريح إلى الأعلى ثم تهوي. كانت هذه المرأة تحكي وقائع حياتها دون رياء.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

كل النساء اللواتي من طبقتها لديهن حوادث مشابهة في حياتهن ويعتبرنها عادية، ولا يؤنبهن ضميرهن، لكن هذه كانت تريد، من وراء استحضار الحوادث الجيدة والسيئة الماضية، أن تستأصل الجذام الذي يقضم شبائك روحها، حتى تنعم براحة البال التي كانت تتمناها ولو للحظة واحدة.

في تلك الأثناء، تبادر إلى ذهني فجأة أنّ هذه المرأة ربما تكون مخطئة، كيف لنا أن نعرف أن الأستاذ نعت هذه المرأة بأنها لعوب وطائشة. أنا أرى هذه اللوحة منذ سنوات، ولم أعتقد أبدًا جازمًا أنها تجسّد الأخلاق السيئة. كنت قد قلت لنفسي مرات عديدة أن هاتين العينين أخّاذتان، وليس واضحًا ما الفكرة أو نوع الإحساس الذي بيّنه الأستاذ، كنت قد جلست لساعات طوال وشاهدت العينين، وأحيانًا أقول لنفسي أن الدموع يجب أن تجري من هاتين العينين، بعد هنيهة؛ دموع الحسرة، ودموع العجز والتضرع.

في أحيان أخرى، كنت أتصور أن هاتين العينين تكشفان عن امرأة عاشقة، امرأة لا تجرؤ على بيان عشقها باللسان، امرأة حطّمتها عظمة المعشوق ومازالت تحطّمها، والمتفرّج ينبغي أن يدرك شوقها من هذه النظرة. أحيانًا كنت أقول عكس ذلك: لا، صاحبة العينين تريد الإيقاع برجل في حبائلها،

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

وتخطف فريستها بعد لحظة، وهذه المرأة بسهام ابتسامتها الساخرة التي تنضح من عينيها تشعر بمتعة حيوانية من حالة ضحيتها المحزنة. لم أكن أفهم، أهاتان عينا امرأة عاشقة عفيفة، أم عينا امرأة شهوانية عاهرة؟!

حينما وضعت السكين والشوكة جانبًا، وطفقت أنظر مثلها إلى السفرة البيضاء وإلى الكؤوس ذات الحافة المذهّبة، انتبهت إلى أن صورة عيني اللوحة لم تعد ماثلة أبدًا في ذاكرتي، وأحسست برغبة شديدة في أن أشاهد الصورة مجددًا. انتصبت واقفًا، ومن دون أن أقول شيئًا، عدت إلى الغرفة التي كنا نجلس فيها من قبل، فتحت اللفافة بسرعة ووضعت اللوحة أمام الطاولة وجلست أحدق فيها. لم أجد في هاتين العينين شيئًا جديدًا لم أكن قد أدركته حتى ذلك الوقت، بيد أن الأستاذ في رأيي أبان عن فطنة عجيبة في هذه الصورة، حينها، أشفقت على المرأة المجهولة.

وضعت اللوحة في مكان أستطيع النظر إليها دائمًا، وتضطر المرأة المجهولة إلى أن تدير وجهها لمشاهدتها.

لم يطل الوقت أكثر من بضع دقائق حتى فُتح الباب ودخلتِ المرأة إلى الغرفة. ما إن وقعت عيناها على اللوحة حتى

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ارتسم التعجّب على محيّاها، وكأنّي بها تسمّرت في مكانها، غير أن هذا التعجب لم يدم سوى هنيهة، حتى إنها لم تتوقف، أغلقت الباب وذهبت على الفور فجلست في مكانها.

لم تقل شيئًا ولم تبد أية ردة فعل على إخراجي للوحة من غلافها من دون إذنها.

كنتُ أنظر إلى اللوحة، بينما تنظر المرأة المجهولة إليّ. ربما كانت تريد أن تعرف ماذا سيكون حكمي على هذه اللوحة، بعدما أصبحتْ على علم بنصف حياتها مع الأستاذ. خيّم الصمت للحظات، وفي النهاية، بدأتُ الكلام، فسألتُها:

«جئتِ إلى طهران وذهبت، هل وجدت الأستاذ؟»

لم تجب. أخرجت سيجارة من العلبة المرصّعة التي كانت موضوعة على الطاولة، وثبتتها على مِبسمٍ طويل كان موجودًا في العلبة ذاتها. أوقدت السيجارة ونفثت الدخان من شفتيها الناعمتين في الهواء، وقالت:

«لا، ليس بهذه السهولة التي تتصور. اسمي ليس فرنگيس، فرنگيس اسم مستعار منحني إياه "خداداد"، وكان دائمًا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

يناديني بهذا الاسم فقط. تقرر في الرسالة التي يكتبها له، أن يناديني بهذا الاسم حتى إذا راقبوا الرسالة لا يعرفني أحد. كانوا يستعملون الرموز في كتابة الرسائل ويغيّرون أسماء الأشخاص، باستمرار. اتفقنا في باريس على موعد، بأن أنتظره يوم الجمعة الفاتح من شهر حزيران (يونيو) أمام باب السينما. كان قد كتب له أنني سأرتدي لباسًا أبيض وسأحمل في يدي حقيبة يدوية حمراء اللون. كان الاتفاق يقضي بأن أشتري تذكرتين في الساعة السابعة تمامًا، بمجرد أن أراه، وأحتفظ بهما في يدي اليمنى، وأدخل إلى السينما دون أن أكلّمه، وهو أيضًا سيتعقبني، ثم نتحدث في الظلام.

أتذكر هذا المشهد نفسه. غير أن "خداداد" كان قد نسي أن دور السينما في الهواء الطلق تبتدئ عروضها متأخرة خلال شهر حزيران (يونيو). وبالمصادفة، كان الازدحام شديدًا في الشارع يومها، ولم أستطع تنفيذ أوامره بحذافيرها.

مرت بضع دقائق على الساعة السابعة، وكنت مازلت لم أره بعد. وفي النهاية، تحدثنا قبل الدخول إلى السينما.

هكذا قابلته بعد رجوعي من أوروبا. لكن ما أسهل قول ذلك.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

انظر، يجب أن تأخذ وضعيتي بعين الاعتبار، حينها، يمكنك أن تتصور بأي اضطراب وبأية توقعات كنت قد أعددت نفسي لأول لقاء.

خلال تلك الفترة كنت امرأة واعية، عشت خمس سنوات في أوروبا حياة حرة وطليقة وبلا قيود، زرت معظم المدن الأوروبية، والتقيت بأناس غريبي الأطوار، جميعهم كان يخطب ودّي، لكني كنت في الآن نفسه امرأة وحيدة وغريبة.

مدينة طهران بأسرها تعرفني وتعرف عائلتي، غير أني كنت أحس بنفسي غريبة ووحيدة بينهم، لم أستطع أن أنسجم معهم، ولم يكونوا يفهمون لغتي، وأفكارهم وإحساساتهم تشعرني بالاستياء. لم يكن ثمة ما يربطني بالناس، ومن كان يسمون حينها بـ "الناس"، يعني أولئك الذين كان كلامهم ينطوي على نفاق، باتت لهم انطباعات تثير تقززي بعد إشاعة والدي أن له ابنة فنانة في أوروبا، وهذا الأب المسكين، الذي يحبني كثيرًا، كان في نظري أكثر بعدًا عني أي غريب آخر. في الليل حيث كنا نستطيع الجلوس معًا والتحدث لسويعات قليلة، كان كل وقته يضيع في إعداد لوازم الخمر والعَرَق.

كان يتجادل لفترات حول الكباب المشوي بالسّفود، أو حول

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

بيض الخروف نصف النيء الذي لم يُشو جيدًا، وحين كان يعب عدة كؤوس ويسكر، لا أظفر منه بشيء غير المزاح واللعب وتقليد صوت أمي. فضلًا عن ذلك، فقد كان يميل للحديث فقط عن المتقدمين لخطبتي الذين اقتلعوا باب بيتنا من أساسه(19).

والدتي التي نسيت تمامًا أنني كنت حرة لمدة خمس سنوات في باريس، كانت تتخيّلني ابنة ١٧ سنة مغمضة العين ومسدودة الأذن. كانت تتدخل في كل شيء، وتسألني عن المكان الذي ذهبت إليه في الساعة كذا ومن رأيت، ومن يكون ذاك الرجل الذي جاء في ذلك اليوم لزيارتي وترك بطاقته، وتلك الرسالة من أين وصلت، وأين دعيت تلك الليلة. لم أكن أريد إغضاب هذين الشخصين الحنونين اللذين كانا يحبانني حبًا جمًّا.

خذ هذا بعين الاعتبار أيضًا، الحماس الذي كنت أنتظر به هذا اللقاء الأول. أنا تركت أعز شيء في حياتي، تركت حرفتي خلفي تمامًا، لأن «خداداد» كان قد لقّنني بتلميحاته أنني أستطيع أن أكون حلقة مهمة وقوية جدًا في النهضة الجديدة التي كانت بدأت تتجذّر في طهران ضد الاستبداد، وكان قد زرع فيّ فكرة أن الأشخاص، مهما كانوا ضعفاء،

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

فإنهم في مواقع خاصة وفي فرص استثنائية، يمكن أن يصبحوا عاملا مؤثرًا جدًا، وربما يصير مصير بلد بأكمله، في وقت معين، متوقفًا على تضحية فرد عادي، لا ليس تضحية، بل متوقفًا على جرأة وشجاعة إنسان بسيط، مثل برغي صغير يشغل مكانا صغيرًا في جهاز كبير. كنت أعتبر نفسي وسيلة كهذه، وأنتظر نتائج ذات قيمة من هذه التضحية التي قدمتها في الحياة.

كنت أقول لنفسي: في النهاية، هناك حركة مناهضة للاستبداد هي في طور التبلور في إيران. ومركز هذه النهضة، كما كان «خداداد» قد أفهمني ذلك، هي أوروبا، وأنا سوف أكون منسقة التنظيم في إيران، والشخص الذي يقوم بإدارة النهضة في إيران هو «ماكان». وفي النهاية، فأنا ذاك البرغي الصغير الذي شغل مكانًا حقيرًا في جهاز كبير. أنا يجب أن أبلغ الأوامر له، ولن يطول الأمر حتى أصبح الكل في الكل في هذه النهضة الصامدة. وحينذاك، حتى «ماكان» يجب أن يخضع لسلطتي وإدارتي... آه، يا لهول هذه الأحلام ويا لجمالها!

أتفهم، لم أكن معنية بمصير الشعب في هذه البلاد، لم تكن آلامهم تؤلمني، ولم أكن شريكة في معاناتهم ومصائبهم، كنت

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

في أمان عن أي حادثة تقع، أية علاقة كانت بيني وبين هؤلاء الدهماء الذين ملؤوا البلاد؟ من هم حتى أحمل همّهم؟ على الرغم من أنني عرّضت نفسي للخطر، لكنني كنت فكرت في نفسي أيضًا. كل هذا صحيح، لكن هناك أمرًا يجب أن أقوله، ربما أنت تتقبل ذلك، لكنه لم يتقبّله أبدًا، لو كان تقبَّل ذلك لما كان رسم لي مثل هذه الصورة.

سيدي الوكيل، إن شئت صدق وإن شئت لا تصدق، أنا أريد أن أبدي لك جميع ثقوب روحي المعذّبة ومخارزها. اعتقد أستاذُك أني قابلته لكي أنتقم من الإهانة التي وجهها لي قبل خمس سنوات، أي قبل ذهابي إلى الخارج، في الوقت الذي لم أكن أفكر، أبدًا في تلك الأيام، بذلك اللقاء، أي منذ يوم ٢٣ أيار (مايو) الذي عدت فيه إلى إيران، وحتى يوم ١ حزيران (يونيو) الذي لاقيته فيه. كان عالم جديد آخر قد فُتح في وجهي.

كان طموحي قد استُحثّ، كنت أريد، من خلال النشاطات الاجتماعية التي هي بالنسبة لي تنطوي في وجودها على أغراض شخصية، أن أواجه السعادة، فنسيت تلك الضغينة التي كانت في قلبي تجاه هذا الرجل.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

منذ اليوم الثاني لوصولي إلى إيران، انشغلت بالبحث في حياته، حتى توصلت إلى أنه يذهب يوميًا إلى هذه المدرسة التي أنت وكيل فيها، ويخرج منها الساعة الخامسة أو السادسة. وفي النهاية، أي يوم ٢٧ أيار (مايو)، من تفحصي به وبالاعتماد على ذاكرتي، تعرّفت عليه وبقيت لفترة أقاسمه المشي في الشارع جنبًا إلى جنب، وكنت أريد أن أتفحّصه بعيني الفنان الذي لم يمت بعد في نفسي، وأحفظ تقاسيم وجهه. لم أكن، ذلك اليوم، أنظر إليه بعين امرأة، امرأة راغبة ومتعطّشة، بيد أنني لا أعلم لماذا كان قلبي يخفق، وكنت أريد أن أعرف هذا الرجل المقدام الذي كان يضع روحه على كفه ويناضل، ساخرًا من أعماق قلبه بكل قوى الاستبداد الغارقة في المظاهر البرّاقة، وأن أتعامل معه في اللقاء الأول لفاتح حزيران (يونيو) بصورة تكسبني احترامه.

بهذا الشوق وبهذا الاضطراب وبهذه التوقعات وبهذا الأمل... قابلته دقائق معدودة بعد الساعة السابعة من فاتح حزيران (يونيو) من العام ١٩٣٥.

والآن، يجب أن أقول لك إن نظرة واحدة إلى وجهه، وتبادل بضع كلمات معه غيّرت حالتي هذه بأكملها، وصرت -كما السابق- امرأة تحسّ أنها لاقت رجلًا أكبر وأشرف منها. أتَعْلَم،

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

لو كان الأستاذ، مثل بقية الرجال، متيَّمًا بي، ربما كانت نار الهوى قد اشتعلت بيننا بسرعة، وانطفأت بالسرعة ذاتها، ولكانت ذكرى الأستاذ اختفت وأصبحت طي النسيان كذكريات الآخرين.

هيّج قلبي إحساس غامض ومشتّت، وظننت أنني أقابل رجلا في حاجة إليّ، في حاجة إلى روحي وجسدي. لا، واجهتُ رجلًا كنت أقدّسه وأريد إسعاده، وأريد أن أجد في أحضانه تلك السعادة التي لطالما تمنّيتها.

ثمة الكثير من التناقض بين ما قلته لك وما أقوله الآن وما سوف أقوله فيما بعد. أحيانًا، يكون ما أقوله مرة واحدة غير متناسب مع ما أضيفه فيما بعد، ولك أن تستنتج ما شئت. بيد أنني، في نهاية المطاف، لست إلا ما تراه الآن. أنا، الآن، أكشف لك نفسي كما هي دونما رياء. ليس في كلامي تناقض، إنما في وجودي ثمة تناقض. أتعلم بمَ يجب تشبيه حياتي؟ بعين ماء زلال تتفجر من ركن في جبل، ماء صاف وبارد، هذا الماء الذي يهب الحياة وينعش الروح، هذا الماء الذي ينهمر من الجبل هائجًا صاخبًا، وينبجس من بين الأحجار، ويقتلع الأحراش والنباتات، ويجتذب معه الحصى يدحرجها، وحين يصل إلى السهل، يصل هادئًا صافيًا، يزيّن العشب، ويمنح

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الورود طراوة، ويتدفّق بالعطاء. هذا الماء نفسه حين يصل إلى مستنقع أو حين يبقى في أحواض نتنة وعفنة، يصير ماء آسنًا متعفنًا، وإذا وصل إلى سبخة ينفذ إلى عمق الأرض ولا يبقى منه أثر على وجهها، لكن حينما يرقد في قعر الأرض يصير صافيًا وزلالًا من جديد. هذه هي حياتي، هي ذاك الماء الصافي والمنعش الذي يظهر بكل هذه الأشكال غير المتناسبة! وإذن، عن أي تناقض نتحدث؟

على عكس كل ما كنت أظن من أن وجهه الظاهر لا يمكن أن يؤثر فيّ، فجبينه الطويل، وعيناه الواسعتان الخارقتان، ولباسه الأنيق، وحركاته الموزونة والمتئدة، وأسلوب كلامه الرصين، ووطأة يده الثقيلة، كل هذا أشعل فيّ النار دفعة واحدة، ولم يبق من وجودي وشخصيتي المصطنعين غير الرماد؛ أحسست بنفسي تافهة وضعيفة إلى حد يصعب تصوره. كان هذا إحساسًا جديدًا، ولا يشبه البتة ما كان قد انتابني إلى الآن. كنت أدرك أن وجهي سيعلوه الاحمرار من جراء كلمة واحدة ينطق بها، ولن يبقى شيء من تلك الجرأة والجسارة في نفسي. كنت أخجل، تمامًا كما كنت في سن الخامسة عشرة، حالة من التشنج تداهمني وأنا أتواصل معه. لقد كنت أكنُّ الاحترام لـ«خداداد»، وأستمع لكلامه، كان يرعبني، لكن هناك لم يكن للمرأة الحسناء المتوارية في

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

وجودي أي رجاء أو توقّع، لكن هنا انتصبت امرأة راغبة، امرأة عاشقة، امرأة كانت لمرة واحدة قد تجرعت من رجل مرارة الإهانة والتحقير، وأحسست أنه لم يتبّق لي أية سيطرة على نفسي.

حينما أظلمت السينما، سألني:

«ما اسمك؟»

«فرنگيس».

ما إن سمع صوتي حتى حدجني بعينيه الكبيرتين اللتين كانتا تلتمعان في الظلام كعيني القط الأسود، وكفتاة مسكينة وقعت أسيرة في يد رجل قوي، رجعث ورميته بنظرة مليئة بالضعف والعجز والحاجة والالتماس.

قال:

«كأنني رأيتك في مكان ما».

«أنا لم أرك في أي مكان».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«صوتكِ مألوف لأذني».

«تتصور».

لماذا كذبتُ؟ لأني كنت أريد أن ينقطع الخيط الذي ربط حياتي بحياته وبوجوده في الماضي. لم أكن أريد أن يعرف أنني تلك الفتاة التافهة والمتقلّبة والوقحة التي جئت يومًا إلى مرسمه في شارع "لاله زار". أردت أن يحترم شخصيتي.

كان يُعرض فيلم جديد في طهران، وليلتها كان الناس قد حجوا بكثافة لمشاهدة هذا الفيلم، وقد وُضعت في ممرات ساحة السينما مقاعد ليجلس عليها المتفرجون، وعلى أحد المقاعد لم يكن ثمة مكان لأكثر من فرد واحد، بيد أنني استجمعت نفسي وأتحت له مكانًا بجانبي، ولكي لا يسقط من على المقعد وضع يده على مسنَدها من الخلف. زاحمت قليلًا الشخص المجاور لي، وقلت للأستاذ:

«اقترب أكثر حتى تستطيع الجلوس جيدًا».

لكنه لم يُلصق جسده بي، وأنا التي كنت أود أن يضع يده

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

على كتفي ويضم جسدي. كنت أود أن أحس بدفء جسده، وأن أمسك يده بإحكام وأضغط بها على صدري حتى أكشف له نبضات قلبي والاضطراب والهياج الذي كان قد سيطر عليّ. آه، كنت أريد أن أظهر نفسي صغيرة وعاجزة حتى أستدرَّ شفقته.

حكاية لوحة "عيناها" بدأت من هناك، كيف كان ممكنًا أن ينظر إليّ الأستاذ "ماكان"، وهو الرسام الكبير الذي يقرأ الأسرار من نظرة واحدة، وألاّ يدرك الثورة التي استعرت في روحي؟ في تلك الليلة الأولى، انجذب إلى عينيّ، كان يسأل نفسه دائمًا ما السر الكامن في هاتين العينين؟ ما الذي تريدانه مني؟ كان، لعدة سنوات متواليات، يبحث عن جواب لهذا السؤال، وفي النهاية، أجاب بالطريقة التي تراها الآن في هذه اللوحة.

بيد أني يومها ما كنت أدري ماذا أريد؛ أنا كنت محتاطة من هذا الرجل الناضج والخجول والانطوائي والناري والفولاذي في الآن نفسه، الرجل الذي كان يفكر في كل شيء، إلا في مغازلة فتاة شابة مثلي. منذ تلك الساعة الأولى، أحسست أنني إذا لم أُخضِعْه لنفسي، فلا مناص من أنه سوف يسحقني. ربما كنت أنظر إليه بتصنع وبعينين عاشقتين، لكن

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

لم يكن قصدي أن أعذبه أو أن أخدعه، وكنت أريد أن أقدّم نفسي كامرأة واعية ومجرّبة. آه، لا أدري أكانت عواطفي طاهرة وتدل على التضحية، أم مصطنعة وشاهدًا على النزوة؟ كان يسألني وأجيبه أجوبة حمالة أوجه، في حين لم أكن أجرؤ أمام "خداداد" أن أقول إلا محض الحقيقة.

سألني عن باريس وعن "خداداد"، كان معنيًا بمعرفة تفاصيل حياته وصحته، وكان يسأل عن أوضاع الطلاب وعددهم وعن تغلغل "خداداد" ونفوذه بينهم، سألني أكان لدي علاقة سياسية مع طلاب آخرين أم لا؟ متى يكملون دراستهم؟ ومتى يعودون إلى إيران؟ وهل "خداداد" راضيًا عن أنشطتهم؟ بعد ذلك، تفرغ لإسداء النصح إليّ.

كان الانشغال بالأنشطة الاجتماعية في ذلك الوقت أمرًا خطيرًا؛ لعبًا بالنار، يجب الحذر من التصور أن هنا مثل باريس، وأن يد الدولة لا تصل إلى المعارضين! سألني إن كنث قد سمعت أن دولة إيران قد قطعت علاقاتها مع الدولة الفرنسية وتقرر إرسال كل الطلاب الإيرانيين إلى سويسرا أو بلجيكا؛ حذار أن أتخيّل أنني سأبقى في أمان لكوني فتاة. لقد اعتقلوا الآن عدة نسوة من مدينتي "رشت" و"تبريز"، واثنتان منهن تقضيان ما يقارب السنتين في السجن. رجال

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الأمن لا يرحمون أحدًا. إذا أردت أن أكون فردًا مفيدًا للمجتمع، يجب أن أتوخى الحذر والاحتياط أكثر من الحد الذي يبدو ضروريًا، فالكلام في السياسة مع غير المؤهلين لذلك لا يجلب إلا الضرر، والتمجيد بنظام الدولة الديكتاتورية في بعض الأحيان ليس ذنبًا، وبما أنني قد عدتُ للتو من الخارج، فلا شك أنني سأكون تحت المراقبة، لذلك يجب التوقف عن الاتصال بالبعض. كما سألني: أمعك رسالة أم لا؟

كان يسأل ويريد جوابًا صريحًا وواضحًا. أحيانًا لم تكن أجوبتي تقنعه، حينها، كان يسأل مرة ثانية بدقة أكثر، أو يحلل سؤاله ويلفت انتباهي إلى الأمور المطلوبة.

لكن علاقتي بدنياه هذه كانت قد انتهت. لا تتصور أنه كان خائفًا، الأجواء في طهران يومها أجواء خوف ورعب ويأس، فالجميع يخاف من الجميع، وخوفي لم يكن أقل أو أكثر من الآخرين، فضلا عن ذلك، لم أكن أحس بخطر، فدائرة الأمن تستطيع أن تشرّد أمثال "خداداد" وتفرقهم. كان لعائلتي نفوذ في جميع أركان الدولة، وأنا لم أسمع قط أن الدولة قد اعتقلت أيضًا أناسًا محترمين، أما اعتقال وزير الحرب وسجنه هو ورجال من طرازه فكان شأنًا آخر.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

كان هؤلاء مرتبطين بالسياسية العليا للدولة، وإلاّ فلم يكن لأحد دخل بي، هكذا كنت أفكر مع نفسي. من ناحية أخرى، كانت حياتي رتيبة ومملة لدرجة أن التردد على ضباط دائرة الأمن لم يكن بالنسبة لي إلا ترويحًا عن النفس.

لم يعد لي في الحياة أكثر من هدف واحد، وكان الزمان بدأ يبتسم لي، فقد عثرت على رجل عشقته دون أن أراه أو أعرفه، واستدراجه بأية وسيلة كان أقدس واجب كنت أتصوره لنفسي.

أي خطر أكبر من أنه كان يتحاور معي دائمًا بشكل بارد ورسمي، كان قلبي يخفق فيما هو ينجز عمله غير مبال ولا مهتم، فأضطر إلى الكذب عليه.

لو كنت أعلم أنني أستطيع أن أقيم معه علاقة معنوية أعمق من العلاقة السياسية التي تربطني به لأجل القيام بالأنشطة السرية، لكنت مستعدة أن أرمي نفسي بين أقدامه، وأن أترك كل شيء، وأن أفني شخصيتي، لكن قلبي كان يشهد أنه يجب عدم التعامل معه بهذه الوسيلة، بل تجب مقارعته ومنازعته حتى ينهزم.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

حكيت له عن حياتي وسفري إلى إيطاليا، وعن إطراء إستفانو عليه، كما شرحت لك كيفية تعرّفي إلى "خداداد".

في حديثي كله كنت أظهر نفسي مهمة وجريئة وحصيفة، وحينما كان ينبّهني إلى أنه يجب توخي الحذر، كنت أجيبه: لا تهتم بأمري، انتهى الأمر، أنا أعرف جيدًا طريقة التصرف.

كنت أتكلم عن الشباب في باريس بشكل يوحي بأنهم جميعهم عديمو التجربة وكثيرو الادعاء. منذ الوهلة الأولى لحديثي معه، وضعت قناعًا على وجهي، وتوصلت إلى أن هذا الرجل ينبغي ألا يطّلع على وجهي الحقيقي، وإذا اطّلع على ضعفي وجميع عيوبي، فلن تبقى لشخصيتي عنده أية قيمة. كنت أنفخ في الأعمال الصغيرة التي أنجزتها بأمر من "خداداد" حتى تبدو منجزات كبيرة، وأثير الحديث عن مواضيع ما كنت قادرة على إدراكها يومذاك. كل ما كنت سمعته من الآخرين أو قرأته في الصحف كنت أنسبه لبنات أفكاري، وأحيانًا، كنت أردد نفس كلمات "خداداد"، ولم تكن الضحكة تغادر عينيّ وشفتيّ، استعملت مهارتي في الغواية بالكامل.

في تلك الليلة الأولى بالذات، كان لديّ هدف من وراء كل

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

هذا الغنج، أثناء كلامه، كان قد قال لي إنه ليس من الجيد أن ألتقي به حتى وقت آخر، لم يشأ إعطائي حتى عنوان بيته، في الوقت الذي كنت قد اتخذت فيه قراري بالنسبة للمستقبل، وكنت أريد أن أخضعه للتجربة. ينبغي ألا يكون قادرًا على عدم رؤيتي مدة طويلة. يجب أن يدرك، منذ هذه الليلة الأولى، أنه يقابل امرأة، امرأة لا يستطيع تجاهلها. كما ينبغي ألا يتصور أنه يتواصل مع شخص سياسي عادي. يجب أن يفكر فيّ، وهذا ليس ممكنًا إلا إذا رأينا بعضنا كثيرًا، واستمتع هو بمعاشرتي وحديثي العذب ووجهي الحسن وضحكاتي المبهجة وعينيّ الجذّابتين الفاتنين.

عندما تأثرت بـ"خداداد" في باريس وقبلت كل ما قاله، كان لذلك سبب. كنت مستعدة هناك لأن أضحي بنفسي. فضلا عن ذلك، فإن كل إنسان في باريس ينظر إلى أبناء وطنه بعين مختلفة.

عندما جئت إلى إيران واتصلت بالناس، أصابني اليأس. كنت أحسب الناس العاديين أذكياء وشجعانًا، بيد أني كنت أرى بأم عيني في طهران المميتة تلك أن الجزار يدفع الرشوة لرجل الأمن في أول الزقاق بكل تملق ورياء، وكنت هناك في باريس مستعدة لأن أفتدي بنفسي الناس الذين تختزنهم

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

مخيّلتي. فضلًا عن ذلك، فقد اعتقدت أن الاستمرار في الوجود بالنسبة لي، أنا الفاشلة، غير ممكن إلا من هذا الطريق؛ أو أنه كان يتوجب عليّ أن أعيش مع أحد هؤلاء المنافقين والجهلة، أو أن أتعذّب وأقضي على نفسي، والطريق الثالث كان هو النضال. لقد أذكاني هذا النضال ومنحني الأمل، لكن بصورة مؤقتة، إلى أن قابلته. في باريس كنت قد بحثت، أنا عديمة الفن، عن عمل أكبر مني بكثير، وكنت عاجزة عن القيام به. وهناك، انتابني يأس قاتل، وحينها، أصبحت مستعدة لسلوك الطريق الثالث هذا. كنت أتصور أنني اكتشفت هدفًا في الحياة، إضافة إلى كل العوامل الشخصية، فإن الحياة البسيطة واللطيفة لـ"خداداد" مع "مهربانو"، وبخاصة تضحيات هذه الفتاة الظريفة، كانت قدوة لي. في يوم من الأيام، باحت لي "مهربانو" وقالت: «لو كنت تعلمين كم أحب "خداداد"! رغم أني أعلم أن مآل هذا الحب الفشل، فـ"خداداد" سيغتال أو سيقضي على نفسه من فرط التعب والمشقة. إنه مريض أيضًا». كيف لا يؤثر فيّ كلام هذه الفتاة البريئة؟ أقلعتُ عن مباهج باريس كلها، وجئت إلى طهران، وكنت أعلم جيدًا ماذا ينتظرني هنا من شقاء.

لكن عندما تعرّفت إليه، في الشهر الأول أثناء لقائه في

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

السينما وفي ثنايا الحوار الذي دار بيننا وخلال سرد أحداث حياتي الماضية في باريس، اكتشفت حقيقة أكبر.

كانت روحي وجسمي يطلبان شيئًا آخر. خلال السنوات الخمس كلها التي قضيتها في باريس لم ألتق برجل واحد يروق لي، ولم تكن روحي المصدومة مستعدة، ولو لمرة واحدة، أن تطلب شيئًا من رجل.

صحيح أنني لم أكن أحب الناس في بلادي؛ لأني لم أكن أعرفهم، لم أكن آنس لهم. كانت "فضه سلطان" بالنسبة لي نموذجًا من أهل وطني، ويكفي أن أحرك لساني حتى تأتيني كالكلب الأليف محركًا ذيله، لو أن رجلًا مثل الأستاذ الذي افتدى هذا الشعب البائس والتعيس بكل ما يملك حتى بفنه، لكان من هذه الناحية جديرًا بالتقدير والثناء.

كيف يمكنني أن أقارن بين هذا الرجل الجميل والناضج الذي جرّب الحرمان بأولئك المدلّلين من الإيرانيين المقيمين في باريس؟ لقد كانت أحاسيسهم الكاذبة تشعرني بالاشمئزاز، وجميعهم كان يطلب جسدي، في وقت كنت أتمنى أن أنثر روحي، وأمنح جسدي لشخص يأسر روحي، وكنت أودّ أن أحصل على ذلك الشيء المتعطشة إليه، ولو بالعراك

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب /fb/groups/Sa7er.Elkotob
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

وبالإجبار، لا أن يأتيني أحد ويطلب مني شيئًا ويترجّاني. لكن هنا في طهران، أمام هذا الرجل الفذ، هذا الرجل المظلوم والعنيد الذي كان يفتدي بفنه الإنسانية... آه، ماذا عساني أن أقول؟

آه، كم كنت أود أن أشرح لك ما لا أستطيع بيانه. لا تتصور أنني عشقته من النظرة الأولى تلك. لا، على الإطلاق، ليس الأمر كذلك، لم أعشقه، ولم أكنّ له في قلبي ضغينة، غير أن هذا الرجل ترك في وجودي تأثيرًا.

كان قد أضرم نارًا في قلبي تقض أعماقي وتحرقني. كيف أشرح لك؟ ربما تفهم، ربما يكون الاشمئزاز الذي أخفيته في قلبي بعد أول لقاء به في البيت الكائن بشارع "لاله زار" بمثابة ماء كامن تحت التبن، كان يثيرني ضده دون أن أعلم بذلك، غير أني لم أنتبه إلى هذا السر في تلك الليلة وفي الليالي التالية في السينما، إنما هناك شيء؛ كانت لهذا الرجل شخصية تدعوك إما عشقه وإما إلى تعذيبه أشد العذاب. ليس من الممكن تجاهل هذا الرجل، وكنت أود أن أتشاجر معه.

حينما اقترب الفيلم من النهاية وكان كلامنا على وشك

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الانتهاء، سألته:

«أنت تقول إننا يجب ألا نلتقي كثيرًا، ماذا تقصد؟»

«حسنٌ، لا نرى بعضنا كثيرًا في الوهلة الأولى».

«أنا لي شأن معك. أنت لم تأمرني بالقيام بأيّ عمل، أنا لم آت إلى طهران لأتسكع. ماذا يعني "كثيرا"؟ أعني: متى أراك في المرة المقبلة».

«في الوقت الراهن، يجب أن ننتظر ثلاثة أسابيع أو أربعة».

«وكيف ستطلعني على الأخبار؟»

«سنحدد موعدًا لذلك».

«يجب تحديد الموعد الآن».

حملق بعيني في الظلام، ثم قال:

«ولماذا الإصرار، أيتها الفتاة؟»

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
fb/groups/Sa7er.Elkotob/ انضموا لجروب ساحر الكتب
sa7eralkutub.com او زيارة موقعنا

ضحك. راق لي حديثه هذا كثيرًا. فقلت:

«أحب أن أراك أكثر».

«هل عندك هاتف؟»

أعطاني رقم هاتفه وأعطيته رقم هاتفي أيضًا. سجّل الرقم، أما بالنسبة لي فلم يكن تسجيل الرقم ضروريًا، لأني لن أنسى رقم هاتفه أبدًا.

سألته:

«هل أهاتفك إذا كان لديّ أمر ضروري؟»

«إذا كان أمرًا مستعجلًا وضروريًا، فنعم!»

رأيت أن هذه الطريق ليست سالكًا، فدخلت من آخر. فقلت:

«يجب أن أخبرك بموضوع مهم هذه الليلة، لأنك صديقي الوحيد في طهران، وإذا أذنت أن يكون لي هذا الشرف، فأنت الرفيق الوحيد الذي أشاطره أسراري. يجب أن أستشيرك في

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

جميع أعمالي، لأني ليس لدي أي شخص آخر. والدي رجل طيب للغاية ووالدتي طيبة أيضًا، لكن في واقع الأمر، هذان الاثنان عزما على القضاء عليّ، يريدان تزويجي مهما كلّف الثمن».

قال بلا مبالاة:

«خيرٌ، إن شاء الله».

امتعضت من برودته هذه ولامبالاته، ليس لأنه غير مهتم بزواجي، لكن لأن إظهار لامبالاته بزواجي ينم عن عدم اهتمامه بمصير النهضة وتقدمها. لم أجب، تريّثَ قليلًا، ثم قال:

«ربما مصلحتك تكمن في هذا».

«مصلحتي في ماذا؟»

«فتاة مثلك يمكن أن تكون مفيدة جدًا في العمل الخطير الذي ينتظرنا، لكن التردد في هذا الطريق لا يوصل المرء إلى نتيجة».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«وأنا لن أسمح للتردد بأن يداهمني ولم أسمح. لهذا السبب، قلت إني أريد أن أراك باستمرار».

حينها لان عوده وقال:

«هاتفيني في الوقت الذي تريدين».

خلال تلك الليلة الأولى، دار بيننا الكثير من الكلام، وتحدثنا عن كل شيء، باستثناء ذلك الشيء الذي شُغفت أنا به. كنت أريد أن أتحدث عن اللوحات التي يعمل عليها، بيد أني كنت أعرف أنه لا يروق له ذلك، وقد سمعت أن الناس كانوا يحدثونه بهذا الكلام غير المجدي، وكان يجيب ساخرًا، أو يكتفي بالرد بكلمات بصوت خفيض، في وقت كان فيه قلبي حقًا يتحرق شوقًا لرؤية لوحاته، بعد كل الذي سمعته من إستفانو و"خداداد".

بدأت ثانية:

«ما رأيك لو آتي إلى المدرسة وأشاهد لوحاتك هناك؟ أنا أيضًا كنت على وشك تعلم الرسم».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«أعلم، لكن مع ذلك، أوصي بأن لا تزوريني لأسبوعين أو ثلاثة».

«إنك تحتاط كثيرًا».

«هذا ضروري، أنت أيضًا يجب أن تفعلي ذلك».

لم أفهم تلك الليلة أبدًا ماذا استنبط من لقائه معي.

قلت لك إن هذا الرجل كان غطّى وجهه بغطاء من التمنّع والحزن المضمر، وما لم يذب هذا الجليد، فإنه ليس بمقدور أحد أن يرى مرآة روحه الصافية. كنت على وشك أن أتصور أن هذا الرجل جبان، إذ لم يكن ممكنًا تفسير كل هذا الاحتراز بشيء آخر، كان يحتاج في عمله إلى توخي الحذر، بيد أني بدافع الحب كنت في حاجة إلى العجلة.

استطعت مرة واحدة في الحياة فقط أن أمزّق هذا الغطاء البارد والسميك؛ في تلك الليلة بجانب نهر "كرج"، ما أكثر الأشياء التي باح لي بها! كان متوجسًا من عينيّ، وكان يقول إنني نظرتُ إليه مثل ثعبان يريد أن ينوّم أرنبًا. كان وجهه يتخذ حالة جديدة حين تقطيب حاجبه الذي يتراءى في

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

امتداد عينه اللوزية، وكانت عيناه أخّاذتين، وكأن صاحبهما يعاني من شيء، ما كان يطيق النظر طويلًا في عينيّ، غير أني كلّما حوّلت نظراتي تجاهه في ظلمة السينما، كنت ألاحظ أنه منتبه إليّ.

أود كثيرًا أن أتكلم عن تلك الليلة الأولى في السينما، لكني لا أتذكّر شيئًا. ليس لأنني لا أتذكّر شيئًا؛ لقد نُقشت في ذهني تفاصيل ذلك اللقاء كلها وللأبد، وسوف ترى من خلال كلامي أن الكثير مما تحصّلت عليه تلك الليلة، قد أشار إليه هو بنفسه. هذه اللوحة التي رسمها، لو أردت الحقيقة، هي صورة وجهي في تلك الليلة الأولى في ظلمة السينما. كان مازال لم يدرك بعد حقيقة العينين وكلامهما، كانتا عبارة عن شيء تائه وغامض في الظلام. كنت في العادة أجمع شعري وأعقده خلف رأسي، لكن في تلك الليلة أرخيته وتركته منسدلًا يتموج على كتفيّ، وكان شعري قد أحاط بكامل وجهي. انظر، باستثناء العينين، فإن كامل الشفاه والفم والخد والذقن والأنف والجبين سواد ومحو في الظلام، ولا يظهر من رقبتي شيء.

لقد صوّر العينين بالشكل الذي أراده في هذه اللوحة، وهذا ما يعذبني.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

في تلك الليلة، كان لدي عالم خاص، لعبت ومزحت مع أبي في البيت بشوق ونشاط لم يكن يتوقعه على الإطلاق.

على عكس العادة حيث كنت أذهب وأجلس جنب المصباح ذي القاعدة وأقرأ كتابًا، جئت بالقرب من أبي، وجلست في الغرفة، وسكبت قليلا من جعّة الفودكا في ماء "آبعلي" المعدني، ثم احتسيته. قليلٌ من الكحول جعلني أتعمق أكثر في الحالة التي أمر بها، وأرى أكثر، وأتذوق أكثر، وأحس بالألم أكثر، وأجد لذة أكثر إنعاشًا.

ذهبت إلى غرفة نومي متأخرة، وشغّلت آلة الكرامافون، وتمشّيت في أطراف الغرفة، كانت الساعة تشير إلى الواحدة والنصف بعد منتصف الليل. فُتح باب غرفتي، وإذا بأبي يأتيني مرتديًا مَنامة عنابية اللون، ويسألني:

«لماذا لا تنامين؟»

«طار النوم من عيني».

«لماذا؟»

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

وضعت رأسي على كتف أبي، فبكيت حتى اشتدّ نَحيبي، ثم قلت: لا أعرف.

يا له من أب حنون ومتفهّم. داعب شعري، لكنني لم أمهله وقتًا، فأخرجته من الغرفة وقلت له:

«اذهب، سأنام الآن».

داهمتني مرة أخرى، ربما لآخر مرة، حسرة حارقة وتمنيت لو كنت رسّامة ولو كنت أستطيع أن أعيش مرتاحة البال.

لم أره لعدة أيام، وكل الوقت أتحيّن ذريعة كي أهاتفه، وكنت، كل يوم عصرًا، أطوف حول مدرسته على أمل رؤياه، أذهب حتى باب بيته، وأسأل هاتفيًا خادمه آقا رجب وأستفسر عن أحواله، حتى إني مرة قلت له: قل له إن فرنگيس اتصلت بالهاتف لعله يهاتفني.

في النهاية، سنحت لي فرصة بصورة تلقائية، إذ وصلتني رسالة من "مهربانو"، وكانت قد كتبت أن وضع "خداداد" سيء للغاية، وقد نقلوه إلى المستشفى. جمع بعض أصدقائه الطلاب سرًّا مبلغًا من المال، وإلى الآن كانت مصاريفه

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

مؤمنة، لكنهم ما عادوا يقوون على عمل أي شيء، فضلًا عن ذلك، فإن "مهربانو" نفسها لا تستطيع أن تتردد إلى المستشفى كثيرًا، لأن جواسيس السفارة، لو رأوها هناك، سوف يوقفون صرف منحة دراستها بالتأكيد، وحتى هذه المساعدة البسيطة سوف تنتهي، و"خداداد" نفسه لا يرغب في أن يراها أحد تتردد إلى المستشفى كثيرًا. فهو يدّعي أن مرضه لن يطول أكثر من بضعة أيام وسيغادر المستشفى، لكن الأطباء ليسوا متفائلين إلى هذا الحد. كان طلب "مهربانو" أن أتصل بالأستاذ على الفور طلبًا للمساعدة، ربما يستطيع، رعاية لأوضاعه وأحواله، أن يرسل له مصاريف دراسته.

اتصلت[بالأستاذ هاتفيًا ورجوته أن ألتقي به في سينما "قصر" عند الساعة السابعة والنصف لأمر مستعجل. ألمحت له أن رسالة وصلت من "خداداد" ورؤيته ضرورية.

على عكس التوقع، قبل على الفور، والتقيت به ليلًا أمام باب السينما. كان وجهه منقبضًا، يوحي باعتقاده أن طلبي لا أساس ولا داعي له.

حين سلّمته الرسالة قال: «ماذا كتب؟ أنا لا أستطيع قراءتها

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الآن».

سردت عليه ملخص الرسالة، وبعد ذلك قال:

«لن يعطوه مصاريف الدراسة، واضح أن الرسالة كتبت من دون علم "خداداد"، وهذا يدل على أن حالته ليست على ما يرام».

«يجب في نهاية المطاف أن نقوم بشيء من أجله!»

«يجب توفير مبلغ من المال وإرساله إليه».

«كم تريد أن ترسل له؟»

«سأحاول، خلال بضعة أيام، وعلى أبعد تقدير خلال أسبوع، أن أهيئ مائتين تومان أو ثلاثمائة وأرسلها له».

«أنا سأرسل له غدًا ثلاثمائة تومان» وأنت تردها لي فيما بعد».

«من أن ستحضرين المال؟»

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«سآخذه من والدي».

كنّا كلانا نسنِد ذراعينا على حافة الكرسي، وقد قرّبنا رأسينا من بعضنا، لنتكلم بصوت خافت.

ألقى نظرة عجيبة على وجهي، ثم قال:

«أنت فتاة طيبة».

ابتهج قلبي لثنائه، ضغطتُ بذراعي على ذراعه، فوضع يده فوق يدي وشدّ عليها بحرارة.

أمسكت يده بكلتا يديّ، وتذوقت حرارة يده بشوق شديد، كما لو أنه كُتب لي أول نجاح في العراك الذي كنت أعدّه مع هذا الرجل.

بدت عيناه الكبيرتان أكثر اتساعًا، لكن فجأة تنحّى جانبًا، وارتخت شدة قبضة يده، كأن أصابعه قد بردت فامتعضتُ لتغير حالته هذه. وأنا بدوري، شئت أم أبيت، رفعت يدي عن الكرسي، ولم نتحّدث بعدها مع بعض، وتفرغنا تلك الليلة لمشاهدة الفيلم، كان فيلمًا موسيقيًا.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

****

انقضى شهران أو ثلاثة من حياتنا على هذا النحو، كنت أراه على الأقل مرة واحدة في الأسبوع، وأحيانًا أكثر، كنت أحس بفراغ في الأيام التي لا يكون لدي أمل في لقائه. لا أعرف كيف أملأ وقتي. كنت بانتظاره كل حين، وأنتظره على الدوام، في الشوارع التي لا يتردد إليها أبدًا، في ساعات كنت أعلم يقينًا أنه منشغل بعمله، في البيوت التي لا يعرف أصحابها في الأساس، وكنت أتصور أن المعجزات تقف في صفي لأصل إلى هذه النتيجة وأظفر بلقائه.

هذا في الوقت الذي كان يحيل عليّ، من الشهر الثاني، أعمالًا كثيرة، وأنجزها بشوق ولهفة ومن دون أدني تخوف. أمرني أن أتعلم الكتابة على الآلة الكاتبة. آه، ما أصعب وأقسى العمل على هذه الآلة، بيد أني تعلّمت، وكنت أعمل يوميًا سبع ساعات لمدة ثلاثة أسابيع كاملة. كنت مذهولة لصلابتي في العمل، لكن هذا الطريق هو الوحيد الذي تبقّى لي في الحياة، عندما كنت أنجز العمل الذي يوكله إليّ، ألاحظ ارتياحه وسروره، وكان سروره هذا مصدر حياتي، ويثير حماستي.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

عندما تعلّمت الرقن على الآلة الكاتبة، أعطاني رسالة وطلب مني أن أستنسخ عنها خمسمائة نسخة.

التقيت به في اليوم الذي كان ينوي إعطائي الرسالة في السينما، وقال لي:

«أريد أن أسلّم لك رسالة لتنسخي منها خمسمائة نسخة على الآلة».

«ما أسعدني، إذ تسند إليّ في النهاية عملًا!»

«أتدرين أنه عمل خطير للغاية؟»

«ليس هناك من خطر في الطباعة على الآلة».

«سوف تُنشر هذه الرسالة، وإذا علموا بأنك من كتبتها على الآلة، سيقبضون عليك، وسيكون الوضع حينها سيئًا للغاية».

«أنا مستعدة، أعطني الرسالة، سلّمها لي الآن».

«هي ليست معي».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«أكنت تظن أنني سأرفض تنفيذ أمرك؟»

«لا، كنت أعلم أنك ستقبلين، لكنني كنت أريدك أن تنجزي العمل بعد إدراكك للخطر المحدق بك».

تقرّر أن يحضر شخص الرسالة إلى بيتي في تلك الليلة، أتذكّر جيدًا نص الرسالة، كان الشاه ينتوي شراء عقارات بالقرب من مدينة "تنكابن"، أكثرها يعود للملاكين الصغار.

كان مسؤولو العقار يتوافدون على القرى ويقتادون الناس عنوة إلى مكاتب الإسناد الرسمية وينتزعون توقيعاتهم.

وقبل أن يحين دورهم، فرّ بعض الملاكين ليلًا من "تنكابن" ولجؤوا إلى طهران عند أحد كبار القضاة من أبناء بلدتهم، والذي كان يملك هو الآخر بضع مئات من الفدادين هناك.

لم يجد القاضي بدًّا من أن يشتكي من موظفي العقار إلى الشاه نفسه، لا أعرف كيف وصلت هذه الرسالة التي تحتوي على ما يقارب الخمسين سطرًا إلى يد الأستاذ. نسخث من هذه الرسالة خمسمائة نسخة، وبحسب الاتفاق السابق، جاء إلى بيتنا في إحدى الليالي الساعة العاشرة، في الوقت الذي

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

كان فيه الجميع يغط في النوم، رجلٌ لم أستطع حتى استبيان وجهه، ونقر عدة نقرات على زجاج غرفتي، فسلّمته الرسائل، حسب الأوامر التي لدي، على دفعات، وأخذها. بعد بضعة أيام، وصلت إحدى هذه الرسائل إلى أبي.

والدي الذي كان انتابه شكّ من تعلمي الرقن على الآلة الكاتبة، بعد مضي بضع ليال، وفي منتصف ليلة، كشف لي الرسالة وقال:

«أرأيت ماذا وصلني من البريد يوم أمس؟»

«لا، أبي العزيز، ناولني إياها لأقرأها ونعرف ما فيها؟»

«في الحال».

حينما ذهبت إلى غرفة نومي، لحق بي والدي، وفتح الباب وقال:

«ليس ضروريًا أن تقرئي الرسالة، فأنت من كتبها على الآلة الكاتبة».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

لم أجب، لأن الإنكار لم يكن ممكنًا.

«بنيّتي، أنت تلعبين بالنار، وتهدرين سمعتي وشرفي، هنا ليس بلاد الغرب، من يدفعك للقيام بهذا العمل؟»

«لا أحد، لكن، والدي العزيز، شرفك لن يُدنَّس من جراء هذه الأعمال، على العكس من ذلك، ستزداد شرفًا».

«أنتِ أدرى، إنما أكتفي بأن أقول لك إن هذا العمل له عواقب وخيمة. منذ أن انتشرت هذه الرسائل في طهران إلى اليوم، تم القبض على ما لا يقل عن ثلاثمائة شخص، وتم تغيير وزير البريد والتلغراف بسبب ترويج هذه الرسالة. سبّه الشاه وقال له: «اذهب إلى بيتك ونم». والكلام الآن يدور حول تغيير رئيس دائرة الأمن. لو يعلمون أن في بيتنا آلة كاتبة فلن يحين يوم غد حتى يسوون بيتنا بالأرض. ما قلته ليس مبالغة، فقبل مجيئي إلى غرفتك كسّرت الآلة ورميتها في خزان الماء والبئر لأمحو أي أثر لها.

في البداية، أصغيتُ إلى كلام والدي باضطراب وخوف، لكن حينما قال إنه كسّر الآلة الكاتبة وتخلّص منها، لم يبق لي وقتها أي سيطرة على نفسي. علا كامل وجهي الاحمرار

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

وانقبض قلبي، وامتقع لون محياي، وأصابني توتّر لم أعرف له مثيلًا من قبل. حينما فتحت عيني، كان والدي قد غادر الغرفة، وأمي جالسة بجانبي ورائحة الناردين تفوح من الغرفة.

كنت مصابة بضعف الأعصاب دائمًا، وكانت الحساسية المفرطة تعذبني على الدوام، لكن ليلتها كانت أول مرة أصاب فيها بأزمة حادة.

في اليوم التالي، وفي الصباح الباكر حين كان والدي يستعد للخروج، استفردت به وقلت له:

«أبي العزيز، ماذا فعلت بالآلة الكاتبة؟»

«قلت لك إنني رميتها في خزان الماء».

«أبي العزيز، لحفظ ماء وجهك وشرفك سأشترى الآن بنقودي آلة رقن أخرى، لكن يجب أن تعلم أنني فتاة راشدة، وإذا أردت أن تعقّد الحياة في وجهي، وألا تتركني حرة في ما أقوم به من أعمال، فسأترك بيتك وأنصرف الآن».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ألقى والدي عليّ نظرة ملؤها الخوف، وخرج من البيت دون أن ينبس بحرف. هاتفت الأستاذ على الفور وحددت موعدًا معه. اتفقنا على أن نلتقي ليلًا في المكان المعهود قرب باب السينما.

حكيت له ما جرى في الليلة السابقة من حوادث، وسردت له بالتفصيل ما دار بيني وبين والدي، وألمحت إلى أنه يجب أن أترك ذلك البيت، ولا أدري ماذا أفعل.

كنت أتمنى من أعماق قلبي أنه إذا لم يدعني إلى بيته، فعلى الأقل أن يوافق على أن أهيئ بيتًا، أستطيع أن أراه فيه أحيانًا على انفراد. قلت له إن أبي يحبني كثيرًا وحتى لو غضبت وخرجت من بيته، فهو مستعد أن يؤمّن لي مصاريف الحياة بصورة مشرّفة. غير أن الأستاذ أومأ برأسه وقال:

«لا، على العكس. من الواضح الآن أن هذا البيت ملاذ جيد، ليس لك وحدك بل لنا جميعًا. أنا الآن ارتحت أكثر، هو الآن يقاسمك سرًّا، لكنه يخاف، الجميع يخاف، البعض بدرجة أقل، والبعض الآخر بدرجة أكثر. يجب أن تخبريه بالتدريج. أبوك هو الآخر من أولئك الذين فقدوا عقاراتهم في "مازندران"، وما كسبه في طهران، عوضًا عن ذلك، لا يمثل حتى خُمس

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ممتلكاته السابقة. لذلك، فهو في أعماق قلبه مؤيد لنضالنا.

يجب أن تبقي في هذا البيت وتتعاملي مع والدك بمحبة وتودد، ومثل هذه الأعمال أنجزيها في البيت الآخر الذي سأدلك عليه. والدك إنسان مفيد».

بعد بضعة أيام، جاءني رجل على الساعة الثانية بعد الظهر يرتدي ملابس صغار التجّار، وكان يحمل إليّ في يده رسالة منه، وذهبنا معًا إلى بيت يقع خارج المدينة، وهناك في حجرة صغيرة تغطي أبوابها طبقة من القطن ثبتت بمسامير، كانت ثمة آلة للكتابة فوق طاولة صغيرة. قال لي التاجر:

«لا يوجد أحد غيري في هذا البيت، متى أنهيت عملك فأنا جالس خلف الباب، أخبريني لأوصلك إلى بيتك».

«ماذا يجب عليّ أن أعمل؟»

«افتحي آلة الطباعة وستجدين هناك ورقة لتقومي بطباعتها».

لا أتذكّر اليوم ما كانت تلك الرسالة الثانية، ربما لم تكن

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

مهمة، لكنها كانت كذلك بخصوص النضال ضد دائرة الأمن، لأن الكثير كان قد اعتُقل، فكان من الضروري نشر رسالة أخرى حتى يساور دائرة الأمن الشك والتردد، فيما لو اعتقلت بعض الأشخاص المسؤولين. جلست واشتغلت لمدة ساعتين أو ثلاث. حين قمت تعبة منهكة لأذهب، ناولني رسالة الأستاذ. كان قد كتب فيها أنه من الضروري ألا أتصل به لأيام، ولو بالهاتف. ضاعفت هذه الرسالة تعبي أضعافًا كثيرة وكدت أن أفقد وعيي. تحمّلت هذا وسيطرت على نفسي حتى لا يعاودني التوتر الذي أصابني في اليوم السابق. كنت أودّ أن أقوم بعكس ما أمر، وأذهب في صباح اليوم التالي مباشرة إلى مدرسته، وأقول له إن الأمر استعسر عليّ، وإنني أفقد القدرة في السيطرة على نفسي.

لا تدري كم كنت أشعر بالخوف عندما أمر بألا أراه! لأن رؤيته تمنحني القوة والصلابة. يبدو أنني حينما كنت عنده اعتبرتُ نفسي جريئة، لكن حقيقة الأمر هي أنه كان مصدر قوتي.

لمّا قرأت الرسالة، جلست هناك على الدّرج للحظات، وقلت للتاجر:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«هل بوسعك أن تحضر لي كوبًا من الماء؟».

«لا، لا يوجد في هذا البيت أي شيء».

«لماذا لم تعطني الرسالة في أول الأمر؟».

«أمرني سيدي أن أسلمها لك عند المغادرة».

استغرقتُ في التفكير، هل أدرك الفضل الذي يغدقه عليّ، حينما يكلّفني عملًا؟ لماذا لم يعطني الرسالة قبل تسليم العمل، لابد أنه يعلم إلى أي حد تعلّقت به، ويعلم أنه من شدة اليأس ربما لا أنجز العمل على الوجه الأكمل. كان يعلم هذا. لقد انكشف أمري، والآن هو من يسيطر عليّ...

***

فجأة، انتشلت المرأة المجهولة نفسها من ذلك الزمن الماضي، وصرفت وجهها إليّ وقالت:

«بالمناسبة، أتعرف من كان ذلك التاجر الذي رافقني إلى ذلك البيت؟»

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«لا».

«كان آقا رجب، وكانت تلك المرة الأولى التي قابلته فيها».

تعجّبت، وعلى خلاف القرار الذي كنت قد اتخذته، قاطعت كلام المرأة المجهولة، وسألتها:

«آقا رجب، خادمه؟»

«نعم، آقا رجب، بوّاب مدرستكم».

«إذن هو على علم بعلاقاتك كلها مع الأستاذ وبالأعمال المشتركة التي قمتما بها، ومع ذلك، لم يحرّك ساكنًا، كم ألححت عليه!»

«لا يمكنك أن تتصور مقدار وفاء هذا الرجل ومودته. كان كلام الأستاذ، بالنسبة إليه، بمثابة وحي منزّل، وكان مريدًا مضحيًا بنفسه، مستعدًا لأن ينفذ كل أوامر رفيقه وقائده تنفيذًا أعمى».

«عفوًا على المقاطعة».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أكملت المرأة المجهولة قصتها:

«قررت الرجوع إلى البيت والذهاب مباشرة في صباح اليوم التالي إلى مدرسته، وأشرح له ما الذي دفعني إلى القيام بكل هذه التضحيات. أصررت على أن أخبره بأنني على استعداد لأن أضحي بالغالي والنفيس وأتحمل آلاف الأخطار، لكن ليس من أجل ما يتصوره هو. أدركت أنه لم يعد بوسعي الاستمرار في هذا الوضع، كنت أريد الاستسلام. هكذا بدا لي أنه ليس بمقدوري أن أبعده عن طريقي.

بمجرد أن عزمت الخروج من بيته السرّي، قال آقا رجب:

«سيدتي، انتظري لبضع دقائق، أمر سيدي أن تحرقي هذه الأوراق، واحذري أن تتركي معك شيئًا».

«لا يوجد معي أي شيء».

«ابحثي مرة أخرى في حقيبتك اليدوية وفي جيوبك».

بحثت ولم أجد شيئًا، وأحرقت كل ما كان ممكنًا إحراقه،

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

وما إن أردت فتح الباب، حتى سمعت صوت عربة قادمة. قال آقا رجب:

«تعالي لنذهب باتجاه العربة، سأذهب أنا أولًا، ثم بعد دقائق معدودة تخرجين أنت. اسحبي الباب جيدا، سيُغلق تلقائيًا. أنا سأذهب مباشرة إلى بيتك، وأنت تذهبين في العربة».

حينما عدتُ وجدت الفوضى تعمّ بيتنا، رأيت أمي جالسة خلف الباب بانتظاري، و"فضه سلطان" هناك أيضًا بعباءتها السوداء المرقطة، وقد جلست القرفصاء تثرثر مع أمي.

"فضه السلطان" هذه كانت صديقة أمي منذ الطفولة، ولدت في بيت أمي، وحينما انتقلت أمي إلى بيت الزوجية، أصبحت مؤنستها وتقوم بكل أعمالها، وهي التي ربّتني، ولأنها لا تملك أحدًا في هذه الدنيا، فقد غمرتني بكامل المحبة التي ادخرتها في قلبها الحنون.

بمجرد أن طرقتُ الباب، فتحته "فضه سلطان"، ودخلتُ إلى البيت، فقالت العجوز باضطراب شديد:

«الحمد لله، أحمدك إلهي مائة ألف مرة».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

لم تسمح أمي لـ"فضه سلطان" بأن تضيف كلمة أخرى.

عند الولوج إلى مدخل بيتنا، كنتَ تجد على الجانب الأيمن غرفة والدي، وشمس مساء الخريف قد أغرقت الفضاء كله بنورها، ومن خلف النافذة، كان الرمّان الأحمر المدوّر يتراءى لامعًا.

كان الحوض ممتلئًا ماء، و"بابا" منهمكًا في سقي البساتين، فالعجوز كان يعمل في بيتنا منذ ثلاثين سنة. وكان والدي قد جلس في غرفته على مقعد وثير، يدخن سيجارة في هدوء.

وكان ثمة رجل عجوز وسمين، أسود البشرة، تغزو التجاعيد وجهه، أصلع الرأس، وقد تربّع على الأرض وهو يقلِّب الأوراق.

سألتُ والدتي:

«من يكون هذا؟ وماذا يريد؟»

«جاء من دائرة الأمن، إنه يقلّب غرفة والدك بأسرها، رأسًا على عقب».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

لم أترك أمي تكمل كلامها وتوجهت مباشرة صوب أبي. ألقى ضابط المباحث نظرة عليّ وقام من مكانه وسلّم. سألث والدي كما لو أني لا علم لديّ بما يجري من حولي:

«أبي العزيز، ما الخبر؟»

«يقولون إن البريد قد أحضر رسالة إلى هنا قبل عدة أيام. أنا لم أر شيئًا، والآن هم يفتشون».

بعد هنيهة من التأمل، قال:

«هذا هو المهم، لا أعرف ماذا يريدون؟ دعيهم يبحثون».

التفت الرجل السمين والأصلع إليّ وسأل والدي:

«ما اسم السيدة؟»

قلت له: «ما دخلك أنت حتى تسأل عن اسمي؟»

تدخّل أبي وقال:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«بنيّتي العزيزة، لا تتسرعي! الرجل مكلَّفٌ مهمةً وهو ليس بمخطئ، تلقى أوامر، والآن يجب أن يقوم بعمله».

بعد ذلك، وجّه والدي كلامه إلى رجل المباحث وقال:

«إنها ابنتي».

ثم قال له اسمي.

كان للرجل السمين وجه بشع، وكان يبدو من ملامح وجه أنه إنسان سيء، لكنه كان يتكلم بأدب.

قال رجل المباحث:

«نعم، الأمر كما تقولون، ما ذنبنا نحن، ساعي البريد هو من ذكر في تقريره أنه أحضر رسالة إلى هنا. هناك الكثير من أمثال هؤلاء الحقيرين، ربما اختلط عليه الأمر، بعد هذا التقرير، صرتم موضع شبهة لدى المسئولين الكبار، لكنني أحترمكم وأقدركم، وأعلم أن جنابكم من الأشخاص الذين باعوا أملاكهم في "مازندران" لجلالة الملك عن طيب خاطر، لقد أخذتم طبعًا مصلحة البلاد بعين الاعتبار.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الجميع يعلم أنه من الأفضل ألا يوجد ملاك صغار في "مازندران"، ربما لم تكن الرسالة باسمك، وربما أيضًا تكون السيدة الصغيرة قد فتحتها».

سألته: «أية رسالة؟ من كتبها؟»

أراد الرجل ذو الهيأة البلهاء أن يبرز نفسه في ثوب إنسان مهم، نظر إليّ بعينيه المقززتين وابتسم، كان يريد -كما يظن- أن يختبرني، لكن سهمه اصطدم بالصخرة. لم أمنحه الفرصة، وقلت لأبي:

«دعه يسأل جميع في البيت إن كان قد أحضر ساعي البريد أمس رسالة إلى هنا أم لا».

كان لديّ يقين بألا أحد من أهل بيتنا؛ لا أمي، ولا "فضه سلطان"، ولا "بابا" العجوز سينبس ببنت شفة، وقد عاشوا جميعهم في بيتنا على الأقل عشرين إلى ثلاثين سنة، وكانوا هم أهل الدار وعلى اطّلاع بحياة أبي السياسية في الماضي، وكانوا قد تعلّموا الدرس الأول أنه في مثل هذه الحالات يجب ألا يتفوهوا بكلمة واحدة.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ثم أضفتُ بعد ذلك:

«فضلًا عن ذلك، يستطيع ساعي البريد أن يُفْصِح عمّن تسلّم الرسالة».

قال الرجل:

«أنا قلت لكم إن ساعي البريد ربما يكون قد أخطأ، وبالتأكيد اختلط عليه الأمر. أضف إلى ذلك، أنه أقرَّ بأنه لم يسلّم الرسالة لأحد، بل رماها من تحت الباب إلى داخل المنزل».

حينذاك تحدث الرجل، الذي ينبثق الرياء والنفاق من كل جملة من جمله، وقال إنه منذ زمن بعيد وهو يقدّر عائلتنا، وهو ممتعض من هذا التفتيش الذي تسبّب في أذية أناس محترمين. كان يقسم بالله وبدم حنجرة علي الأصغر(20) إنه قدّم استقالته ألف مرة، لكن ماذا تُراه يفعل وهم لا يتركونه في حال سبيله. كان يقول إنه، أُجبر في يوم من الأيام على تفتيش منزل صهره، لكنه عبد مأمور، والمأمور معذور.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

في الوقت الذي كان يعلم تمام العلم أن صهره إنسان مستقيم وليس من أهل الخداع والمكر، والعجيب في الأمر أن صهره هذا كان قد تقدم بطلب للعمل في وزارة الداخلية، كما أنه كان ينظر إلى مثل هذه الأعمال من وجهة نظره هو، كان يُستنتَج من كلامه كله أنه إنسان بريء وغير مذنب، وهو نفسه يدرك جيدًا أنه يفتّش هذا البيت عبثًا.

ثم قال أيضًا:

«لكن، في نهاية المطاف، هناك في هذه المدينة من كتب هذه الرسائل وتسبّب في إزعاج الناس وشقائهم، ودائرة الأمن ستعثر بكل تأكيد على هؤلاء. آلة الكتابة التي رُقنت بها هذه الرسائل هي من نوع "كونتيننتال"، والآن، نتوفر على صور لجميع هذه الآلات التي دخلت إلى إيران خلال السنوات القليلة الماضية. وهذه الليلة سيُعرف أين هي هذه الآلة الكاتبة».

كان يقول ذلك، وفي الآن نفسه، يقلب صفحات الكتب. كان يتصفّحها ويعيد تقليبها. وفي النهاية، قال: «كلا، لاشيء هنا».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

كان والدي بدأ ينفعل وقال: «إذن، قل لنا ماذا نفعل نحن؟»

غيّر الرجل الموضوع وسأل: «ألا تملكون في هذا البيت آلة كاتبة؟»

حينما ذكر اسم الآلة الكاتبة اعتلى وجهي الاصفرار، غير أنه كان أشد بلاهة من أن يفهم شيئًا.

انتصبت واقفة وأردت الخروج، أدرت ظهري ناحيته لهنيهة، وأجاب والدي:

«أنا رجل تقليدي وخطّاط، وابنتي أيضًا ولغاية بضع سنوات سابقة كانت تتعلم الخط، ليس لنا عمل ننجزه بالآلة الكاتبة».

برودة أعصاب والدي أنعشتني. رجعت ونظرت إليه نظرة استحسان وإعجاب، وقلت:

«أبي العزيز، دعه يفتش البيت كله».

«أنا لا أمانع، فليفتش».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

سألني ضابط المباحث:

«ألا تعرفين الرقن على الآلة الكاتبة؟»

«الرقن على الآلة الكاتبة لا يتطلب المعرفة، كل شخص يعرف ذلك».

«على يد من تعلمت؟»

«لم أتعلم، أنا أعرف الرقن عليها بأصبع واحد».

«أين كتبت بأصبع واحد؟»

«كان لدينا في مدرستنا آلة كاتبة، وهناك كتبت».

«أتستطيعين أن تريني الآلة الكاتبة؟»

أجبته بحدة:

«لماذا أريك أنا؟ أنا غادرت تلك المدرسة منذ عشر سنوات على الأقل».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«أنا سألتك، عن هذه الأيام؟»

«أنت متى سألت عن هذه الأيام؟»

الاستجواب الذي اجتزته ذلك اليوم، وبرودة أعصاب والدي التي دفعتني إلى الجرأة والصمود والرعب الذي تحملت إلى أن نفي والدي إلى إقطاعه الصغير، كل هذا كان جديدًا بالنسبة لي. خلال تلك الأيام، تذوقت طعم الخوف والهلع من دائرة الأمن. وكنت أنتظر، في كل لحظة، أن يأتوا ويقبضوا عليّ أيضًا. حينما كان يُقرع الباب، أصاب بالهلع، وأخاف من ظلي، وأخجل من عيني أمي المضطربتين.

لكن أهم من كل هذا الخوف والرعب كان الإحساس الجديد الذي يبهج قلبي وروحي. كنت أقول لنفسي: لقد ارتفع شأني لديه الآن.

لم أعد البنت الصغيرة التي تنشد القرب منه رغبة في المغامرة. لقد أحرزت لنفسي شخصية.

عندما خرج ضابط مباحث الدائرة السياسية من البيت، عاد أبي ثانية إلى غرفته، ومن دون أن ينبس ببنت شفة، جلس

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

على كرسي مكتبه ورتّب أوراقه.

جلسنا نفكر معًا لدقائق معدودة، بينما كانت أمي جالسة على سجادة الصلاة في الغرفة المجاورة.

في النهاية، قلت: «أبي العزيز!»

أجابني بهدوء وتأمل:

«اتركيني وحيدًا لبعض الوقت حتى أفكر».

«أبي العزيز، كنت أود أن نكون وحدنا ونفكر معًا».

انتظرت للحظات حتى يجيب. حينها، استدار فوق كرسيه ونظر إلي، نهضت من مكاني وتوجهت إليه وضممت رأسه إلى صدري بحرارة، ثم أرسل والدي يديه على قفاي وقبلني على خدي وجبيني وبكى.

قلت:

«أبي العزيز، أنا من تسببت لك بهذه المتاعب».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«لا يا عزيزتي، لا تفكري هكذا، أنا أفتخر بأن لديّ بنتًا مثلك».

«ولكن لا يمكن أن تتحمل كل هذه المصائب. انظر، إذا كانوا يعاملونك أنت بهذا الشكل، فكيف الحال مع بقية الناس؟»

«أنت لك أمل كبير في الناس».

«لو أردت الحقيقة، أنا لا أتوقع الكثير، لكن هذه الأعمال هي وحدها التي تبقيني في الحياة».

«وهذا هو الأسوأ! من يكتب هذه الرسائل؟»

«لا تسألني هذا السؤال، ليس لدي الحق في أن أجيب».

«أنت تعلمين، أنا دائم التفكير بك، ليس من الضروري أن تغتمّي لحالي، فلن أعيش طويلًا، لكني أريدك ألا تصبحي تعيسة».

«لا يمكن أن أكون أكثر تعاسة من الآن».

مسح بيده على شعري وقال:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«لماذا يا ابنتي العزيزة؟ ما الذي حدث؟»

«لا تسأل، أنا نفسي لا أدري ماذا أصابني».

حينها، نصحني قائلًا:

«لا تقولي، إن لم تشائي أن تقولي، أنت وأمثالك لا تستطيعون أن تزحزحوا أركان هذا النظام، أتعتقدين أن هذا النظام واقف على رجليه حتى تستطيعون أنتم قلبه؟ إن الذين يحافظون عليه لا يتوجسون من لعبة الغميضة التي تلعبونها أنتم. هذا الغول يحتاج إلى المزيد من الضحايا، بيد أني لا أرى في أحدٍ رجل المرحلة. أخشى أنكم عوضًا عن أن تضعفوه، سيصبح أكثر شراسة ويهاجمكم بلا هوادة. وصلني أن بعض الطلاب في الخارج يحاولون، ورأيت أيضًا صحفهم. إذا كنت تعتقدين أن الطريق الذي تسلكينه صحيحة ولا تستطيعين سلوك طريق آخر، فواصلي، وليكن الله معك، لا بد أن هذا الأمر يعنيك كثيرًا.. جميع ممتلكاتي هي تحت تصرفك».

في هذه الأثناء، رنّ جرس الهاتف. إنه من دائرة الأمن،

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب /fb/groups/Sa7er.Elkotob
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

يريدون الحديث مع والدي. معاون دائرة الأمن طلب من أبي أن يقوم بزيارة إلى مكتب المدير العام بين الساعة السادسة والسابعة ليلًا.

عندما رجع من عند رئيس دائرة الأمن، وعلى عكس تصوري، كان عاديًا جدًا وهادئًا.

لم تكن تبدو على حركاته وكلامه أية آثار للاضطراب أو القلق. وخلال الليل، وكما العادة، جلس أرضًا في غرفة عمله بمعيتي أنا وأمي، كان قد ارتدى مَنامَته وأسدل عباءته على كتفه، وصينية الخمر موضوعة أمامه، واستعمل قطعًا من الرمان المقشّر، وقليلًا من الخبز والخضروات، والفجل والكباب السقّودي كمقبلات.

تحدث عن كل شيء إلا عمّا كان يختزنه في قلبه، وكنت مهتمة بسماعه. وفي آخر الليل، تصورت أن الحادثة انتهت بصفة نهائية.

في اليوم التالي، قال لأمي، وهي روت لي ذلك، إنه ينتوي السفر إلى "صالح آباد" إلى ضيعة كانت لنا هناك قرب مدينة "قزوين".

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

في اليوم نفسه، أخذني وأمي إلى كاتب العدل، وهناك وهب لي الجزء الأكبر من ممتلكاته، كما خصّص لوالدتي حصة معينة. وتقرر أن أدير أملاك والدي وأمواله إلى آخر حياته وبعد موته.

لم يعلم الأستاذ شيئًا عن قصة نفي والدي طيلة أسبوعين أو ثلاثة، لكنه كان قد علم بتفتيش منزلنا، ولهذا السبب، لم يكن يقبل بلقائي بأي حال من الأحوال طوال أسبوعين أو ثلاثة، إنما كان آقا رجب يوصل أوامره إليّ بين الفينة والأخرى، واستمر الوضع على ذلك الحال حتى تلك الليلة التي تحدّد فيها مصيري المشئوم.

في أواخر فصل الخريف حيث لم يكن الجو باردًا لدرجة تستوجب ارتداء معاطف سميكة في المساء وأثناء الليل، كنت أرتدي فستانًا حريريًا قصير الكم، وكان هو مازال يلبس سترة صيفية وبنطالًا رماديًا ويضع ربطة عنق زاهية عنابية اللون ومرقطة بالأسود.

عندما رأيته في السينما، كنت وجلة، واعتقدت أن أحدًا يتعقّبني ويتعقّبه. كان ثمة شخص يقف خلفه، وحينما اقتربت منه نظر إليّ لمدة، وبمجرد ما أن أثرت انتباهه في

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

السينما إلى ذلك الشاب قصير القامة ذي الشارب الأسود قال لي:

«لا يهم، ليس لأحد أي شأن معنا».

«أنا رأيته يتفحصني بنظراته»

«ليس مهمًا، إنه معنا».

«إذن لماذا لم تعرّفني به؟»

«كنت أريده أن يتعرّف إليك، ماذا حدث في بيتكم في ذلك اليوم؟»

«من أين عرفت؟»

«خلال الأسبوعين الأخيرين ألقوا القبض على الكثيرين».

«جاؤوا إلى بيتنا أيضًا وفتّشوه».

«انتظري حتى أقول لك شيئًا قبل أن أنسى، الرسائل التي

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

تصلك من باريس تحمل اسم من؟»

«يكتب على الظرف: إلى المحترمة والموقرة السيدة فرنگيس».

«هل يُكتب اسم أبيك أيضًا؟»

«لا، يُكتب عنوان بيتنا فقط، واسم الشارع ورقم المنزل».

«هل لبيتكم رقم؟»

«نعم».

«حسنٌ، بعثت برقية بألا يرسلوا لك رسائل مجددًا، إذا وصلتك رسالة لا تفتحيها لمدة ٢٤ ساعة، وإذا جاؤوا يطلبون الرسالة، سلّميها لهم، وقولي إنها ليست لك، ووصلت إلى هنا بالخطأ».

«وإذا لم يأتوا ماذا أفعل؟»

«ومع ذلك لا تفتحيها، سلميها لي، حينما يأتي "رجب"

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أعطيها له ليحضرها إليّ. أنا سأفتحها وأقرؤها دون أن أفتح أعلى الظرف، ثم أعيدها لك لتحتفظي بها كما هي».

انتابني القلق فسألته:

«أستاذ، هل هناك خطر؟»

«الخطر موجود دائمًا. إنما لا أظن أن تحدث لك حادثة أخرى هذه الأيام، فضلًا عن ذلك، فإني ما زلت لا أعرف ماذا وقع في بيتكم. قولي لي أولا ماذا حصل».

لم أكن قد رأيته محتدمًا بهذا الشكل أبدًا، وحينما أمسك بيدي في الظلام لنغيّر أماكننا، كانت يده ساخنة جدًا، ولم أكن بتاتًا أتوقع مثل هذا.

***

سيدي الوكيل، الحالات التي داهمتني تلك الليلة حينما واجهته، ليست بالشكل الذي أستطيع شرحه لك بهذه البساطة. انظر، أنا أحببت والدي، لكني كنت أكثر قلقًا على الأستاذ. كان قلبي يخفق خشية أن يُصيبوه بأذى، لا قدر الله.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الخطر الذي يتهدد الأستاذ كان برأيي أشد ألف مرة من المصيبة التي حلّت بوالدي.

كنت مضطربة وقلقة، وكان هذا الرجل الكتوم -إلى الحد الذي يستطيع فيه أن يحتفظ في أعماق قلبه بتلك العواطف والإحساسات التي تزلزل أعماقه- يكاد يفقد توازنه في تلك الليلة تحت تأثير اضطرابي الذهني.

من أين لي أن أعلم أنه كان يعاني الأمرّين، مثلي؟ إنما معاناتنا مختلفة تمامًا من ناحيتين؛ أنا كنت لا أستطيع تبرير عذابي النفسي.

إذا فهمتَ ما قلته لك لحد الآن، فهذا جيد، وإذا لم تفهم، فالأمر ليس بيدي.

لقد كان إنسانًا، ولم يكن هناك شيء ذو طابع فردي أو شخصي بالنسبة له. كان يُخضع كل شيء للتحليّل والتجزئة، بما في ذلك نداء قلبه، وإذا لم يتوافق مع المبادئ التي كان يؤمن بها، كان يخنق هذا النداء أيضًا.

قلت لك إن فنه، بالنسبة له، هو التعبير عن كل ما تصبو إليه

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

نفسه. ما كان يرسمه على اللوحة هو ذاك الشيء الذي يشتعل لهيبًا في أعماق قلبه وطيات روحه المتعالية. لم يكن لديه شيء أعز من فنه. وكان فنه يستند إلى المجتمع والناس الذين يعيش في وسطهم. من كان يتوقع ألا يضحّي بحبّه أيضًا من أجل هذه المُثل العليا؟ ليس لأنه كان يستطيع التغلب على سيل إحساساته الجارفة والمتلاطمة ويقطع، كالسد، طريقها بقواه العقلانية، لا، هو كان يستطيع الصبر والتجلد، ويقدر على أن يمسك بقلبه المشتعل في قبضته، ويعتصره لئلا يسمع نبضاته ويدركها أحد غريب عن دنياه وعوالمه وأحواله.

في تلك الليلة، أدركت قرب أيٍّ موقد نارٍ حارق وقفت، في حين كنت مازلت أرتعد من البرد. هو كان يريد ويحاول أن يخفي عني ضربات قلبه التي اكتوت بنار بعدي. حينما يشتمّ الإنسان رائحة المصيبة، يحتاج أكثر إلى الصداقة والحنان.

كنت أسأل نفسي طوال الوقت عن رأيه فيّ، لا بد أنه كان يقول لنفسه: هي ليست أهلا لحبي، ولا نستطيع أن ننسجم مع بعض، سوف تتوقف وسط الطريق وترحل. ربما كان الحق معه أيضًا.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

سردت له الأحداث التي وقعت في بيتنا، حكيث له في الأول عن أمي، فقلت له:

«منذ ذلك اليوم وأمي تقرأ آية الكرسي وتنفث في أبواب البيت وجدرانه، ومنذ صباح اليوم، تقيم ختمة ﴿أَمَّنْ يُجِيبَ المُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾(21). تعتقد أمي أن سبب تعاستنا هو أن إنسانًا مشؤومًا وطأت قدماه بيتنا ليلة الأربعاء».

ولمّا أردتُ أن أقول له إنهم نفوا والدي، أحسست بحرقة قاتلة، ثم عدت ونظرت إليه في الظلام وعيني تدمع، وقلت له:

«ليس لدي أحد غيرك يكون ملاذي وصديقي».

ألقى يده وأمسك بذراعي العارية وضمّها بقوة حتى أحسست بالألم، ثم أمسك بذراعي العارية وسحب جسدي كله نحوه.

لا تستغرب سيدي العزيز، وأنا في قمة النشوة، وحتى حينما أذوب في موقد السعادة، أتذوق مرارة سم الحياة الكامنة تحت لساني. يا للمتعة التي أحسست بها من لمس يده

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

لذراعي العارية! ومع ذلك، أحسست بالاشمئزاز، لم أكن أتوقع هذا، كان هذا الرجل يبدو مثل الرصاص! يظن أنه يستطيع أن يخفي النار التي في داخله، بيد أنك تشعر بقلقه وتوتره، في كل تقاسيم وجهه، وفي الحمرة التي تبرق من عينيه، وفي الصمت الذي يخيّم عليه، وفي الرعشة التي تغطي شفاهه الجافة. ومع ذلك، كان هذا الرجل مترددًا على الدوام، ولا يعلم مع من يتعامل.

لماذا أمسك بذراعي؟ هل لأنه أشفق عليّ، لأنني أضحّي ببيتي وعائلتي ووالدي في سبيل قضيتنا المشتركة؟

شعرت بالاشمئزاز حين فكّرت بهذا، لم أكن أرغب في أن يشفق على حالي، ربما ضمّ ذراعي لأنني قلت إنه لا ملاذ ولا معين لي، وأحسّ بحرارة حبي. آه، كان هذا جميلًا! وهذا ما كنت متعطشة إليه! كنت أريده أن يحس، من خلال عينيّ الراغبتين، بأنني إذ أقدّم التضحيات فلأجله هو وحده، لأجله وحده لأنني أحبه، ولأنني أحبه فقد تصورت أنني بعد كل المشكلات التي صادفتها قد ظفرت في النهاية بجوهرة مكنونة.

***

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

سيدي الوكيل، أرجو أن تنتبه إلى أنني إنسانة عليلة، لا تنظر إلى مظهري، فإذا كنت أجول أوروبا، مع وجود حبي لإيران وارتباطي بها، فجزء من ذلك للمعالجة. عرضت نفسي على أفضل الأطباء في أوروبا عدة مرات. في الظاهر لا أشكو من عيب، أكثرهم لم يشخّصوا مرضًا، ورأوا أنني سليمة، وجميع أجزاء بدني سليمة أيضًا، لكن أحيانًا يرتعد كل جسدي ويشتعل بدني وينقبض قلبي، قال لي الأطباء إنني أعاني من Hypersensibilité(22)، وأعاني من حساسية زائدة عن المعتاد، في جلد بدني ورؤوس أصابعي وفي نظرة عينيّ، وكل شيء فيّ. وتؤثر فيَّ العوامل الخارجية أكثر من اللازم، وهذه الحساسية المفرطة تثير أعصابي أكثر من القدر اللازم.

ماذا أقول؟ إياك أن تسخر مني في باطنك، ما أقول لا يختلف عن التفاهة إلا بقدر أنملة، ومع ذلك، فهو مؤلم بالنسبة لي. أنا نفسي لا أفهم، هذه اللوحة التي رسمها الأستاذ لعينيّ ليست من دون صلة إلى تلك الدرجة، هو فهم شيئًا ربما لم أدركه أنا إلى يومنا هذا، فهاتان العينان وهذه النظرة بليغة وصريحة أكثر من الحد المتعارف عليه.

هذه اللوحة عذبتني لفترة طويلة، أتعرف لماذا أردت أن

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

آخذها منك؟ أردت أن أحرقها، لكن ما الفائدة؟ وأنا أحكي لك الآن قصة العذاب الدائم في حياتي المضجرة، أرى أن هذه التعاسة لا تفارقني، بوجود اللوحة أو من دون وجودها، هذا الخوف وهذا الغضب مرافقان لي على الدوام لا يتركانني وشأني.

لمّا أمسك ذراعي بأصابعه الكبيرة والقوية، شعرت فجأة وكأن آلاف الإبر قد وُخزت في جروح قلبي، وفي الوقت نفسه كأنَّ ماء صافيًا وزلالًا يداعب كل جسدي ويدغدغه بعد تعب طويل، وحين سمّرت عينيّ في عينيه، تذوّقت كل ذلك الشوق وتلك الحرارة اللذين كانا يذيبانه، وكانا قد أخذا يحيلانني إلى رماد، كان قلبي على وشك الانفطار، وأتمنى أن أبيّن له ما يعتمل في قلبي بلغة ما، بالطريقة التي يفهمني بها. آه، كنت أود لو أستنطق اللغة المشتركة التي نتقاسمها. رجعت وانحنيت على أصابعه العظمية والثقيلة، التي كانت تبحث عن مكان لها في ذراعي، فقبّلتها. خفّ الضغط الذي كان على ذراعي ولملم أصابعه، وبرؤوس أصابعه داعب ذراعي، وكأنه أراد أن يعوّض عن تلك الصدمة التي أوجدها. فجأة، ضمّها من جديد بقوة وسحب يده جانبًا.

لم أستطع التحمّل أكثر من ذلك، انتصبت واقفة وقلت:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«لنذهب؟»

«إلى أين؟»

«لنذهب من هنا، إلى حيثما نذهب»

«انتظري، الشاب الذي كان خلفنا لديه شأن معي. إنه ينتظرني».

آه، هذا الرجل لا ينصرف عما يريد عمله؛ عن هدفه ومبتغاه ولو لهنيهة واحدة، وهذا ما كنت أخمّنه دائمًا، لكن ليس لدي لدي دليل على ذلك. ومرة أخرى كان يفكر في "عمله". كان يسحبني إلى موقد النار ثم يتركني أرتجف من البرد. هذه هي الفاجعة التي ابتليت بها العمر كله ومازلت.

أتفهم ما أريد قوله؟ كنت أعلم أنه كان متعطّشًا إلى قبلاتي، وأعلم أن أصابعه الساخنة تريد أن تحرق بدني كله، وأفهم أن صدره يرغب في أن يضمّ تمام جسدي. كنت أدرك أنه لو كان أحد في هذه الدنيا يستطيع أن يرضيه ولو للحظة واحدة، فهو أنا. وأنا نفسي كنت أريد أن أحس بضغط بدنه كله، وأتذوّق كامل قوة يديه الثقيلتين في أعماق بدني، أريد أن

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ينحل وجوده في وجودي، وأريد أن أداعب شعره المجعد شعرة شعرة، وأشعر بحرارة شفتيه فوق شفتيّ. كنت أريد أن أرى روحه، تلك الروح الحزينة المتجردة من الثوب الخشن الذي يلفّ البيئة ومشكلات الحياة والسياسة البليدة وضغط الديكتاتورية والخوف من الشرطة.

كنت أريد أن أكشف أعماقه، لكنه كان يفكر في عمله، ويفكر في سياسته، وكنت أتخيّل أنه مثلي تمامًا، لا يملك عالما آخر غير عالمي وعالمه، بيد أنه كان يفكر في كتابة الرسائل، وإرسالها إلى البريد، وفي دغدغة رئيس دائرة الأمن، وإثارة أعصاب الشاه، ويفكّر في مزارعي "مازندران" وعمال "أصفهان"، وفي محبيه، وفي الشباب الذين ينتظرون أوامره، وحسب تعبيره، كان يفكر في الناس.

أنا كنت قد افتديته بكل ما أملك، لكنه في المقابل ما كان يريد أبدًا أن يمنحني شيئًا.

لم أمهله، سلكت طريقي وذهبت. كان لا بد أن أفرض عليه إرادتي ولو لمرة. قلت له:

«أنا سأذهب، لا أستطيع أن أبقى هنا».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

كنت أظنه سيبقى ثابتًا في مكانه ولن يلحق بي، غير أنه نهض من مكانه، ونهض أيضًا الشاب الذي كانت تفصله عنا بضعة صفوف.

طأطأت رأسي وخرجت من باب السينما. كان يركض لكي يلحق بي، أوقفت عربة في الشارع، وأمرت صاحبها أن ينزل السقف.

حين أردت الركوب، جاء وجلس إلى جانبي، ووضع يده تحت ذراعي، كان جسدي كله يرتعد من الغيظ، لكنني كنت أبدو في الظاهر هادئة. أمسك يدي بيده وشدّ عليها وقال:

«فرنگيس!»

لم أجب، كان يضغط على يديّ، غير أنني لم أكن أعرف ماذا أقول له، كنت قد جلست إلى جانبه باردة مثل الحطب الرطب الذي ينفث الدخان ولا يحترق. ما كان يقول شيئًا. عندما دخلنا إلى الشارع المحاذي للسفارة، سألنا صاحب العربة:

«أين نتجه؟»

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

كنت أريد أن أعطيه عنوان بيتي، ولم أكد أنطق باسم الشارع حتى قاطع كلامي وقال:

«اذهب باتجاه شارع "پهلوي" صوب نهر كرج».

عدت ونظرت إليه نظرة ملؤها الشكر، لم أكن أعرف ماذا أقول له، كان هذا الرجل متحكّمًا بزمامي، وأقوى مني، كان بإمكانه أن يفعل بي ما يريد.

لم يعد لديّ أي خيار، انحنى برأسه وقبّل عيني.

لكنّي حررت نفسي من قبضته، وتريّثت ثانية، ثم أمسكت رقبته بيدي وألصقت شفتيه اليابستين بشفتيّ.

قال: فرنگيس، فرنگيس!

قلت: روحي، روحي!

كانت هذه أحلى قبلة في حياتي، وفي الوقت نفسه، لم أجد نفسي أبدًا محبطة ومحكومًا عليّ بالشقاء إلى هذا الحد.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

****

صمتت المرأة المجهولة للحظات وهي تعضّ على شفتها السفلى، كانت تريد أن تحول، بالقوة، دون انسكاب العبرات من عينيها.

كأني بها في الدقائق الأخيرة قد نسيت وجودي أصلًا، وانشغلت بالحديث مع نفسها، كما لو أنها تستعرض أمام عينيها بكل وضوح وبصورة حية، المشاهد السوداوية في حياتها الماضية، وتنقل ما تراه لكي تخزّنه في ذهنها، بشكل أفضل.

لفت صمتُها انتباهي إلى عالمنا، ومرة أخرى، ألقيت نظرة على اللوحة التي انتصبت أمامي، وحدّقت في العينين. كنت أمنّي النفس أن أكشف شيئًا جديدًا فيها. ثمة مرآة عاكسة لماضي هذه المرأة كامنة في هاتين العينين الصافيتين والشفافتين.

ولمّا رفعت وجهي عن لوحة "عيناها" والتفتُّ إليها، وجدتها تنظر إلى ساعتها. فقالت:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«أتعلم أن الوقت قد تأخّر كثيرًا؟»

«كم الساعة؟»

«تجاوزت الساعة الواحدة ليلًا».

«إذا لم تُخرجيني من هنا فلن أذهب. أود أن تستمري في سرد الأحداث حتى النهاية».

«ليس هناك نهاية».

«كيف انفصلت عنه؟»

«أكنت تظن أننا كنا نستطيع أن نبقى مع بعض؟»

«لا أدري، هذا ما أودّ أن أسأل عنه».

«هنا تكمن المشكلة، إذا لم تدرك إلى الآن هذه المسألة، فواضح أنني لم أنجح في تعريفك بنفسي وبالأستاذ».

«ماذا حصل حتى تم نفيه؟»

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«هذا الأمر ليس مرتبطًا بحياتي».

«أنت أيضًا لم تكوني تريدين حكاية قصة حياتك لي، كنت تريدين أن تفشي سرَّ هاتين العينين».

«هذا أيضًا لم أكن أرغب في قوله، كنت أريد فقط أن أوضح لك لماذا وبأي تصور رسمني هو بهاتين العينين. نعم، لقد نُسجت خيوط حياتي بخيوط حياته بحيث يستحيل فصل بعضهما عن بعض».

رجعَتْ وألقَت نظرة على العينين، علث جبهتَها بعضُ التجاعيد كأنها لم تكن تتوقع أن تجد في اللوحة مثل هذا الوصف الذي كانت تصورته لنفسها. ثم قالت:

«إذا لم يكن قد عرفني وقام برسمي بمثل هاتين العينين فليس الخطأ خطأه، الخطأ خطأي أنا، لأنني لم أحاول أبدًا أن أبدي له نفسي على حقيقتها. لم تكن لديّ هذه الجرأة، وكنت أُكنّ له الكثير من الاحترام وأقيم له ألف حساب إلى الحد الذي لم أستطع أن أكشف له تاريخي المشؤوم.

انظرا هذا أمر صعب، وأنا لا أعرف بأية لغة أنقل لك ما يبدو

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

لي متقطّعًا في صورة منظّمة. ماضيّ أنا كان على الدوام ورائي، وكان يتعقّبني دائمًا كالظل. ما هو عيبي؟ وما الخطيئة التي اقترفت؟ لماذا لم أستطع أن أعيش حياة عادية؟ ولماذا لم أستطع أن أتزوّج؟ ولماذا لا أستطيع الآن؟ كنت أمنّي النفس بأن تكون لي حياة فنانة، وكنت أتخيّل أنني محظوظة لتمكني من أن أتحدّث بما لا يمكن الحديث به. والآن، حُرمت حتى من نعمة السعادة التي ينعم بها الناس العاديون، مثل سمكة خرجت من الماء وسقطت أرضًا، أتلوى وأضرب برأسي وذنبي على الحجر والتراب. لا أملك ذلك العالم العلوي ولا تلك الدنيا السفلى، لا ملاذ ولا حامي لي. أتدري لماذا؟ لأن ماضيّ والعوالم التي عشتها والأحداث التي تخبطت فيها ترافقني كظلي في كل مكان، ولم أستطع أبدًا التخلص منها. إن الخيوط، التي نسجتها عائلتي حول وجودي، ألقت بي في القفص. ومهما سعيت وحاولت، فلن أتمكن من تحطيم هذه القشور الباردة، غير أن هذه المصيبة التي طوقتني ليست وليدة اليوم، بل كانت موجودة ذلك اليوم أيضًا. إن السعادة المتأتية من احمرار وجهي حينما يحدثني رجل بحديث جميل ولطيف أحسست بها فقط في حضوره هو، حينما كان يمسك بيدي، كنت أتذوّق طعم مثل هذه السعادة، لكن ماضيّ ظلّ بعبئه الثقيل الذي كان يزداد ثقلا في كل آن وحين، كان على الفور يكشف لي عن وجهه

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

القبيح ويحيل شراب حديثه العذب سمًّا زعافًا. وقد وصل هذا العبء المضجر حدًا لا يحتمل، فكلما كنت أستحضر ذكرى سعيدة ربما أكون قد عشتها في حياتي، كان ينتابني على الفور نوعان من الشعور؛ الأول أنني كنت أقول أنا لست أهلًا لهذا الرجل وليس لي قدرة على التضحية، فهو كتلة من الإيثار والحرمان، كيف يمكنني أن أتخلى عن كل أشيائي؛ عن اللباس والعطر، والتنزه، عن الترفيه ومرافقة الشباب الظريف والمرح، عن التردد إلى مجالس الرجال المحترمين، والسفر إلى الخارج. كانت كل هذه الأشياء في متناولي وتحت تصرفي، ويفترض بي أن أتخلى عنها جميعها، في الوقت الذي كان هو يستطيع أن يفتدي مبادئه العليا والأفكار التي يؤمن بها بكل شيء. بالجاه والمقام والفن والحب والاحترام، وكان سعيدًا بتقديمه هذه التضحيات، يملك الأمل ويستمتع بذلك، وعندما كان يصيبه القلق حينما يأخذون رفقاءه إلى الدائرة السياسية لأيام ويكبّلون أيديهم ويعلقون على خصيّهم الصناج، كان يستحضر مستقبل الناس الذين يحبهم، ويجعل من هذا العذاب والأذى ورقة في مصلحته وفي مصلحة قيمه ومُثله، لكن ماذا عني...؟»

***

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

وضعث فرنگيس رأسها على يدها، وأسندت يدها على الطاولة، وكانت تقضم ظهر سبابتها وهي تفكّر.

ماذا كنت أريد أن أقول؟ هو نفس الإحساس حينما أردت أن أتخلى عن فني، نفس المصيبة ونفس الإخفاق اللذان عشتهما، أنا لم أُخلق لأتسلق هذا الجبل الشاهق، لم تكن لديّ القدرة لفعل ذلك، ولم أكن أعرف ماذا خلف الأكمة، بيد أنه هو كان رسّامًا، يرسم في مخيّلته منظرًا أجمل من ذاك الشيء الذي هو موجود فعلًا على قمة الجبل، وكان يستمتع أكثر بهذا الخيال الجميل والمبهر. كان هو أسيرًا للمستقبل، ويراه جميلًا وواضحًا وصافيًا وخاليًا من المشكلات وعاريًا من العذاب والنقمة والغضب، على عكسي تمامًا، فعوض المستقبل، كان لديّ ماضٍ... ماضٍ بلا روح، ماضٍ مظلم لم يكن فيه ثمة شعاع واحد من النور، وكنت أتوهم في حياتي كثيرًا أنني حصلت على لؤلؤة وتدحرجت من يدي، وكم سعيت وجهدت لأركض من الأعالي وراء هذه اللؤلؤة اللامعة التي تتدحرج بين ثنايا الأحجار والحصى وفي خضم الوديان السريعة، لأعثر عليها. كنت أجري وراءها، وأعبر الماء دونما معبر. كنت مستعدة لأخاطر بروحي، أسقط، ورجلاي تصطدم بالحجارة وتجرحان، أنهض مجددًا وأركض، أركض وسط أرض مَخصَبَة ساخنة، وسط الأشواك بأرجل جريحة

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

وذهن مرغوب، وحينما حصلت عليها، لم تكن أكثر من زجاج، فكان تعب الطريق كله يعلو جسدي والعرق البارد يرتعد له عمودي الفقري. قلت لنفسي ألف مرة: من أين أعلم أن هذا الدّر أيضًا ليس سوى واحدة من تلك القطع الهشة المزيفة؟

كان هذا شعوري الأول، لكن أكثر ما كان يعذبني هو كيف لي أن أعرف أنه يحبني؟ هو لا يحبني في الأساس، ألم يثبت ألف مرة أن أكثر شيء متعلّق به في الحياة هي آماله ومُثُله، هو لا يتمسّك بشيء، لو أنني لم أشارك في أعماله الخطيرة هل كان سيحبني؟ كل الرجال كانوا يتغنّون بجمالي، بينما لم يفعل هو ولو مرة واحدة. آه، كم أتمنى أن أعرف أنني محبّبة لديه، لم يقل ذلك، رغم أنه فنان موهوب. كان ينبغي أن ينتبه إلى سحر جمال وجهي أكثر من أي شخص آخر، لم يكن لجمالي وجود بالنسبة له.

كان معجبًا بشجاعتي فقط، وينتشي ببرودة أعصابي في الأعمال الخطيرة التي يسندها إلي، وأنت تعلم أن شجاعتي هذه مصطنعة، أنا لم أكن مؤمنة بذلك، بل لأجله هو كنت مستعدة لأن ألقي بروحي في الخطر في أية لحظة، لأجله هو فقط، وليس لأجل الناس الذين يضحي لمصلحتهم، وهو لم يكن على علم بتضحيتي هذه، وكم يجب عليّ أنا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

المسكينة أن أخبره بكل شيء؟ كان يعتقد أنني أعذبه بعينيّ الساحرتين، وكان هذا الشعور يعذبني، ما كان يرغب بشخصيتي ولا بوجودي، بل يحب عمله فحسب.

لا يمكن تصور معاناتي في تلك الليلة قرب نهر كرج، لا تستطيع الكلمات أن تفصح عن إحساساتي. كنا نتجوّل يدًا بيد تحت ظلال أشجار المُرَّان العالي وتحت ضوء القمر، عاشقة وسعيدة، وحبيبها غير مقيد بالماضي، ومتأمل في المستقبل، غارقة في حالة يقل نظيرها في حياة أي كائن. كنا نستمع إلى نغمة الماء الهادئة والمثيرة للعشق ونتبادل القُبَل كلما سنحت الفرصة وخلا المكان من تردد المارة، كنت أقبّل وأشتمّ راحة يده ورؤوس أصابعه وعينيه الكبيرتين وشعره الثائر، كما لو كنت أخاف ألا تتكرر هذه اللحظة، ويجب لهذا السبب، التزود لعمر تعيس. ما أكثر الوعود التي أعطيتها له! وما أكثر ما قلت له! اعترفت له أني قد أحببته منذ أول يوم التقيته، أخبرته أنني رأيته لأول مرة في مرسمه، بأية رغبة وحرص كان يتجرّع عذوبة كلامي! حكيت له بالتفصيل أنني تخلّيت عن الرسم لأني لم ألق تشجيعًا منه، يا لحزن وجهه! كانت شفاهه قد جفّت وبدأت ترتجف.

كان يضمني بيديه حتى ينقطع نفسي، ما أحلى ذلك الألم!

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

قلت له إنني أريد أن أكون له العمر كله، أن أكون رفيقته وزميلته ومكافحة معه، أشاركه أفراحه وأتراحه.

كانت ثمة بقعة من السحاب تدور حول القمر، الذي كان أحيانًا يختفي وسط السواد، حينها كان ماء كرج يتماوج في غموض وهدوء، والأغصان تومئ برؤوسها بهدوء، ثم ينكشف القمر مبتسمًا وينثر فوق الماء فضة مذابة، وامرأة غجرية كانت تغني من بعيد وهي تعبر الطريق، وفي جانب الشارع شيخ يعزف على الناي ويردد أغاني حياته المضجرة.

وكنّا نحن نتبادل القُبَل بنَهم، أضم يده إلى صدري بقوة، ويقول لي:

«عيناك أوصلتاني إلى هذا الحال، ونظرة عينك هاته أوقعتني فيما أنا فيه، ما كنت أقدر على أن أتحمل نظراتك، ألم تكوني تلاحظين أنني كنت أحدق إلى الأرض؟»

فأقول له:

«انظر إلى عينيّ بدقة أكثر! لا شيء غيرك موجود فيها».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

فيقول:

«لا، ثمة عالم غامض خفيّ في هذه النظرة، كنتُ إنسانًا خجولًا، وعيناك هما اللتان منحتاني الجرأة».

حينها، كنت أمسك يده وأقبل راحتها وأقول:

«ما أعظم الروح التي تملك! أنا أحب هذه الصفة فيك، أنا أريد منك هذا الشوق وهذه الحرارة وهذا الألم وهذا التعطّش، وأريد أن أعيش معك على الدوام وأن أكون معك على الدوام».

عندما كان يتكلم كنت أسند رأسي إلى كتفه، غير أنه لم يكن يهدأ. كان يأخذ رقبتي بيديه ويضغطها، وكان يضغط بشفاهه على حنجرتي، كان نفسي يتوقف، فأقول له:

«كم تتعذب أنت، وكم تعذبت؟ كانوا يقولون لي إنك رجل عنيف وعديم الإحساس، كيف كنت هادئًا هكذا وتتظاهر بالهدوء؟ أنا أقدّس روحك الحيوية التي ذاقت الظلم، أريد أن أكون على اطّلاع بكل ما تقوم به. سأنفذ كل ما تطلبه ولن أخاف من شيء، أسند إليّ مهامّ أصعب، واجعلني مؤتمنة

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

لديك، ولا تترك أي شك ينفذ إليك، لم يبق لي في الدنيا شيء غير العيش وفق رغبتك ورضاك. أود لو آتي وأرى أعمالك. الآن عرفتك، ويجب أن آتي وأرى ماذا تفعل وماذا ترسم. بالتأكيد، أنت عندك أيضًا أشياء أخرى غير ما تبديه للناس، يجب أن تريني كل شيء».

كان هو يحرك رأسه بخجل ويهمس أحيانًا:

«كل أشيائي هي ملك لك، تعالي إلى بيتي! فرنگيس، لم يكن لأحد سلطة عليّ مثلك... أنت... أنت... طيبة... أنت محبوبة».

أظهر حبه بهذه الكلمات المعدودة فقط، ولم أكن أطمع في أكثر من هذا. لقد أذابت وجودي هذه النغمة الحارقة التي تنبعث من أعماق فؤاده، وهذه الشعلة التي تحرقه وتحرقني. لقد أوصلني إلى أسمى ما كنت أصبو إليه، كانت هذه دنيا أخرى، كلها موسيقى خالصة لطفًا وجمالا. أحس بأن وجودي بأكمله ليس ملكا لي، وكنت أمسك يده وأقبل رؤوس أصابعه، وأقول:

«أنا أقدّس هذه اليد التي تبدع آثارًا خالدة».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

بيد أنه لا يمنحني فرصة الكلام، فكان يحتضنني، ولا يلقي بالا للمارة الذين ينظرون إلينا من بعيد.

آه، لا يمكن شرح عوالم تلك الليلة، إنها عوالم لم تتكرر أبدًا، لأن سمو مكانته وحرارة عشقه طغيا على كل ما أملك، واختفى ظلي في نور جلال وجوده.

لم أجد بعدها الوقت لكي أصل إلى ماضيّ أنا، إلى الماضي الذي كان على الدوام يحفر في قلبي، وتذوقت للحظة لذة زمان الحال، ورأيت بأم العين صورة المستقبل المشرق.

اتفقنا على أن أذهب إلى بيته صباح اليوم التالي، غير أنه حينما أوصلني قرب المنزل قال:

«هل ستأتين غدًا إلى بيتي؟»

«طبعًا سآتي».

«متى ستأتين؟»

«في الوقت الذي تريد أنت».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«انتظري مكالمتي، موعدنا يوم غد، إنما أنا سأحدد الساعة».

«لماذا لا تحدد الساعة الآن؟».

«أريد أن أدعوك حينما يكون بيتي آمنًا، ولا تنسي إذا سألوك عن شيء أن تقولي إنك لا تعرفينني، جئت فقط لكي أرسم وجهك».

«هل حقًا تريد أن ترسم وجهي؟»

«كنت أرغب كثيرًا لو أني أستطيع رسم وجهك».

«إذن سترسمه؟»

«وهل أستطيع؟»

«لمَ لا تستطيع؟»

«ما لم أعرفك، فكيف أستطيع رسم صورة تشبهك؟».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«أنا ملكك».

«أنا أخاف من عينيك، إن لهما سلطة عليّ».

«أنا أخاف منك».

«لماذا؟»

لم أجب، كنت أريد الفرار من قبضته. أمسك يدي وقبل راحتها فيما أسرعت أنا أركض صوب البيت.

كانت أمي جالسة على سجادة الصلاة، وفي يدها كتاب "زاد المعاد"(23) الذي كنت أعرفه منذ الصغر. كان وجهها فقط يبدو من تحت عباءة الصلاة البيضاء، تركع على الأرض، تتحرك وتنفرج شفاهها، وبمجرد ما رأتني حرّكت رأسها معترضة، وقالت:

«إلى هذه الساعة المتأخرة من الليل! ووالدك ليس موجودًا، إنني أموت من الوحدة».

أخذتِ الصحيفة من جانب سجادتها وقالت:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«لقد غيّروا رئيس دائرة الأمن، وعينوا العقيد آرام الذي نعرفه رئيسًا جديدًا. ألا تريدين أن تفعلي شيئًا من أجل والدك، لعلهم يرجعونه إلينا من المنفى».

لم تكن لدي طاقة لأستمع لهذا الكلام، ذهبت على الفور إلى غرفتي، ورغم مجيء "فضه سلطان" وإصرارها على أن أنزل لتناول العشاء لم أستسلم لضغطها، وارتميت على الفراش بنصف روح.

سيدي الوكيل، لا يمكن قول بعض الأشياء، فهي تُشعرك بأنها تقطع عرقك وعصبك، وتذيب قلبك، وحينما تريد أن تبيّنها تجدها مفتقدة للون والرونق؛ مثل لوحة رسمها تلميذ نقلًا عن عمل الأستاذ، هي اللوحة نفسها، إنما تفتقد إلى تلك الروح، وإلى ذلك الشيء الذي يشدّ قلبك.

كم وددت لو استطعت أن أجسد لك مدى معاناتي في تلك الليلة، وماذا حلّ بي، كانت أخطاء الماضي تعبر من أمام عيني واحدة تلو الأخرى، تكشّر عن أنيابها وتوجه لي كلمات لاذعة.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

يهزؤون بحبي، أولئك المهزومون والمنسحبون وجدوا الفرصة مواتية كما لو أنهم كانوا يقولون: لا تأخذي الأمور بهذه الجدية، هذه ليست سوى نزوة. تجلّى أمامي وجه دوناتللو الحزين، حينما شوّهت أمواج الماء شكله الطبيعي، كانت نار سيجارته الحمراء تنزلق من ثنايا الأمواج، وفجأة غمرت سطح ماء البحيرة بأكمله، كان يقهقه كالمجنون، ويفر مني كمجنون تحرّر من الأسر، ويصيح: أنت، أنت تتحدّثين عن العشق؟ كلام أمي عن رئيس دائرة الأمن ذكّرني به، كم كان مصرًّا على الزواج بي. كنت أخاف من هؤلاء، وأخفي وجهي في المخدة، أرتجف، وأشعر بالبرد، وتنتابني حالة من التوتّر، أقوم وأقرأ كتابًا. لم يكن النوم يعرف طريقه إلى عيني، وكنت أُجهد، وحينما أحاول النوم تعاودني هذه الظلال المرعبة وتمر أمام عيني واحدة تلو الأخرى، تسلب مني الهدوء. في بعض الأحيان، كانت ملامح وجه "خداداد" المضطربة والمنفعلة تسدي لي النصح، حتى هو لم يعد لينا ولا مقنعًا، كان هو الآخر يهددني، كأنه يقول: انظري إلى مهري! أما الأكثر وقاحة من الجميع كان هو ذاك الفتى الفرنسي، الروائي الذي كان يريد الزواج بي مهما كلّف الأمر، كنت قد قلت له إنني أحب وطني ولا أريد أن أعيش معك، هذا الولد الذي كان على الدوام يضع يده في جيب صُدْرَته الأيمن، ويتحرك بسرعة ومن دون تناسق، ويضحك عليّ

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

بوجه فاجر ويقول: أي مكان من وطنك تحبين؟

كانت هاتان الروحان المتخاصمتان المعشّشتان في وجودي، في سبات منذ دخولي إلى إيران، واستيقظتا من جديد، واحدة تقول: إياك أن تذهبي إلى بيته، "ماكان" رسّام ماهر، حتى إنه ضحى بفنه في سبيل طموحه، ورأسه المضطرب لا يقنعه المقام والجاه، هو متعطّش إلى الشهرة، إياك أن تذهبي إلى بيته، فهو لن يبقى معك أكثر من بضعة أيام، حينها ماذا ستفعلين؟ أما الروح الثانية فكانت تجيب بقلق: عذوبة الحب تكمن في هذا التردد، اذهبي إلى بيته، اذهبي وساعديه...

آه، ما هذا الهراء الذي أقول! صدقني، لم أنم الليل كله، وكانت تتقاذفني دائمًا أوهام مختلفة من موضوع إلى آخر، مدهشة وخادعة، واعدة ومظلمة وحانية ومشوشة. لم أكن أعرف ماذا أفعل، ولم أكن قادرة على اتخاذ أي قرار. الأمر الوحيد الذي كان مؤكدًا بالنسبة لي هو أنني لو ذهبت يوم غد إلى بيته، فينبغي أن أعدّ نفسي لحياة ملؤها المصائب. كنت أقول إنني لست أهلًا للعيش معه، فأنا لا أستطيع أن أناضل معه جنبًا إلى جنب، وفي النتيجة، سوف أوقف طريق تقدمه، وهو أيضًا ليس من الذين يتخلّون عن هدفهم. شئث

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أم أبيت سوف يحكم علي بقضاء عمر من العذاب والشقاء.

لكن لو لم أذهب يوم غد، فماذا سأفعل؟ ألن أندم؟ وماذا سيكون جوابي لنفسي بعد غد؟ وهذه أيضًا تعاسة، أنا لم أقرر، وخرجت الأمور من يدي، وأخذني سيل الأحداث معه.

كما يجب ألا تنسى أيضًا أن الخُطّاب لم يكونوا يتركونني وشأني، وكانت إغراءات هؤلاء أيضًا وبالًا عليّ، كان واحد من هؤلاء يتوقف كل يوم على باب منزلي بسيارته الشفروليه، ينظر إليّ بوقاحة بشكله الأحمق، بينما كنت أنا غارقة في مشكلاتي، لدرجة أنني لم أستطع أن ألتفت إلى هؤلاء المخادعين المتأنقين.

ذات يوم دخلت بيتنا مجموعة من النساء بوجوه تغطيها مساحيق التجميل، ويلبسن معاطف من الفرو، وأصابعهن ممتلئة بالخواتم. نظرةٌ واحدةٌ كانت كافية بالنسبة لي لأتعرّف إليهن، ركضت نحو أمي، وقلت لها: سيدتي العزيزة، هنيئًا لك بمجيء الخُطّاب لخطبة ابنتك. كانوا ينحدرون من أسرة تعمل في التجارة، وسكة الحديد كلها تمر من وسط أملاكهم وعقاراتهم، وكانوا قد انتقلوا من حارة "گودزنبورك"(24) إلى شارع «پهلوي". في البداية، تحدثن

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

إلى والدتي عن عفّتي وحشمتي، وكن يقلن: هذه الفتاة لا ترفع رأسها في الشارع لترى الناس. وبقدر ما كانت أمي تحاول أن تبيّن لهن أن الأمر ليس كذلك، كن يصررن على كلامهن. وحينما كانت أمي تقول إن ابنتي تريد زوجًا مثقفًا، كن يرددن عليها بجواب جاهز سلفًا: نعم سيدتي، ولدنا حاصل على الليسانس. حينها، كانت أمي تقول: هي لن تختار إلا الشخص الذي تريد، فيجبن: نعم، بكل تأكيد، هذا واضح، أنت ائذني لهما ليخرجا معًا، ويذهبا إلى السينما، حتى يتعرفا إلى بعضهما، فيما بعد.

خاطبٌ آخر كانت أمه رفيقة أمي في سفر كربلاء، ظل ابنها في الخارج يلهو ويلعب لبضعة أيام، والآن هو يعمل في وزارة الزراعة مفتشًا خاصًا بدبلوم صناعة الخمر. كان يدعوني، ويصطحبني إلى سهرات نادي إيران؛ لم أكن أجمل النساء في هذه اللقاءات وحسب، إنما كنت أجمل النساء تأنقًا وذوقًا بينهن كذلك، وكنت أتحدث مع هؤلاء بلغتهم الخاصة. ذات يوم، أريته دولاب ملابسي وقلت له: انظر كم لديّ من الملابس والأحذية والمعاطف وكل ما تشتهيه النفس، كيف ستؤمن لي أنت شراء كل هذه الملابس؟ أريته، على الأقل، عشرين نوعًا من العطورات والمساحيق وأدوات التجميل. احمرّ وجه الرجل ولم يرجع إلى بيتنا ثانية، فأنا أعلم جيدًا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ماذا كان يجول في خاطره عني، لكن ما أهمية ذلك عندي؟

كانت حياتي تدور حول محور الأستاذ، إما أن تكون معه وإما أن تكون كما هي الآن.

أما الثالث فكان عقيدًا من أقارب والدي، وكنت أعرفه من أيام وجودي في الغرب، دعني أتكلم عنه، فيما بعد.

ظللت أتململ على فراش النوم في اليوم التالي حتى الساعة العاشرة والنصف، وحتى تلك الساعة، كنت شاحبة اللون قلقة أعاني من الأرق، ولم أخرج من غرفتي بعد. جاءت أمي وجلست إلى جانب فراشي، تريد أن تعرف سبب انزعاجي. آه، كم كان الأمر سيصبح أفضل لو لم ينفوا والدي، كنت أنسجم معه أكثر. على الأقل، سأنال متعة وضع رأسي على كتفه وأستسلم للبكاء، وهو كان متفهمًا لدرجة أنه لا يسأل عن سبب تعاستي وحزني، لكن أمي كانت من المحافظات اللواتي يتصورن أن كلمة الحب يجب أن تقرأ فقط في ديوان "حافظ"(25)، ولم تكن تفهم معنى الهجر والوصال، ليس لها شيء في العالم الخارجي غير هذه الحياة التي تعيشها مع أبي، وكان والدي قليل الكلام ويكره الثرثرة، بيد أن أمي لا تدرك أن الإنسان يحتاج أحيانًا إلى أن يقفل فمه

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ولا يتفوه بشيء.

رنّ جرس الهاتف الساعة العاشرة والنصف. طرت من غرفة نومي بقميص النوم الذي ارتديته إلى استراحة الطابق العلوي، فقد كان الهاتف هناك.

كنت أعرف صوته، كما العادة، كان يتحدث بهدوء ومتانة ورصانة. سألني عن أحوالي، على خلاف العادة، وخاطبني بصيغة الجمع(26)، وبعد حوار عادي، سألني:

«هل ستحضرين إلى هنا؟»

«لا أعلم».

«ألم نحدد موعدًا؟»

«بلى، لكن اليوم ليس لدي وقت، وأنا لست على ما يرام».

أردت أن أتحدث معه بنفس اللغة التي كنت أتحدث بها مع الآخرين، لكن الأمر لم ينجح. هذا الرجل سحرني.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«فرنگيس، يجب أن تأتي».

«ربما ليس لائقًا».

«إنه لائق، بالتأكيد».

«ربما ليس في مصلحتنا».

هنا أصابه الوهن، وانقطع الصوت لهنيهة، وبعد بضع ثوان، قال:

«الأمر يعود إليك، ربما الحق معك، ربما ليس في مصلحتنا».

لم أجب بأي جواب، بينما تريّث هو لحظة، ثم قال:

«حسن، إلى اللقاء!»

انتهى الأمر بالنسبة لي، وأيقنت أن الأمر انتهى بالنسبة له.

ماذا أصابه بعد هذه المكالمة الهاتفية؟ من أين لي أن أعلم؟ هو لم يكن يتكلم أبدًا، والشيء الذي استطعت أن أستخلصه

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

منه هو ما كان يعبّر عنه بنفسه. ربما قرّر في ذلك اليوم أن يرسم وجهي، بهاتين العينين اللتين رسمهما الآن، تذكّرت كلامه حين قال: «أمنيتي هي أن أرسم وجهك، وما لم أعرفك فكيف أستطيع رسم صورة تشبهك؟»

كان العمل والجد ملاذه، فكلما كان يفشل، يحتمي بأعتاب العمل فيستعيد هدوءه. وهذه أكبر سعادة يحصل عليها إنسان في الحياة، إنما، هذه المرة، كان لابد من المزيد من الصبر والتحمل.

بعدما لعب قليلًا بالألوان والريشة أدرك أنه لا يقدر على ذلك، وضع كوعه على ركبته وأسند رأسه إلى يديه، وانغمس في التفكير لبضع دقائق، ثم خرج بهذه النتيجة: إن الحق معها، ليس من مصلحة أي منا. حينها سأل نفسه: إذن، ماذا كانت تقول عيناها؟ استغرق هذا التأمل والتعمق نصف ساعة فقط، بعد ذلك، باشر عمله.

كان هذا ما استطعت أن أستخلصه، لكن الحقيقة كانت أكثر حدة من هذا. لم يكن يبوح لأحد بشيء، ولم يفض لي أنا أيضًا بشيء. هذه الصورة الموجودة، أمامك الآن، تحكي خلاف ما كنت أعلمه، عانى هذا الرجل لثلاث سنوات بالتمام

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

في النفي، بسبب اعتقاد واه وبسبب تصور خاطئ عني. وفي ثلاث سنوات من النفي في "كلات"، رسم هذه اللوحة. هذا هو العمل الفني الوحيد الذي أنجزه في فترة تشرده بعد الخروج من طهران، فهو إذن، لم يتخذ قراره ولم يقرر أن يتركني في نصف الساعة هذه. كنت أتخيّل أنه فكر لنصف ساعة وانتهى الموضوع بالنسبة له.

انظر، تعاستنا، كلانا، أننا لم نعرف بعضنا حينما كنا قريبين من بعضنا، فهو لم يعرفني البتة، وهاتان العينان تبيّنان أنه لم يدرك روحي أبدًا. أنا كنت المقصّرة، فإذا كان هو لم يقل شيئًا، فقد كانت هذه رغبته التي تمليها عليه طبيعته، لأن الفنان لا يكشف آلامه لكل الناس، هو لم يكن يتكلّم، بل كان يوصل وجهة نظره عن طريق عمله الفني.

أما أنا فكنت أستطيع أن أقول له لماذا أجبته في أول الأمر في الهاتف بذاك الشكل، وعملت خلاف ذلك لاحقًا.

دونما أي تردد وبصورة لا شعورية، توجهت إلى دوش الحمام بعد المكالمة الهاتفية. بعد ذلك، جلست لبضع دقائق على المقعد الوثير وتفرغت لتزيين نفسي، ليس بغرض الذهاب عنده. لا، كانت في داخلي قوة أكبر من إرادتي

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

وتصميمي تدفعني إلى أن أفعل هذا، كما لو أنني كنت أريد أن أذهب إلى اجتماع رسمي وألقي خطبة احتفالية. عقدت شعري من المفرق باتجاه طرفي الرأس بإحكام، وارتديت سترة وتنورة سوداوين. كنت أراه هو فقط في المرآة جالسًا منهمكًا في الرسم، والباليته معلقة في إبهامه، وكانت ألوان مختلفة وأخرى حادة وألوان متنافرة تُعجن ببعضها، يخلطها بسكين. فجأة، تبادرت إلى ذهني فكرة أنني لو فتحت باب ورشته ودخلت إلى غرفته، فماذا سيقول لي؟ بالتأكيد سيقفز من مكانه ويأخذني في أحضانه ويقبلني حتى ينقطع نفسي. لا، لم يكن هذا في مصلحة أحد، لم يرق لي هذا المشهد. ثم تبادرت إلى ذهني فكرة أخرى، وهي أن أتصل به هاتفيًا وأخبره أنني سآتي، ألن يستغرب؟ ألن يتعجب من ترددي وعدم ثباتي؟ لكن هو يختلف عن الجميع، يجب أن يكنّ لي "ماكان" الاحترام، ويجب ألا يعرف من أكون، أنا أدرك ضعفي أكثر من الجميع، وهو لو عرفني على هذه الصورة، فسينتهي أمري، لن أذهب. إذن، لماذا ارتديت الملابس في وقت الغذاء؟ بماذا أخبر أمي؟ أقول لها أنا مدعوّة إلى أين؟

انشغلت عبثًا لساعة من الزمان بلباسي ووجهي ورأسي، وفي الآن نفسه، كان الحزن والألم يعتصران أعماقي، كنت

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

في صراع مع نفسي، لا أعرف ماذا أريد، ذهبت إلى الهاتف مرتين أو ثلاثًا ورفعت السماعة وأدرت رقم هاتفه، غير أني لم أجرؤ على الحديث إليه. وفي النهاية، خرج الأمر عن سيطرتي، وبمجرد ما سمعت صوته على الهاتف، قلت:

«ماكان، أنا غيّرت قراري، سآتي».

قال: «تعالي!»

خرجت من البيت دون أن أخبر أمي بشيء. لقد تعودت المسكينة على خروجي من المنزل، أما الآن ورغم عدم اطلاعها على أنشطتي السياسية بعد نفي والدي، فأن الخوف يملأ جوفها، لم أكن أريد أن أجادلها. قلت لـ"فضه سلطان" أمام الباب: «لا تنتظروني، فأنا مدعوة إلى الغذاء».

قالت العجوز: «الله معك».

انطلقت مسرعة، وكأني واقعة في ورطة، ولم يبق لي حل آخر غير هذا. كنت قد صرت مشبوهة لدى الجميع، وأشك في الجميع، وأتوجس من كل من ينظر إليّ، وأحسب الجميع جواسيس لدائرة الأمن. بدا لي أن الجميع قد اتحدوا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ليكسروا الكأس التي تحوي شهد سعادتي. كان منزله يقع خلف مسجد "سپهسالار".

لم أكد أطرق الباب بعد حتى أدخلني آقا رجب إلى ساحة المنزل. في الجهة الأخرى من الساحة باتجاه الشمس، كانت ثمة سلالم تنتهي بشرفة غطّت فناءاتها زهور العسلة. وقف آقا رجب جانبًا، ومن دون أن ينظر إليّ، ومثل خشبة ألبسوها لباسًا، وبملامح لا يظهر عليها أدنى تأثر، أشار بيده إلى السلالم. كان هناك طفلان صغيران يلعبان في الساحة تحت أشعة الشمس، أحدهما يستقل دراجة ثلاثية العجلات والآخر يقودها، وفي إحدى الغرف في الجهة اليمنى، كان ثمة امرأة ترتدي سروالًا أسود طويلًا منشغلة بتجفيف الأطباق الصينية.

في هذه الأثناء، فُتح باب الشرفة العلوية، فجاء هو إلى الدّرج، وكان ما يزال يحتفظ بالباليته والريشة في يده، أمسكني من تحت ذراعي اليسرى بيده اليمنى واقتادني إلى غرفته.

يجب أن أحكي لك كل شيء صحيحًا وبصراحة، حتى تفهم بأي نار كنت أكتوي، وحتى تدرك كيف كان يتعامل معي عن

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

غير علم، كقطة صغيرة تلعب بذيلها.

كنت أتوقع بمجرد دخولي إلى غرفته أنه سيأخذني في أحضانه ويغطي شفاهي بقبلاته الساخنة، وأنا سأدير وجهي وأمتنع. لماذا كنت قد اتخذت هذا القرار؟ لأنني كنت أريد أن أحافظ على تأثيري عليه، في وقت كنت ألهث وراء قبلاته، وكنت أود أن تغطي شفاهه رأسي ووجهي، وكنت أود أن أجرب دفء جسده، وأن أحس في حضنه الدافئ بكل ما فشلت في تحقيقه على الرغم من أني كنت أتمناه طوال حياتي. ومع ذلك ولأجل إثبات قوة شخصيتي والحفاظ عليها، اتخذت مثل هذا القرار. لم أكن أرغب في أن يفهم أن قوة خارقة سحبتني إليه مثل دمية مسلوبة الإرادة، لكنه كان هادئًا للغاية، هل فقد جرأته من شدة الاضطراب أم أصابه الرعب هو الآخر؟ ربما تكون مكالمتي قد أثرت فيه وأرجعت صوابه. آه، تلك الأيام، كنت أعتقد أن الأستاذ رجل عاقل وكيِّس، وما لم يزن الأمور، خيرها من شرها، فلن يقدم عليها. تصور أنني، أنا التي كنت أجبر مائة شاب بغمزة وإيماءة واحدة على الرقص مثل قرود الحلبات، صرت مجبرة على تسول قبلة واحدة منه.

أدخلني إلى الغرفة، كان يبدو هادئًا، كانت غرفة بسيطة

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أثاثها يتكون فقط من مقعدين وثيرين وطاولة مستديرة، وتتراءى على طاولة صغيرة مزهرية مملوءة بالزهور.

أجلسني على الكرسي، وجلس إلى جانبي، رماني بنظراته للحظات، ثم سألني:

«لماذا لم تكوني تريدين المجيء؟»

«كنت في حرب مع نفسي».

«من فاز في نهاية المطاف؟»

«أنت».

«لم تكوني في حرب معي أنا».

نسيت جميع فنون الإغراء، ولم تعد تلك النظرات التي كانت تهزم الجميع تنضح من عينيّ، وكل ما كنت أعرفه من كلام وغزل تجمّد على طرف لساني، ونسيت حتى ضحكاتي. كنت أنظر إليه بانكسار وإنهاك، ولو أنه نطق بكلمة واحدة، لخنقتني دموعي، لكن آقا رجب أنقذني من هذه الورطة؛

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

سمعنا صوت أقدامه في الشرفة.

قلت له:

«أين أعمالك؟»

«مرسمي هي هذه الغرفة المجاورة».

«اسمح لي أن أتفرج».

«ليس لدي الكثير، الأعمال غير المكتملة كثيرة، أتريدين مشاهدتها الآن أم بعد تناول الغذاء؟»

«الآن وبعد الغذاء أيضًا».

«انتظري، رجب.. ماذا كنت تريد؟»

دخل آقا رجب إلى الغرفة بوجهه الذي لا يبوح بشيء، وقال:

«لم أكن أريد شيئًا».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«أنصت إلى ما سأقول، لو جاء أحدٌ فلست موجودًا. أنت تعرف السيدة فرنگيس، جاءت لكي أرسم وجهها».

«نعم، سيدي».

أكمل الأستاذ كلامه:

«قل هذا الكلام لكل من يسألك».

«نعم، سيدي».

«ليس لدي أمر آخر».

سأل آقا رجب:

«متى تتناولان وجبة الغذاء؟»

«سنذهب الآن إلى المرسم، أنت جهّز المائدة! ونحن سنخبرك بأنفسنا».

بعد ذلك، توجهنا إلى ورشة رسمه.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

لوحة "حفلة كشف الحجاب" الكبيرة لم تكن قد اكتملت حتى ذلك الوقت، فقد كان وقتها يعمل على عدة لوحات لرباعيات الخيام. "البيوت الريفية" كان على وشك الانتهاء منها، وهي آخر لوحة أنجزها في طهران.

انجذبت إلى كل هذه البراعة والنبوغ. فجأة، ألفيت نفسي في عالم لطالما كنت أنتظره، نظرت مدة إلى اللوحات بدهشة وبقلب مغموم، كان الأستاذ واقفًا أمام عتبة الباب وكنت أحس بلوعة نظرته من خلف ظهري، فقد سلب لبي بهاء هذا المرسم فارتبكت. كنت قد شاهدت في أوروبا شيئًا من أعمال الأساتذة الكبار؛ ففي إيطاليا، عظمة جمال وبهاء لوحات "ليوناردو دافينشي" و"رافاييل" تثير اندهاش المرء وانبهاره، وكنت أحب أعمال المدرسة الفرنسية، وفي ميونيخ، رأيت أعمال "رامبرانت" و"دوره"، لكن ما شاهدته، لأول مرة في مرسمه، أثّر فيّ بشكل أكبر، ليس لأن الأستاذ كان فنانًا أكثر سموًا، لا، ما رأيته، في ذلك المرسم كله كان قطعًا من روحي أنا.

أولئك الذين كان الأستاذ قد رسمهم في لوحاته كانوا يتحدثون بلساني ويفقهون لغتي وينظرون بعيني، كنت

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أعرفهم وأدرك آلامهم، ثمة تعارف وأنس يحكمان هناك، فالحوادث والمصائب، التي كانت مجسدة في الرسوم، لم تكن، في رأيي، تثير الانتباه في الوهلة الأولى، فلقد راق لي كثيرًا أن الناس الذين عاشوا هذه الأحداث من الأشخاص أو الأقرباء أو أبناء الوطن، تجرعوا ما تجرعت مرارته، وعانوا ما كنت عانيت منه، وما أزال. كانت لوحة "حفلة كشف الحجاب" قد تم تصميمها حديثًا، ووجه المرأة بحالته المضحكة كان يبدو مكتملًا تقريبًا، تذكّرت أمي على الفور، إذ بمجرد ما أن دبّت الفوضى في إيران هربث إلى كربلاء، وكانت تنوي البقاء هناك مجاورة للحرم، أما خالتي العزيزة فقد تورطت تقريبًا في هذا الوضع، فقد كان وزير العدل، الملا، يريد أن يقبّل يد خالتي العزيزة، التي كانت تسّبح العمر كله. استحضرث كل هذه المشاهد وكل هؤلاء الناس بشكل من الأشكال، وأنا أحسست بأن الجنة التي كنت أمنّي النفس بها موجودة في هذه الغرفة.

تذكرت مجددًا كل المصائب والمتاعب التي عانيت منها بسبب هذا الرجل، الذي يقف الآن خلف ظهري، فلو أنه انتبه أكثر في ذلك اليوم في مكتبه الذي كان مدرسته، لربما كنت اليوم سعيدة أيضًا، فرجعت ونظرت إليه نظرة تختصر كل هذا الاشتياق الدفين.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

سألني:

«ماذا؟ لماذا تنظرين إليّ هكذا؟»

خطا خطوات ثلاثًا، فاقترب مني. أمسكته من رقبته، وقلت:

«ماكان، كنت أود لو أصبح رسامة مثلك».

مسح بيديه مداعبًا شعري، وأبقاني هادئة للحظات، وبعد ذلك، أمسك وجنتي بيديه الكبيرتين العظميتين، وحدّق في عينيّ، كانت شفاهه تتحرك لمدة، كما لو أنه يبحث عن آخر كلمات ضاعت منه، وقبّل عينيّ فقط دون أن يقول شيئًا.

ماذا كان بإمكانه أن يقول؟ هل كان من اللازم أن يكرر ما قاله قبل خمس سنوات بطريقة من الطرق؟ بيد أنه كان يعرف أنني لم أعد تلك الفتاة صاحبة النزوات الطائشة، كان يعلم هذا.

سيدي الوكيل، لا تدري حينما يتوفّر لديك الشوق للإبداع والخلق لكنك تفتقر إلى المهارة والموهبة والتجربة، كيف

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

يعشش اليأس والإحباط في ثنايا وجودك ويبحثان عن موطئ قدم لهما!

جلست على كرسي ذي أربع قوائم، بينما كان هو واقفًا بجانبي، وكنت أحس في جواره بجمال وسعادة تضمر المرارة في أعماق حلاوتها.

فجأة، أخذ يتكلم بهدوء، كما لو كان يستظهر الجمل التي حفظها من قبل، فقال:

«أريد أن أقول شيئًا ربما يكون جديدًا بالنسبة لك، وربما لا تستطيعين ولا تريدين أن تفهميه أيضًا، لكنني مجبر على قوله لك، لأنني لا أريد أن أخدع فتاة شابة مثلك.. إن مصيري ومصير هذه البلاد توأمان، لم تعد لدي سعادة شخصية، لو أردت أن تقرني حياتك بحياتي فسوف تصبحين تعيسة».

بدأ يتلعثم ويتأتئ مثل الأطفال الذين لم يتعلموا درسهم جيدًا، لكن صبري نفد، فقلت:

«أعلم كل ما تريد قوله وفكرت فيه، أنا أعلم أنني لست أهلا لك، فأنا شابة بالنسبة لك، أنت تفكر في المستقبل فقط، فيما

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أنا أريد أن أتذوّق طعم الحياة للحظة واحدة في عمري كله، لهذا جئت، وأنا الآن أتوسل بين يديك، أعرف أن ترددي أدخل الشكّ إلى قلبك، لا وجود لغدٍ بالنسبة لي، غدي مظلم، ومعك مظلم، ولكن من دونك أسوأ بكثير، لا فائدة، لا تتكلم! أنا أصغر منك بكثير، ليتك علمت بما قاسيتُه، فأنا أكبر سنًا مما يبدو من ظاهري».

«احكي لي ماذا قاسيت؟».

«أنتَ لن تطيق الاستماع إلى ذلك، وأخشى أن تحتقرني».

«ربما يكون العكس صحيحًا أيضًا».

«ما هو عكسه؟»

«عكسه أنه ربما تصبح مكانتك عندي أسمى مما تتصورينه أنت».

«لا، لا يمكن قول ذلك، كل الرجال يقولون هذا الكلام».

سيدي الوكيل، قل لي أنت؟ ماذا كان بوسعي أن أقول له؟

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

لا شيء جديد في حوارات ذلك اليوم، بالنسبة لك، فما كنت أخمّنه كان صحيحًا، كان هذا الرجل مصنوعًا من الفولاذ، فحينما سمع صوتي في الهاتف اتخذ قراره. كان يكنّ الاحترام لكل شخص، وبإمكانه أن يفعل بي تلك الليلة ما يشاء، ويستطيع أن يأخذني في حضنه كجارية، لكن هذا لم يكن كافيًا بالنسبة له، إنه كان يريد نفس الشيء الذي كنت أرنو إليه، هو لم يكن يستمتع ببدني، بل كان يريد روحي، ويخشى ألا تكون من نصيبه، لم يكن يبحث عن معشوقة، أراد رفيقة كفاح في المعركة التي يخوضها، أراد من تضحّي بنفسها وترافقه دون أن تصيبها رهبة من أي بلاء.

تناولنا الغذاء وتحدثنا عن كل شيء إلا عن الحب الذي كنا كلانا نتركه ينمو في قلبينا بشكل خفي.

نعم، حبنا الجلي بدأ في تلك الليلة على ضفة نهر كرج، تحت أشجار المُرَّان العالي، وانتهى هناك.

انظر، هذه هي المصيبة الكبرى في حياته، أتدري أية استمرارية وأي ثبات للنار التي تحت الرماد؟ الحب الخفي هو حب لا يجرؤ الإنسان أبدًا على أن يتحدث بشأنه ويقر به، لأي سبب من الأسباب؛ بسبب القيود الاجتماعية، والطبقية،

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

وبسبب أن المعشوق لا يدرك، لسبب أو لآخر، فإن هذا الحب هو ذاك الحب الذي ينخر باطن الإنسان ويضرم النار فيه، ويصبح في النهاية كالفضة المذابة الصافية من كل شائبة.

لم أكن أجرؤ على الإفصاح له عما يعتمل في قلبي، وكان هو يريد أن يبقيني مصونة، ومع ذلك، فقد كان هناك فرق أساسي بيننا، إذ لم تكن كل قواي في اختياري، ولم أكن أستطيع أن أخفي تمامًا كل ما كان يجيش في أعماق وجودي، كان ذلك يظهر في حركات شفاهي، وتعاملي المهذب واللطيف معه، وفي طاعة أوامره طاعة عمياء، وفي نظرة عينيّ، وفي الشوق والحماس الذي أبديه في مقابلته. كنت أظهر ولهي في كل الأعمال التي لها صلة به، غير أنه كان يفكّر بشكل آخر، لم يكن يشعر بطريقة أخرى، إنما يستطيع أن يتغلّب على كل عواطفه، فلو كان أحد يراقبنا باستمرار ما كان سيستنتج غير نتيجة واحدة؛ هي أنني متيّمة به، وهو رجل قلبه من حجر لم تصل رائحة العشق أصلًا إلى مشامه، ولا يعيرني أقل اهتمام وعناية.

من هذه الناحية فقد تعذّب هو أكثر، واللوحة التي هي الآن قبالتك دليل على ذلك.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

آه، كم كانت ستصبح حياتي سعيدة لو تجرأت تلك الليلة وعرّفته إلى نفسي، على الأقل، كما تعرفني أنت اليوم.

قضيت ذلك اليوم بأكمله عنده، وجلسنا الوقت كله في المرسم. كان، في بعض الأحيان، يأتي أحدٌ لرؤيته، حينها كان آقا رجب يكتفي بالنقر على الباب فقط، كان "ماكان" يعتذر إليّ بمنتهى الأدب ويعطيني علبة الكرتون التي بداخلها تصاميم متنوعة، أو المجلة التي نشروا فيها أعماله بالنمسا، أو أحد أغلفة "الخيام" الذي كان هو قد صوّره، ويذهب فأبقى وحدي، وأقرأ ما في يدي، أو أتحسّر. وأحيانًا، كنت أنسى كل شيء في عالمي المليء بالنشوة، وأتصور نفسي فارغة من كل أنواع العذاب. كنت أقلّب تصاميمه رأسًا على عقب، وأستمتع بمشاهدة أعماله غير المكتملة. مرَّ الوقت بسرعة لدرجة أنني تعجّبت حين حلّ الظلام.

ما إن قمت من مكاني، حتى قلت:

«ماكان، سنبقى أصدقاء».

«يجب أن نكون رفقاء».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

كان معنى ذلك واضحًا، بالنسبة لي.

نزع معطفه الأبيض، وسألته:

«أتريد أن تأتي معي؟»

«سآتي لأرافقك قليلًا في الطريق».

«تعال لنذهب معًا إلى جانب نهر "كرج"».

«ما الفائدة؟ هذه الليلة تختلف عن الليلة السابقة كثيرًا».

«بالنسبة لك!»

أمسك وجهي بيديه بقوة، ونظر إليَّ بنظرات ملتمسة، وقال:

«لو أنني أفهم ماذا يكمن في نظرتك هذه، لكانت هذه الليلة ستصبح مشابهة لليلة أمس، ولرسمت لك صورة».

«ساعدني لكي أعرّفك نفسي».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«أخشى حينها أن تصبحي تعيسة».

«الآن أنا تعيسة أيضًا».

زمّ شفتيه وألصقهما بسرعة على جبيني، وخرجنا معًا من المنزل.

*****

لم يبق شيء أقوله لك.

لو لم يرسل هذه اللوحة بعد ثلاث سنوات قضاها في المنفى، لربما لم يكن لي أبدًا كلام أقوله، ولو لم تأت هذه اللوحة إلى طهران، ولم أعلم بوجودها، لكنت ربما سأنسى تمامًا معرفتي بهذا الفنان، كما نسيت النزوات الأخرى التي كنت إلى ذلك الزمان منغمسة فيها. فإذا كنتُ قد ضحّيت بجزء من عمري وتخلّيت عن كل أشيائي فهذا شيء ليس بالغريب، أنا سعيدة بأنني ضحيت في حياتي مرة واحدة، واشتريت بهذا الحرمان سعادة وسلامة إنسانٍ أكثر فائدة مني.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

إنما هذه اللوحة التي رسمها لي بهاتين العينين قلبت حياتي رأسًا على عقب، وللأبد.

بعد تلك الحادثة قرب نهر كرج، وبعد الحوار الذي تبادلناه في مرسمه، أيقنت أنه لا مجال للنفوذ إلى زوايا قلبه إلا من طريق واحدة فقط، إذ لم يعد للنظرة وللجمال ولا للتزيين والغنج والدلال أي تأثير عليه، فقد كانت هذه كلها بمثابة حجر يصطدم بكومة قطن، حيث لا يقتصر الأمر على عدم ارتداد الحجر، بل إنه يختفي في ثنايا القطن.

كنت أستطيع فقط بالسعي والمثابرة والتضحيات الكبيرة أن أفتح مكانًا لي في قلبه، بيد أنني كنت، في الوقت نفسه، أحس بأنه كلما ازداد تعلقه بوجودي وبأنشطتي، أعطاني فرصة أقل لأجني ثمار عشقه.

منذ ذلك الزمان فما بعد، كنت أزوره في بيته مرتين أو ثلاثًا في الأسبوع، أجد دائماَ الذرائع لأذهب عنده، وكنت أهاتفه دائمًا، وأحدد موعدًا معه، ولم يدعني هو قط ولو لمرة واحدة، لكن حينما كنت أذهب عنده أو أتحاور معه عبر الهاتف، كان واضحًا وجليًا أنه راض بلقائي ويستقبلني بحماس وشوق.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

كان ينشغل أحيانًا بعمله، بينما أنا جالسة أتفرج، وأحيانًا أقرأ كتابًا، ونتبادل في بعض الفترات أطراف الحديث، يحكي لي عن ماضيه، وأحاول أن أستخلص من كلامه الانطباع الذي رسمه في ذهنه عني خلال فترات مختلفة. وأحيانًا، كنا نناقش بعض الشؤون العادية المشتركة، وكان ينصت إلى كلامي بدقة، وبخاصة عندما يتحدث عن أمر يحتمل أن يكون فيه خطر عليّ، موضّحًا جميع جوانب الموضوع. وكان استنتاجي على الدوام أنه كثير الدقة ومنتقد عندما يتعلق الأمر بالسير العام للأمور.

لم يخطر في بالي أبدًا أن تعلّقه بوجودي سيجعل منه إنسانًا مدققًا وحريصًا إلى هذا الحد، فحينما كان يحكي لي عن ذكرياته الماضية، كانت تُسمع لصوته نغمة حزينة ولينة. تحدث لي بتفصيل كيف تعرّف إلى آقا رجب، وكيف أنه يثق بهذا الرجل أكثر من أي شخص آخر، فهو في رأيه من القرويين الأقوياء والأشداء في «همدان»، وكان من المستحيل أن تحصل منه حتى على كلمة، في حين لم يكن يريد ولم يمنحني الفرصة أبدًا كي أحكي له عن ماضيّ أنا. بعد التلميح الذي وجهه لي ذلك اليوم لم أجرؤ أن أفشي له أسراري، لم يمنحني مجالا بعدها، إلا في حالة رئيس دائرة

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الأمن، وهناك أيضًا لم يكن للموضوع صلة بحياتي كي ألفت انتباهه إلى ماضيّ الخاص، كان يفكر هناك في عمله ونجاحه. انظر، فحينما أقول عمله فليس قصدي الأنانية والغرور.

أصبحت بالتدريج شريكة لأسراره السياسية، إلى حد أنه كان أحيانًا يوجه أسئلة لآقا رجب في حضوري، ويسمح له أن يقول أشياء لم يكن يسمح لأحد بأن يسمعها.

بعد سبعة أو ثمانية أشهر من التردد إلى بيته، وبينما كنت جالسة ذات يوم بالقرب من المدفئة في غرفته، دخل آقا رجب والخوف بادٍ على محياه، فقال:

«سيدي، تفضل معي لدقيقة واحدة، فلدي ما أقوله لك».

«ما الخبر؟ قل لي، هنا!»

قال "رجب" بأعين مذعورة:

«لقد ألقوا القبض على "فرهاد ميرزا" ليلة أمس».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«من أين علمت بالخبر؟»

«عندما ذهبت، الآن، لتسليم علبتك لوسيطه، أخبرني بأنه من المفترض أن يكونوا قد ألقوا عليه القبض ليلة أمس، أو على الأقل قد واجه خطرًا محدقًا».

«كيف نعرف أنه ألقي عليه القبض؟»

«لم يكن وسيطه يعرف هذا، أنا فهمت ذلك».

كان الأستاذ ما يزال محتفظًا بهدوئه، أو على الأقل ظهر ذلك، في الوقت الذي داهمني خوف شديد. فسأل آقا رجب:

«هل فتّشوا منزله أيضًا؟»

«نعم، سيدي».

«كيف عرفت؟»

«كانت الإشارة أن يلفّ مزهرية زهور إبرة الراعي في ورق أحمر ويضعها أمام النافذة، في حال أصبح بيته غير آمن،

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

واليوم صباحًا كانت هناك مزهرية زهور إبرة الراعي أمام النافذة».

«من أين عرفت أنهم اعتقلوه ليلة أمس؟»

«سألت جيرانه».

«أنت سألت؟»

«نعم، سيدي».

هبّ واقفًا من مكانه وسأله بإصرار:

«من قال لك أن تذهب إلى هناك؟»

«سيدي، توجد أشياء كثيرة في بيته، وأردت أن أقوم بشيء».

«رجب، هل جننت؟»

كان كل جسده يرتجف، هذه هي المرة الأولى التي أراه فيها

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

مضطربًا وعنيفًا إلى هذا الحد، ولم أكن أتصور أبدًا أن يفقد سيطرته على نفسه بهذا القدر، وضع لوحة الرسم على الكرسي، ونزع معطفه الأبيض وجلس، ثم قال لآقا رجب:

«اذهب، لقد أفسدت كل شيء، ماذا تنتظر واقفًا؟»

حين هدأ قليلا، قال:

«إذا وقعت الأوراق والوثائق وآلة النسخ في أيديهم، فسيسوء الأمر كثيرًا، يجب أن أعرف كيف اعتقلوه، من الممكن أن يفسد كل شيء ويكشف ظهرنا بسبب عدم حذره هذا».

كان الخوف قد فتك بي، لكن ليس من أجل نفسي، فلو كان عندي يقين بأنني سوف أعتقل مقابل الظفر بحبه لكنت سعيدة.

تمشّى قليلًا في الغرفة، ونادى بعد ذلك، على "رجب"، وسأله:

«من أين عرفت أنهم فتّشوا منزله؟»

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أجاب "رجب" بهدوء:

«حينما أحضروا "فرهاد ميرزا" في سيارة إلى المنزل، كنت واقفًا على ناصية الشارع».

«متى؟»

«قبل ساعة من الآن».

نظر إلى ساعته وسأل:

«كم الساعة، الآن؟»

كانت الساعة تشير إلى الواحدة زوالًا.

«هل رآك "فرهاد ميرزا"؟»

«نعم، سيدي».

«هل أعطاك أية إشارة؟»

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«كلا، سيدي، لم يبد أي شيء. لكن عند خروجهم من المنزل، ألقى إليّ نظرة من داخل السيارة. يبدو أنه كان سعيدًا، لأنك ستعلم باعتقاله».

«رجب، ألم تعرف ماذا صادروا من بيته؟»

«كنت واقفًا على ناصية شارع "ري" وبيته يقع وسط الزقاق، فلم أعرف ماذا كان في السيارة».

«لقد قمت بعمل سيء جدًا، لقد أغظتني كثيرًا. هل كان من المقرر أن يقوم كل واحد بعمل حسب مزاجه؟ لقد انتهى الأمر، إذا وقعت في الشراك فأنت المقصّر! والآن، يجب أن نفعل شيئًا، فلو أخذوا المعدات والأوراق لانتهى أمرنا، وإذا لم يأخذوها فيجب أن نعرف أين هي. كان يفترض أن تنقل هذه الأشياء خلال أيام قليلة إلى مكان آخر، لا أعرف أين أخذوها، ويجب أن نفهم شيئين: الأول، بأية تهمة أُلقي عليه القبض، والثاني أأخذوا معدات ووسائل عملنا أم لا؟»

حينها، فكّر قليلًا، وقال لـ"رجب":

«لا تذهب إلى أي مكان، انتظر حتى نفكر قليلًا».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

خرج آقا رجب من الغرفة، وقلت:

«كيف تريد أن تعرف كيف تم اعتقال "فرهاد ميرزا"؟»

«يجب أن نسأله هو».

«كيف تريد أن تسأله بنفسه؟»

«يجب أن نرسل أحدًا باسم أحد أقربائه، إلى السجن».

تبادرت إلى ذهني فكرة: فقلت:

«ماكان، أنا أذهب إلى السجن».

«أنتِ؟»

«نعم، أنا».

«لا لا، هذا ليس عملك».

«لماذا؟ ألأنني غير كفؤة؟ أنت لا تسند إليّ العمل الصعب

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أبدًا، فهل حياتي أغلى من حياة الآخرين؟!»

«لا يتعلق الأمر بما تقولين، فهذا عمل دقيق، ويجب ألا نخاطر بشخص مثلك، يجب أن نستفيد من وجودك في مهمات أخرى».

كانت هذه ذريعته دائما، وكان يرفض إسناد المهام الصعبة إليّ. أيكمن السبب في تعلّقه بوجودي أم أنه كان يقيم لي حقًا أهمية كبيرة؟!

ثم قال بعد ذلك:

«فضلًا عن ذلك، فإن لغة "فرهاد ميرزا" هي اللغة التركية، ولا يمكن أن نجعل منك أخته. "فرهاد ميرزا" هو اسمه المزوّر».

«يمكنني أن أكون خطيبته أو زوجته».

«ماذا لو اعتقلوك أنت؟»

وقتها، سيكون قلبي سعيدًا حين أخرج من السجن، مرة

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أخرى...»

قاطع كلامي:

«لو اعتقلوك، فلن يطول الوقت حتى يقضون عليّ أنا أيضًا، حينها لن تريني للأبد».

«لا، لن أسمح بأن يقتلوك».

فتح قبضته ورتّب شعره بأصابعه الطويلة والسميكة لعدة مرات، وأدار رأسه لمرات، وقال:

«لن يكون بوسعك القيام بشيء، كيف تريدين الذهاب عنده؟»

«أتّبع أوامرك، فضلًا عن هذا، فأنا أعرف رئيس دائرة الأمن شخصيًا، ومتيقنة من أنه إذا طلبت منه مثل هذه الخدمة فلن يرد طلبي. أعرفه منذ أن كنت في باريس، إضافة إلى ذلك، فإن له صلة نسب بعيدة بأبي، تعلم أنه أرسل والدي من قزوين إلى كربلاء».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أصابته الغيرة، كانت هذه المرة الوحيدة التي أشار فيها إلى ماضيّ أنا. سألني:

«أهو أيضًا من الأشخاص الذين افتتنوا بعينيك؟»

«أنا لا أعرف إن كان أحد قد افتتن بعينيّ».

«أما أنا فأعرف».

«إذن، فقل لي من».

حدّق فيّ، لكنه لم يقل شيئًا، كنت أعرف نظراته هذه، لم يكن وجهه وحركاته ولا تجهماته تبدي شيئًا، لكن بعد لحظات، أضاف بنبرة معترضة:

«لماذا تريدين سحب الكلام مني؟ دعينا نهتم بعملنا».

جاب الغرفة مشيًا لبضع دقائق، كان يتوقف أحيانًا وينظر إليّ في حيرة، ويحرك رأسه، ثم يقف مجددًا مقابل إحدى لوحاته ويمسح بأصبعه الغبار الذي تراكم عليها، وينظر إلى الأشجار التي اكتست بحلّة الثلج البيضاء. فجأة، قال:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«فرنگيس، اذهبي، اذهبي من هنا وافعلي ما بدا لك، أنا أريد أن أعرف شيئين فقط، الشيء الأول: هل صادروا أيضًا الوثائق والمعدات؟ والثاني: كيف ألقوا القبض عليه؟»

«أي نوع من الناس "فرهاد ميرزا"؟ تحدّث لي عنه قليلا، حتى أعرف كيف أواجهه».

حينها، عرّف لي "فرهاد ميرزا"؛ كان شابًا يبلغ من العمر خمسًا أو ستًا وعشرين سنة، أكمل للتو دراسته في كلية الطب، والده من مُلاَّك الأراضي في مدينه "زنجان"، وقد توفي، وأمه تعيش في "زنجان". كان أبوه في الماضي من رجال الزعيم العشائري في زنجان، وكان لفترة من المتمردين، وتم إعطاؤه الأمان بعد الانقلاب العسكري، وأقسم بالقرآن أيضًا. بعد مدة، تم اعتقاله ومات في سجن القصر بسبب عدم حصوله على الأفيون. لـ"فرهاد ميرزا" قامة معتدلة وفي وجهه ثمة أثر لمرض الجذري، يتحدث بحدة وعصبية، وهو ذو طبع انبساطي مرح، صامد وثابت، إنما له أنانياته الخاصة به، ليس جبانًا، لكنه يتظاهر بالجسارة، يستسهل كل شيء، وحتى حينما كان في الكلية، لم يكن يستطيع أن يلجم فمه، لدرجة أنه في تلك البيئة التي يسيطر عليها الرعب والخوف كان الطلبة يتوانون في

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

التعاطف مع كلامه، وكان انفعاله يصل أحيانًا حد فقد السيطرة على نفسه بشكل مطلق. هو من أولئك الشباب الذين يتصورون، بسبب التعصب المفرط، أنه بالتغيير والعنف يمكن تنوير أفكار الآخرين. يهاجم كل شخص لا يشاركه ميوله وفكره ولا ينقاد لرغبته، وربما يكون عدم توخي الحذر أحد أسباب اعتقاله. يقع منزله في زقاق بشارع "ري" المحاذي لسوق "نائب السلطنة". اسمه محسن كمال، واسم والده...

فكّر كثيرًا لكنه لم يستطع تذكّر اسم أبيه، قال:

«كان معروفًا في "زنجان" باسم حاجي كمال، لو سألوك عن اسم والده، فقولي لا أعرف، لأنه مات، ولا أعرف اسم أمه أيضًا».

«ألديك على صورة له حتى أتعرّف إليه؟»

«ليست لدي صورة، لكن سأرسم الآن بعض الرسومات له».

جلس على مكتب عمله وبدأ يرسم صورته بقلم رصاص كبير على ورق مقوّى سميك، يبدو كما لو كان يناجي نفسه. كان

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

التعاطف مع كلامه، وكان انفعاله يصل أحيانًا حد فقد السيطرة على نفسه بشكل مطلق. هو من أولئك الشباب الذين يتصورون، بسبب التعصب المفرط، أنه بالتغيير والعنف يمكن تنوير أفكار الآخرين. يهاجم كل شخص لا يشاركه ميوله وفكره ولا ينقاد لرغبته، وربما يكون عدم توخي الحذر أحد أسباب اعتقاله. يقع منزله في زقاق بشارع "ري" المحاذي لسوق "نائب السلطنة". اسمه محسن كمال، واسم والده...

فكّر كثيرًا لكنه لم يستطع تذكّر اسم أبيه، قال:

«كان معروفًا في "زنجان" باسم حاجي كمال، لو سألوك عن اسم والده، فقولي لا أعرف، لأنه مات، ولا أعرف اسم أمه أيضًا».

«ألديك على صورة له حتى أتعرّف إليه؟»

«ليست لدي صورة، لكن سأرسم الآن بعض الرسومات له».

جلس على مكتب عمله وبدأ يرسم صورته بقلم رصاص كبير على ورق مقوّى سميك، يبدو كما لو كان يناجي نفسه. كان

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

يذكر تقاسيم وجهه بصوت عال ويقول: له جبين طويل، يرسل شعره إلى ناحية واحدة، ذو شارب، لا وجود لخط رقيق في وجهه، له أنف كبير وشفاه سميكة، ولون وجهه قاتم، وحينما ينفعل يعلو الاحمرار بشكل مفاجئ كامل وجهه.

وعلى مائدة الغذاء، تحدّث لي عنه مجددًا.

«فرنگيس، إنه عمل صعب، يجب أن تبدي نفسك له في اللحظة الأولى بشكل يوحي بأنك حقًا خطيبته، إنه ولد ذكي، وسيفهم قصدك سريعًا، وليكن معك مقدار من المال، لا تنسي أنهم إذا شكّوا بأمرك، فيمكنك بالمال أن تبدّدي شكوكهم بسهولة. انتبهي وكوني حذرة، ولا تغامري. من الممكن أن يكون بين أولئك الحراس البائسين من لا يستطيع، من شدة الخوف، أن يأخذ منك رشوة، لأنك جئت تزورين سجينًا سياسيًا».

فجأة، قطع كلامه وبدا عليه الاضطراب، لزم الصمت، ثم سأل من جديد:

«ماذا ستفعلين الآن؟ هل ستذهبين مباشرة عند رئيس دائرة

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الأمن؟»

«لا، في البداية، سأحاول أن أنجز العمل عن طريق هؤلاء الصغار، وإذا لم ينجح الأمر، فسأذهب عند رئيس دائرة الأمن».

نهضت من مكاني، كانت الساعة تشير إلى الثانية وبضع دقائق بعد الظهر.

حين كنت أهم بالانصراف سألني:

«هل ستذهبين الآن؟»

«كلما أسرعت كان أفضل».

«إلى أن ترتدي معطفك، ستكون صورته جاهزة».

كان شتاء باردًا وكنت أرتدي معطفًا جلديًا جميلًا اشتريته من الخارج، وأضع على رأسي وشاحًا أحمر اللون. توجهت عنده مرة أخرى وأنا مرتدية المعطف، فقال:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«تعالي وانظري إلى الصورة واحفظي وجهه جيدًا».

بدت لي ملامح وجهه مألوفة، تذكّرت أنني قد رأيت هذا الشاب ذا الشارب في مكان ما. قلت:

«أستاذ، رأيت هذا الشاب في مكان ما».

«أين رأيته؟»

فكّرت قليلًا ثم قلت:

«أليس هذا هو نفس ذلك الشاب الذي كان خلفك أمام باب السينما في تلك الليلة؟»

«أية ليلة؟»

«تلك الليلة...»

أدركت من نظرته أنه فهم مقصودي، بيد أني كنت أريد أن أكشف ذلك في وجهه. قلت:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«تلك الليلة التي ذهبنا فيها معًا إلى نهر "كرج"».

وضع يده على فمي ولم يسمح لي بأن أضيف كلمة أخرى، فزممت شفتيّ وقبّلت يده.

سحب يده كما لو أن عقربًا قد لدغه، يبدو أنه أحس بالاشمئزاز. ذهب قرب النافذة وطفق يشاهد منظر الأشجار، وقد كساها الثلج لباسًا أبيض كالفضة.

فتحت باب الغرفة وخرجت، فلحق بي قرب الشرفة، أمسكني من تحت ذراعي حتى لا أسقط من على السلالم المتجمّدة.

عندما كان يريد فتح باب ساحة البيت، قال:

«الحق معك».

اعتقدت أنه يريد أن يودّعني بكلمات رقيقة، غير أن الأمر لم يكن كذلك، كان يفكر في عمله فقط، وقد تلقى جرأتي وتضحياتي هذه كأمر عادي تمامًا.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

قال:

«الحق معك، محسن كمال يعرفك، هو الشخص نفسه الذي كان يرافقنا في السينما. تتمتعين بذاكرة قويّة، الله معك».

ذهبت مباشرة إلى البيت، وارتديت ملابس تناسب خطيبة نصف طبيب من سلالة مُلاَّك أراض من زنجان، وتوجهت فورًا، وعلى وجه السرعة، إلى السجن المؤقت الذي كان قد اكتمل بناؤه حديثًا.

آه، سيدي الوكيل، أدعو الله ألا يتورّط أي مسكين مع حراس السجن ويذل لهم. أود أن أشرح لك مدى الذل الذي عانيته يومها، لكن للأسف الوقت متأخر، فضلًا عن ذلك، أخشى أن تمل، لكن لا تنس أن الإهانة والمذلة التي عشتها لأول مرة في حياتي ذلك اليوم، كنت أراها من عينيه هو. افهم قصدي جيدًا، بالطبع هو لم يقل لي أبدًا أن أخضع لمثل هذه المذلة والوضاعة، لكن ما من عمل لم أكن مستعدة لفعله. في ذلك اليوم رأيت بأم عيني ولأول مرة مدى الإهانة والتعاسة التي يتكبدها الناس في هذه البلاد على يد أصحاب القرار.

كان جمع غفير من الناس ينتظرون أمام بوابة السجن

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

المؤقت، والرجال يصيحون بأصوات مبحوحة وقبيحة، والنساء يصرخن، والأطفال يبكون، والحراس يبادرونهم بالسِّباب ويدفعون الجموع عن الباب الحديدي بالقوة. كان خلفي رجل عجوز يحمل في يده تومانًا واحدًا تلقّفه الحارس من فوق رؤوس الجميع، وسحب العجوز بقوة نحو الباب، ثم دفعه من دفة الباب إلى داخل ساحة السجن. كان الناس يرفس ويكز بعضهم بعضًا، كل واحد منهم يحاول أن ينقذ نفسه فقط. نظرة واحدة كانت كافية بالنسبة لي حتى أعرف أنني لا يمكن أن أكون واحدة منهم.

سألت امرأة عجوزًا تحمل في يدها حزمة بها حصة طعام:

«ماذا يجري هنا؟»

فهمت أن ذلك اليوم مخصص لزيارة السجناء، فسألتني العجوز:

«لماذا جئت أنت؟»

«إنني جئت أيضًا لزيارة خطيبي».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«سجينك بالتأكيد سياسي أو مختلس، اليوم مخصص للفقراء والمساكين، لا يسمحون اليوم بزيارة السجناء السياسيين والأعيان».

أشفقت المرأة العجوز على وجهي الذي اعتلاه اليأس، وقالت لي حينها:

«أنا سأذهب لزيارة ولدي، هو سائق، وقد دهس شخصًا وحُكم عليه بخمس سنوات، تعالي معي أنت، هناك في الداخل قومي بما تستطيعين عمله».

على الباب الحديدي كان عدة رجال ونسوة يتجادلون مع حارس يسب ويفحش وهو يرفع عصاه. تعالت أصوات خمسين إلى ستين شخصًا واختلطت.

سألت رئيس الحرس الذي كان ينظر إليّ بعينيه الشهوانيتين:

«لماذا لا تسمح لي بالدخول؟»

أجاب بأدب:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«سيدتي، السجن ممتلئ، يجب أن تخرج مجموعة حتى يُفسح المكان لهؤلاء».

«ائذن لي أن أدخل».

وضعت في يده خمسة تومان.

سألني:

«من تريدين أن تزوري؟»

«محسن كمال!»

«ما عمله؟»

«طبيب».

«ماذا فعل؟»

«لا أدري».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«متى اعتقلوه؟»

«ليلة أمس».

«إذا كان سياسيًا فمن غير الممكن».

«أنت اسمح لي بالدخول وأنا سأتدبر الأمر».

فتح لي رئيس الحرس الطريق، وقال لحارس الباب: «افتح الطريق، حينما تعود، سوف تعطيك نصيبك من الإكرامية».

ذهبتُ إلى الناحية الأخرى من النافذة، كان الناس ينظرون إليّ بنظرات يملؤها الحسد والضغينة. سألني شخص يلبس لباسًا مدنيًا: «ماذا تريدين؟» فأجاب رئيس الحرس نيابة عني: «جاءت لتزور سجينًا. سيد حسن، اتركها وشأنها، اسمح لها بالذهاب».

قلت: «سيدي رئيس الحرس، أنا لا أعرف الطريق، تعال لترشدني».

تبادل رئيس الحرس بضع كلمات مع حارس الباب. حينها،

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

قال الضابط الذي كان يرتدي لباسًا مدنيًا: «سيدتي، إذا كان سجينك سياسيًا، فإنهم لا يأذنون لأحد».

التفتُّ ناحية رئيس الحرس وقلت: «إذا استطعت أن توصلني إلى السيد كمال، فسأجزل لك عطاء أفضل».

قال رئيس الحرس: «سيدتي، لا تقولي للمسؤول الكبير في المناوبة إنه سياسي، قولي إنه اختلس أموالا».

كان الرجل الغريب الشكل والقذر اللباس، الذي سألني قرب الباب، يتعقّبنا.

سأله رئيس الحرس:

«سيد حسن، هل أحضرت أحدًا إلى هنا ليلة أمس؟»

ردّ الضابط:

«أننا دائمًا نحضر السجناء، أمس أيضًا أحضرنا اثنين أو ثلاثة».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«سيدتي، أنت تريدين زيارة من؟»

«محسن كمال».

«إنه، بالتأكيد من أولئك الذين يوزّعون المنشورات، ما قرابتك به؟»

«أنا خطيبته».

همس رئيس الحرس في أذني:

«يجب أن ترضيه، هؤلاء الأوغاد لا يخدمون أحدًا ما لم يقبضوا».

لكن الرجل كان يبدو أذكى من رئيس الحرس، ويعطي أهمية أكبر لعمله.

«سيدتي، يجب أن تذهبي أولًا إلى الدائرة السياسية، وتأخذي التصريح من هناك، وإلا فلن يسمحوا لك بزيارة السجين».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

كان رئيس الحرس يريد أن يهمس له بشيء، انتابني القلق، فإذا بضابط الدائرة السياسية ينهره: «أنت ماذا تقول، أنت لا تعلم أن السجين لم يدلّنا بعد على عنوان بيته».

لكن، لمّا فهم رئيس الحرس أن الموضوع مهم أغراه الطمع. تحدثا فيما بينهما بصوت خافت لمدة، وفي النهاية، لم يستسلم ضابط الدائرة السياسية للضغوط.

«سيدتي، تفضلي اذهبي إلى الدائرة السياسية« يجب أن تأخذي تصريحًا من هناك».

«ما دخلك أنت أساسًا؟ ماذا تقول؟ لقد جاؤوا هذا الصباح وفتّشوا منزله».

قال الضابط:

«نعم، لكن ذلك لم يكن بيته، المنزل الذي أعنيه هو ذاك الذي توجد فيه آلة النسخ والمنشورات التي طبعها».

«لا وجود لهذه الأشياء أصلًا، أنتم مخطئون».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

لم تكن زيارة "فرهاد ميرزا" ضرورية في الأساس، لأنني رأيت أن مأموريتي قد تمّت.

أراد مني الأستاذ إجابتين اثنتين، كيف وبأية تهمة تم اعتقاله؟ وهل صادروا الوثائق والمعدات أم لا؟ اعتقاله كان مؤكدًا، كان أحدٌ ما قد وشى به، وربما أحد ما قام بخيانة، لأن الدائرة السياسية كان لها علم بوجود آلة النسخ والوثائق الأخرى في بيته، من دون أن تكون قد عثرت فعلًا على هذه المعدات والأوراق. كان أحد ما إذن يعلم من قبل وسرّب الخبر، لكن الأثاث قد تم نقله من البيت في وقت سابق، ولهذا السبب، فتشوا منزل "فرهاد ميرزا" صباح هذا اليوم، ولأنهم لم يعثروا على شيء هناك، اعتقدوا أنه لم يُدْلِ بعد بمنزله الحقيقي.

قال ضابط الدائرة السياسية:

«أتمنى أن نكون قد أخطأنا، وفي كل الأحوال، أنت يجب أن تأتي معي إلى الدائرة، لأنك خطيبته، وبالتأكيد تعرفين منزله».

كنت حاضرة الجواب، فأجبت على الفور:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«نعم أعرف بيته، بالتأكيد».

«أين بيته؟»

أجبت متلعثمة:

«شارع "ري"، الزقاق المحاذي لسوق "نائب السلطنة"».

فتر حماس ضابط الدائرة الأمنية.

عندما أحس رئيس الحرس بضعف ضابط الدائرة السياسية، ازدادت جرأته.

«أرأيت، أرأيت أنك تتسبب للناس في المتاعب عبثًا ودونما فائدة، ما لقمة العيش هذه التي تكسبونها؟».

كانت الساعة تقريبًا الخامسة والنصف عصرًا، قال ضابط الدائرة السياسية:

«في كل الأحوال، إذا أردت زيارته فيجب أن تأخذي تصريحًا من الدائرة السياسية. والآن، انتهى الدوام هناك. زيارة

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

السجناء السياسيين من دون الحصول على تصريح رسمي من الدائرة السياسية ممنوعة، ولا يستطيع أحد أن يسمح لك بزيارة سجينك».

«هل يستطيع رئيس دائرة الأمن أن يسمح بالزيارة؟»

«بكل تأكيد».

«إذن، ائذن لي أن أستعمل هاتف السجن لاتصل به».

«هل تعرفين حضرة جنابه؟»

«نعم، هو من أقربائي».

كنت أبحث عن طريقة أتخلّص بها من شر ضابط الدائرة السياسية، ولهذا السبب، ذكرت اسم رئيس دائرة الأمن وقرابتي به لأزيح الضابط من طريقي، ولم أكن أنوي أبدًا مراجعته من أجل زيارة "فرهاد ميرزا" التي لم تعد ضرورية في الأصل.

آخر جملة نطق بها الضابط في الدائرة السياسية أثارت

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

انتباهي إلى فكرة فيها تعاستي ومصيبتي.

سيدي العزيز، أنا حكيت لك القصة الكاملة لهذا السجن، لكي ترى كيف أني نصبت شركًا لتعاستي وأوصلت حياتي إلى هذا المصير.

قال ضابط الدائرة السياسية:

«لو تعرفينه قومي بشيء ليخلّص خطيبك من السجن».

قال هذا الكلام من قبيل السخرية، بينما بدت لي الفكرة جيدّة.

ذهبت من السجن إلى البيت مباشرة. غيّرت ملابسي، وتوجهت إلى منزل الأستاذ لأول مرة دون أخذ موعد مسبّق. وقلت له:

«كنت قد سألتني سؤالين، فأحضرت لك جوابهما».

كأنني حققت نصرًا كبيرًا، هكذا كشفت له عن نجاحي، سألني:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«هل رأيته؟»

«لا، لم أره، أي إنني لم أرد رؤيته».

«وإذن، ماذا؟»

«أنت كنت قد سألتني سؤالين وأحضرت جوابهما».

«لماذا اعتقلوه؟»

«بتهمة توزيع المنشورات».

«أين الأثاث؟»

«لا أعلم هذا، لكنني أعرف أنهم لم يعثروا في منزله على أشياء من هذا القبيل».

«هل ذهبت مباشرة عند رئيس دائرة الأمن؟»

«لا، لم أذهب عند رئيس دائرة الأمن، إذا أذنت لي، فسأذهب».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

حينها، سردت له بالتفصيل ما حكيته لك أنت الآن، وطرحت عليه النتيجة التي خلصت إليها.

سكب لي كوبًا ساخنًا من الشاي، وأحضر الكرسي ذا القوائم الأربعة الذي يجلس عليه أثناء عمله إلى جوار المدفئة وجلس قبالتي، بحيث كانت رؤوس ركبتينا تتلاقي. أمسك يدي وقال:

«أحسنت يا بنية، أنت جسورة، حقًّا».

كادت عيناي تمتلئان دموعًا، فقلت:

«على العكس من ذلك، أنا إنسانة جبانة، أنت من تمنحني الشجاعة والجرأة».

نظرت إليه بعينين ملتمستين، دونما تصنع، مثل إنسان يلهث وراء قطرة ماء ولم يعد له حتى قدرة التنفس.

ترك مكانه، وأمسكني من تحت ذقني بشدة لم أعهدها من قبل، ثم قال:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«يا فتاة، لا تنظري إليّ هكذا! عيناك هاتان سترغمانني، في نهاية المطاف، إلى ارتكاب خطأ فادحًا في حياتي».

«خطؤك هذا هو أمنيتي».

كان جوابي صحيحًا، لكنه لم يقر بذلك، بل على العكس اعتقد أني أريد أن أعذبه. كانت جملتي سهمًا لم يصب الهدف، لكنه جرحه، انتصب واقفًا، وقال:

«أنت لا قصد لك إلا أذيتي».

«أوه، كم أنت قاسي القلب...!»

لا فائدة، كان هذا الهاجس يوسوس في قلبه، ولم أكن أعرف كيف أنزع ذلك من رأسه. قلت:

«أنت تخطئ».

أردت أن أخرج من الغرفة ولا أرجع لرؤيته حتى يطلب هو مني ذلك، لكنه جاء إليّ مثل قنفذ لملم فجأة شوكه، وأمسك بيدي، وقال لي بليونة ومرونة:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«فرنگيس، ابقي، لدينا عمل نقوم به، يجب أن نكون أصدقاء فقط، هكذا ربطت الحياة بين مصيرينا، اجلسي لدقيقة واحدة!»

خيّم علينا الصمت للحظات، كنت واقفة بجانب النافذة، وهو جالس على الكرسي، يحدّق في الأرض.

حينها سألني عن تفاصيل ما جرى أمام باب السجن، وتحدّث عن رجال الشرطة والحراس وسلوكهم مع الناس، بعد ذلك انغمس في التفكير فيمن يكون قد وشى بـ "فرهاد ميرزا". كان يقول:

«خلال الأيام الثلاثة الأخيرة، تم اعتقال عدة أشخاص، ألقوا القبض على "جلال" و"عبدل" و"شاطر". كان "شاطر" الوحيد الذي يعرف أن آلة النسخ موجودة في منزل "فرهاد ميرزا" والأوراق تطبع هناك، لكن "شاطر" لا يمكن أن يكون قد وشى بـ"فرهاد ميرزا"، لأن هذا الأخير استطاع أن ينقل المعدات والأوراق عن طريق "شاطر" هذا، وهو يعرف المنزل الجديد.. هناك احتمال واحد فقط».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

فكّر مليًا، ثم قال:

«أنت لا تعرفين "شاطر"، هذا الرجل يبالغ في كل شيء، يعمل كعامل تقني منذ خمسة وعشرين عامًا، ومنذ أن كان يقود القاطرة من "تبريز" إلى "جلفا"، لم يكن للأسف يكتم سرًّا، ففي رأيه، مثل هذه الأنشطة السياسية غير ذات جدوى ويعتبرها لعب أطفال. يتأمل أن يسندوا إليه يومًا قيادة قاطرة أو قطار مملوء بالجنود الثوريين ويعطوه الإشارة بالانطلاق: يا الله، انطلق! أخمّن أنه هو من سرّب خبرًا لشخص ما، ربما أيضًا لم يشِ أحدٌ من الذين اعتقلوا بـ"فرهاد ميرزا"، والخائن مازال بيننا...

تحدّث معي على الأقل لساعة، يعني مع نفسه أكثر، حول من يكون قد وشى بـ"فرهاد ميرزا".

نهضت من مكاني الساعة العاشرة، وقد فتك بي الجوع. خرجنا معًا من بيته، كان البرد قارسًا، وجبل "دماوند" يتباهى من بعيد وقد اعتمر قبعة بيضاء. كان يمسك بذراعي، ولم نتحدث ولا بكلمة واحدة.

ودعته أمام باب المنزل، وشدّ على يدي بقوة، أحسست بأن

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أهميتي ازدادت عنده، لكنني لم أتذوق طعم المحبة في ضمّة يده. وحين أردت أن أفارقه، قال لي:

«لا تستعجلي الذهاب عند رئيس دائرة الأمن، إذا لزم الأمر، فسوف أخبرك».

عندما فتح الباب، وجدت الغرف مظلمة، وحده مصباح المدخل مضاء، أمي المسكينة كانت تعوّدت على هذا الوضع، أحضرت لي "فضه سلطان" العشاء، وتناولت الوجبة، ثم ارتميت على سرير النوم وقضيت ساعات في الأرق.

لم أذهب إلى بيته بضعة أيام، فهذا الرجل يعذّبني دون أي قصد، أنا لا أستطيع أن أتصور أنه يعذّبني عن وعي وإدراك، غير أن سلوكه يؤلمني، وكنت أنتظر أن يرسل في إثري، لكنه لم يفعل، فلم أحتمل، وهاتفته مجددًا، وذهبت أيضًا مجددًا.

بعد مرور أسبوعين أو ثلاثة على تلك الليلة، كلّمني بالهاتف وطلب مني الحضور على الفور، كان الوقت هو الخامسة مساء، وبرودة فصل الشتاء ما تزال في أوجها.

حينما ذهبت إلى بيته قال:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«لم يفهموا شيئًا من "فرهاد ميرزا" لحد الآن، منذ يومين أو ثلاثة وهم يقومون بتعذيبه، ليلة أول أمس، عذّبوه إلى الصباح بتكبيل يديه من الخلف وتعليقه في السقف لمرات عديدة. والآن، يجب أن نفكر في موضوع الذهاب إلى رئيس دائرة الأمن. في الحقيقة منذ ليلة أمس إلى الآن وأنا أفكر ما إذا كان من المفيد لك ولنا أن نلتجئ إليه في هذا الموضوع أم لا، لكن ليس هناك خيار. أنت ماذا تقولين؟ هل تودين أن تحدثيني قليلًا عن هذا الصديق القديم وقريبك البعيد؟»

كانت هذه أول مرة يسألني فيها حول ماضيّ أنا، وأنا حكيت له عين الواقع. حينما أصغى إلى كلامي جيدًا، قال:

«عزيزتي فرنگيس، أريدك أن تنقذي "فرهاد ميرزا"، يجب أن نخرجه من السجن مهما كلّف الثمن، وإلا فسيقتلونه، "فرهاد ميرزا" لن يفصح لهم عن شيء، سيعذبونه حتى الموت».

«بأي ثمن؟»

لم يجبني، حدّق فيّ كأنه لم يدرك عمق الكلام.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

قلت:

«ولو بثمن... ماكان، حتى إذا كان الثمن أن أبيعه عمري كله»

«لا، ليس بهذا الثمن الباهظ...»

*****

«كانت هذه آخر مرة رأيته فيها، لم أره بعدها أبدًا.

في صباح اليوم التالي، اتصلت هاتفيًا بمنزل العقيد آرام، الرئيس العام لدائرة الأمن ودعوته إلى العشاء، وقد استجاب لدعوتي بترحاب كبير.

سيدي الوكيل، ما سأفشيه لك، الآن، هو أكبر سر في حياتي ولا أحد يعلم به. وينبغي ألا يعلم به لأحد أيضًا. أنا ألقيت بنفسي عن علم ووعي إلى مستنقع المصائب، كنت أرى هلاكي بكل وضوح وجلاء، لكنني لم أسمح للخوف أو الجزع أن يفتّ في عضدي. أنت الآن، شيئًا فشيئًا، بدأت تفهم لماذا لم أعرّفك إلى نفسي؛ لأن لدي إصرار على أن يبقى أكبر سر في حياتي مخفيًا تحت غطاء من النسيان إلى الأبد، لأنني لو

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

تحدثت عنه فسيفقد كل قيمة له. وحينها، سوف أفقد أنا أيضًا ما كان يواسيني وما يمدّني بالهدوء والراحة في ساعات الوحدة المليئة بالقلق والاضطراب، وسيسحق قلبي عذاب قاتل ومرير. آه، لو كانت لديّ الجرأة وأفشيت له هذا السر، لربما كان سعيدًا هو الآخر، غير أني كنت أعلم مدى تضحياته ومدى قدرته على المقاومة في وجه الحرمان من كل متع الدنيا. لو عَلِم بتضحيتي، لربما ما كان قد رسم هذه اللوحة، لكن العذاب الذي كان يتحمله هو كان يعذبني أكثر. لماذا أقول لك هذا الكلام، الآن؟ أنا نفسي لا أدري، ربما لكي أفرغ هذه العقدة التي تجثم على قلبي وتقطّع أنفاسي، لو كان يعلم كيف افتديته لم يكن، بالتأكيد، ليرسم هذه اللوحة بهاتين العينين الفاجرتين، على العكس، فهو يتصور أنني تخلّيت عنه في أصعب ساعة في حياته وتركته ليواجه قدره المشؤوم بمفرده.

بدأت معرفتي بالعقيد آرام منذ اليوم الأول لقدومي إلى باريس. بمجرد توقف القطار في محطة Châtelet(27) رأيت رجلًا رشيقًا ومتأنقًا وأبيض السحنة، لا يميّزه عن الفرنسيين سوى شعره الأسود وحاجبيه الكثين. توجه ناحيتي وناداني باسمي، وأمسك يدي بحرارة وحنان، وأعطى حقيبتي للحمّال الذي كان هناك منتظرًا، وأخذني إلى

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الفندق الذي حجز لي فيه غرفة مسبّقًا.

منذ تلك الأيام الأولى، ازدهرت صداقتنا وتوطّدت معرفتنا، وكنت أراجعه في كل أمر دون تردد، وهو يتجاوب دون رياء، وكان يعطف عليّ أكثر مما يستوجب التماس رجل عجوز من العائلة له لمساعدة ابنته في بلاد الغربة. خلال تلك الأيام، كان مكلّفًا من قبل وزارة الدفاع بالإشراف على الطلبة العسكريين، في الوقت نفسه، يأخذ راتبًا من الدولة لقاء مزاولته للمهام البوليسية والمخابراتية، حينها، كانت رتبته العسكرية هي نائب العقيد، غير أن كلامه في السفارة وفي أوساط الإيرانيين وفي وزارة الدفاع ووزارة الثقافة الفرنسيتين وفي المحافل التي تهم شؤون الطلبة الإيرانيين كان له تأثيره. قدّم لي مساعدات جمّة في كل أموري وشؤوني؛ في التسجيل في Ecole des Beaux Arts(28) وفي امتحانات القبول في هذه المدرسة، وفي إعداد متطلبات العمل والبيت، وحتى في شراء الملابس، ليس هو فقط، بل سخّر لي حتى الأشخاص الذين كانوا يعملون في إدارة الإشراف تحت إمرته، لدرجة أنه بعد انقضاء مدة قصيرة، كنت أعتبره ليس ابن عم والدي فقط، والذي كان حقًا يعاملني بلطف ومحبة وأخوة، بل أضحينا أصدقاء مقربين أيضًا، وخلال شهور معدودة، زرت بمعيته

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

كل الأماكن الجميلة والجديرة بالزيارة في هذه المدينة الرائعة في العالم، بدءًا من المسرح والمتحف وانتهاء بالمقاهي والملاهي والمراقص الليلية. كنت أرافقه في الحفلات الرسمية. وحقًّا كان هندامه الرائع ووجهه الطلق وملابسه الأنيقة باهرة، وبخاصة في اللقاءات الرسمية التي يرتدي فيها الزي العسكري ذا اللون الأزرق الداكن المطرّز بالأسلاك الفلزية والخيوط الحريرية الصفراء على الصدر وفوق الأكتاف. كنت أفتخر بمرافقته في أرقى الحفلات في مجمعات باريس، وفي السهرات العامة والخاصة للسفارات الأجنبية، فضلًا عن ذلك، فإن سخاءه وأحيانًا إسرافه- في دعوات العشاء التي يدعوني إليها، كانت تترك أثرًا فيّ، أنا التي أحبذ حياة البذخ والترف.

لكن إذا تركنا هذا جانبًا، فإن أهم ميزة في حياته أنه لا يتظاهر بالزهد والورع، ولا يحشر نفسه في دائرة الصالحين والصادقين، ولم يكن يتورع عن الإقرار لي بأنه منذ أن خرج من إيران لم يصرف في فرنسا وأوروبا دينارًا واحدًا من ماله الخاص، بل على العكس من ذلك تمامًا فقد أودع كل أمواله في بنوك إنجلترا وسويسرا، وحتى إنه فتح أيضًا حسابًا معتبرًا في بنك فرنسا.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

لم يكن يقصد من ذلك السرقة وتبديد أموال الدولة، كان له يقين قاطع بأن المجتمع الذي يعيش، والذي يعتبر نفسه فيه أفضل من باقي أفراده بكثير، يجب أن يُؤمّن له حياته ويلبّي له احتياجاته، وكان يعتقد أنه يتفوق على أكثر مجايليه في الشرف والأصالة والوعي والشجاعة والفعّالية. فلا يمكن حبسه في قالب حياة مواطن عادي، بل يجب أن تطلق يده في كل الأمور، ولو تقاطعت في هذا المجال مصالحه الخاصة مع مصالح الناس العاديين فهو يعتبر نفسه صاحب الحق الأول ليدوس على نعوشهم. وكان، في الحقيقة، رجلًا جريئًا وحاسمًا وفعّالًا. وفي أي وقت كان يحس بأقل خطر يتهدده من قبل المنافسين والحاسدين، كان الكيس ينفتح من تلقاء نفسه، إذ بمقدوره أن يملأ أكثر الأفواه طمعًا بما لذّ وطاب، وكان على يقين من أنه تعويض خسائره أمر يسير ويومي ينجزه خلال بضعة أسابيع من بقائه صلدًا وثابتًا في منصبه. لكن إذا لم يكن ممكنًا خداع المنافسين وترويضهم بالحسنى، فحينها لا يبقى أمامه من مخرج سوى استعمال أكثر الوسائل عنفًا، ومن دون رحمة.

كان مؤمنًا بأن كل شخص في هذه الدنيا مضطربة الأحوال، سواء في إيران أو في أوروبا، يجب أن يكون منتبهًا لعمله ولمستقبله. لا أحد يفكّر في الآخر. وكل من يريد، ولو لدقيقة

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

واحدة، أن يضع مصالحه وأهدافه تحت قدميه دفاعًا عن المصلحة العامة فهو غبي وقتله واجب، لكنه، في الوقت نفسه، كان كفؤًا وفعّالًا. حينما كان يحس أن رضا شاه يريد شيئًا، لم يكن يقيم أي حساب للربح والخسارة ويعبر على نعوش المهملين، ويصرف الأموال مثل الحصى من جيبه، ويلبي احتياجات الشاه ورغباته. ذات يوم، أراد الشاه الحصول على فرس جيد ليوم الحادي والعشرين من شباط (فبراير)، فجاب أحد ذوي الترب العليا من الخيّالة خلال ثلاثة شهور كل أوروبا بحثًا عن الفرس، ولم يستطع الحصول على حصان مطابق لرغبة الشاه وبالسعر الذي كان يراه مناسبًا، فوقع تقرير بيد العقيد يشير إلى أن الشاه صبّ جام غضبه على صاحب الرتبة لتصرفه العاجز.

خلال أسبوع واحد استقل الطائرة إلى المجر واشترى حصان «هرتسوك فن ميكاش» بسعر أغلى بكثير من قيمته الحقيقية، وأرسله إلى طهران. المصاريف التي احتسبها على الشاه في هذه المعاملة لم تكن تشكّل نصف المصاريف الحقيقية، ومن الطبيعي أن تتصور ماذا حلّ بصاحب التربة المسكين ذاك، والذي تجوّل لمدة ثلاثة أشهر في أوروبا، ولم يستطع أن يشتري الحصان الذي يريده الشاه بالسعر الذي يقبل به جلالته. كان ذنب صاحب الرتبة العالية هذا أنه نقل

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

في تقرير قدّمه إلى المركز شيئًا عن تبذير العقيد بنفقاته في أوروبا.

بهذه الطريقة استطاع أن يحظى بثقة الشاه واحترامه، وكان في الآن نفسه يخاف منه، ولأن الشاه هو الشخص الوحيد الذي بمقدوره أن يمحيه من الوجود يومًا ما، فقد كان يحمل له في قلبه ضغينة عجيبة، غير أنه كان حذرًا جدًا في التعبير عن هذا الحقد، حتى مني أنا كاتمة أسراره، ليس لأنه كان خائفًا ويريد أن يخفي كرهه له، وهو الذي لا يقصّر في التعبير عن انزعاجه، وإنما كان يضفي على ذلك طابع الوطنية، فيقول:

«إن غلطة الشاه في الأزمة العالمية الحالية ستلحق الضرر بالبلاد. والوطني هو من يوجه له الضربة قبل سقوطه».

وكان يقول لي، بصفتي كاتمة أسراره وأهل ثقته، مرارًا وتكرارًا:

«سأصدمه يومًا صدمة لا تخطر له على بال. على الأقل، سأفعل ما من شأنه أن يوقف إيذاءه لي».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أتذكّر جيدًا عندما أريته صحيفة كان "خداداد" قد أعطاني إياها، ألقى نظرة، وقرأها وضحك ساخرًا وقال:

«هل بألعاب الأطفال هذه تريدون أن تتصارعوا مع هذا الرجل؟ لو نفخ هو نفخة واحدة فسيمحوكم جميعًا. إذا كان أحد ما يستطيع أن يقوم بعمل، فذلك هو أنا، وليس الأطفال الصغار».

على الرغم من العنف والعناد اللذين كان يبديهما للأشخاص حينما يتعلق الأمر بمصالحه وأهدافه، لكنه كان مع ذلك متسامحًا، يعتبر نفسه أكبر من المنافسين الآخرين جميعهم بكثير، وحينما كان أحدهم يخطّط لمؤامرة تطيح به، وهو موقن أنها لن تنجح، كان يسامحه، لا يبدي أي مبالاة ويكشف له عمله بكل صراحة ووضوح.

كان الملحق العسكري الإيراني في باريس قد أرسل تقريرًا إلى الشاه كتب فيه أن العقيد آرام له علاقة غير علنية مع مثيري الفتنة من الإيرانيين في برلين. لم يكن هذا التقرير فاقدًا للصحة، فقد كان في معرض سفره إلى برلين لمرة أو مرتين، وبغرض اقتناء الآلات العسكرية والأسلحة التي يحتاج إليها الجيش، قد تعرف إلى بعض الإيرانيين الذين

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

كانوا يؤسسون نواة نهضة ثورية، كانوا يروقون له، وكلما حَلّوا بباريس للمشاركة في مؤتمر للطلبة لا يتورع عن مخالطتهم، ويقول:

«لا تهمني قناعتهم، لكنهم يدركون المنطق الصحيح، ولم يكونوا يجترون الكلام كما تجتر الخرفان العلف، إنهم يتحلون بالجرأة، وهذه ميزة تميزهم عن الآخرين، لكن للأسف، لا يقدرون على فعل شيء، لو يأخذون بعين الاعتبار جرأتي وشهامتي وأموالي وتاريخ عائلتي فإن عملهم سيثمر نتيجة».

أرسل الشاه التقرير إلى إدارة التفتيش العامة، وطلبوا منه توضيحًا بهذا الخصوص. كان العقيد رجلًا ذكيًا، ويدرك أن هذا التقرير حين تم إرساله إلى المكتب الخاص في الأركان العامة وإدارة التفتيش فهذا معناه أن الشاه لم يعره أي اهتمام، حضّر جوابًا وأرسله وانتهت القضية.

بعد أيام من هذه الحادثة وحينما كنت أصعد برفقته سلالم السفارة الإيرانية، التقينا في طريقنا بالملحق العسكري الذي كان أعلى رتبة من آرام بدرجة واحدة، وكان العقيد يحمل في يده عصا صغيرة يلعب بها على الدوام، حتى حينما كان

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

يلبس ملابسه الشخصية. ضرب بها على كتف الملحق العسكري بليونة ثم قال مازحًا:

«أيها العقيد، لماذا تدخل في حرب مع من هو أكبر منك؟»

قال الملحق العسكري:

«لم أكن وقحًا مع جناب العقيد».

قال آرام:

«اتعظ بهذه واندم على ما فعلت».

تبادل الطرفان الحديث، فأفسح له الملحق العسكري ذو رتبة العقيد الكاملة الطريق وذهب، في حين لم يقدم نائب العقيد آرام على أية خطوة تضر بمنافسه، في وقت كان يقدر على ذلك وكان يستطيع أن يصرعه ويسحقه.

وكانت النتيجة أنهم، بعد أسبوع أو اثنين، أحضروا العقيد آرام إلى طهران، وعندما رجع تم تعيينه معاونًا خاصًا لجلالة الشاه في أوروبا بأسرها بدرجة عقيد بأقدمية ستة أشهر،

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

وأُسندت له أيضًا مهمة اقتناء الأسلحة، وقد شكّل هذا المصدر الأساس الذي كوّن ثورته الهائلة من خلاله.

لهذا السبب، كان الجميع يعمل له ألف حساب، وحتى سفير إيران أيضًا يعلم جيدًا أن العقيد آرام من أولئك الغريبين الذين يجب التكيّف معهم.

كان العقيد آرام منذ ذلك الزمان من خطّابي الجادّين، لكنه لم يكن يلعب دور العاشق الولهان. كان له رأيه الخاص عن الزواج والحب، كان يقول:

«يجب على المرء أن تكون له زوجة تعيش معه، تقوم في البيت على كل شؤونه، وتحترمه، وتستطيع أن ترافقه إلى المسرح وحفلات الموسيقى وتسافر معه، ويجب على امرأة مثل هذه أن تستطيع تثبيت نفسها أمام أشخاص مقتدرين، وتكون في الضيافات الرسمية مرافقة له ومن نفس مستواه، فأحيانًا يكون بمقدور امرأة واعية أن تقوم بأعمال صعبة بمنتهى السهولة لا يقدر حتى الرجال الأشداء على القيام بها، غير أن مثل هذه المرأة ليست كافية للحياة، وفي الآن نفسه، فممارسة الحب من ضروريات الوجود. الحب موجود في الكتب للأغبياء فقط، إنما المرء لا يستطيع أن يعيش حياته

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

مع تلك التي يستمتع معها فقط، فيجب أن تبقى واحدة في البيت ترعى الأطفال وتستقبل الضيوف وتدير شؤون البيت كلها تحت سلطتها، وللرجل الحق في أن يحتسي في بعض المرات عصارة الحياة مع امرأة أتقنت فنون الإغراء والغنج في مدرسة المجتمع».

لم يكن يجهل تمامًا حياتي المتحررة من القيود مع أقراني من الشباب في مدرسة الفنون الجميلة، لكن رأيه كان أن هذه نزوات طارئة، ومن تريد أن تتزوجه يجب أن تكون قد مرت من هذه المراحل.

ولهذا السبب كان يرغب بالزواج مني، لأنه كان يتصور أنني امرأة موقرة، وبمقدوري أن أتدبّر أموري بمفردي، وأستطيع أن أستثمر كل الأمور والثروة والمقام والجاه الذي يوفره هو لي أحسن استثمار، وأنّ مساعدتي ستكون مفيدة لمساعيه، وكان يعتقد أنني سأكون امرأة متمرّسة ومحنّكة وشديدة، وأنه بإرادتي المدعومة بجهوده وآماله لن تستطيع أية قوة في الحياة أن تصمد أمامنا، فكان يقول لي بمنتهى الوضوح والصراحة:

«عيشي معي وأنا سأفتح في وجهك أبواب الجنة في هذه

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الحياة المضطربة. سأوفّر لك كل ما تريدين وأكثر مما تتوقعين ومما يمكن أن يعدك به أكثر العشاق إخلاصًا؛ السفر، والترف، والاحترام، والمال، والمجوهرات، والبيت، والمنتزه.. لا تخافي من نزواتي، فهي مؤقتة ومنتهية، ستبقين أنت.. وأنا».

على إثر حادثة اعتقال موظفي البريد والتلغراف الذين نشروا الرسائل، تم تغيير رئيس الدائرة الأمنية، وبعث الشاه إليه تلغرافًا في باريس يطلبه، وأسند إليه الرئاسة العامة لدائرة الأمن.

وبعد دخوله إلى طهران ببضعة أيام، زرته في بيته. كان من الضروري أن أقوم بهذه الزيارة لأنه على اطلاّع بنفي أبي، ولكنني لم أشر إلى ذلك بتاتًا، حتى لا يظن أنني قد زرته من أجل إنقاذ والدي، كنت أعرفه جيدًا وأعلم أنه لا يخطو خطوة واحدة صغيرة في الحياة دون أن يطلب مقابلًا ماديًا، ولست أرضى أن أصبح ممتنّة له. وحين آن وقت زيارتي أثار موضوع نفي والدي بنفسه، وقال:

«هذه تصرفات الرئيس السابق الحمقاء، كان قد أفهم جلالة الملك أنه لو بقي أبوك في طهران لبضعة أيام أخرى فستعم

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الفوضى في المدينة، في الوقت الذي... ماذا أقول؟»

«والدي أيضًا لا يرغب في العودة إلى طهران، إذا كان من الضروري أن يبقى في المنفى، فأرسلوه إلى كربلاء، لا يهم الأمر بالنسبة لكم، رغم أن هذا ليس طلبًا أرجوه منك».

«أنت فقط تأمرين، ونحن مستعدون دائمًا للطاعة، فأنا مازلت مصرًا على رجائي».

«أي رجاء؟»

«الرجاء الذي تعرفينه جيدًا سمو جناب الآنسة».

«حضرة القائد، إنك تمزح. أنت أصبحت الرئيس العام لنا جميعًا، وبنات المدينة جميعهن يتمنين لو يصبحن زوجات لك».

قاطعني قائلا:

«نعم، لكن هذا جانب واحد فقط، كلهن يردنني، بيد أنَّ التي أريدها أنا لا تريدني».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«حضرة القائد، إنك تسخر مني».

« هذا ما تصورينه».

بعد أيام، أرسل عن طريقي تذكرة والدي وأعدّ له كل المتطلّبات من قبيل توفير العملة الصعبة ووسائل السفر، فقط، رجاني أن أكتب لوالدي ألا يأتي إلى طهران، وأن يسافر من هناك إلى كربلاء، وتقرر أيضًا أن تلحق به أمي في غضون شهر أو شهرين.

أنا موقنة من أنه تأكد أنني سأستجيب لطلبه القديم حينما اتصلت به بالهاتف ودعوته إلى العشاء، ولم يخطر بباله أبدًا أني سأطلب منه تحرير متهم سياسي.

أعددت الكثير، كنت أريد أن أهيئ ضيافة تليق به. وكان غرضي أن أرد له على الأقل جميله بصورة تليق به. طلبت من فندق "پالاس" طبّاخًا، وأمرتهم أن يعدّوا عشاءً فاخرًا، لم أقتصد في المصاريف على الإطلاق، وجلبت الشمبانيا والويسكي والجبن، والليكور، ورغم أن ضيافتي لم تكن تشبه دعواته لي في فنادق الدرجة الأولى في باريس، لكن بالنظر إلى الإمكانات المتاحة لدي فقد بذلت كل ما وسعي.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

كانت والدتي حاضرة على مائدة العشاء، ولم تتعد محادثاتنا ما يكون في مثل هذه المحافل العادية. وأحيانًا كنا نستحضر ذكريات فرنسا.

تحدّثنا عن معارفنا المشتركين، ومدحني وأثنى عليّ في حضور والدتي؛ كان تعامله مع والدتي في منتهى الأدب والتواضع، وتحدّث عن سفر أمي، وأخبرته أمي العزيزة أن السيد لم يستطع بعد أن يحصل على بيت جيد، وبمجرد أن تصل رسالة منه سوف ترحل.

سأل والدتي:

«هل أخذت تذكرتك؟»

«ليس بعد».

«أرجو أن تتصلي بي هاتفيًا فور اتخاذك لقرارك حتى أرسلها لك».

بعد ذلك توجه إلي بالقول:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«حينها سأبقى أنا والسيدة، هل نقلت لحد الآن رجائي لوالدتك؟»

«نعم، والدتي العزيزة على علم بالأمر».

كانت أمي تدعو الله أن يتم طرح هذا الموضوع، فقالت:

«نحن لا كلام لدينا، والدها يدعو الله أن يتم الأمر، آمل أن تكون هي بنفسها راضية. مَن أفضل من فخامتكم؟»

أدرت وجهي ناحيته ضاحكة وقلت:

«أيها القائد، لم تشرّفنا اليوم في بيتنا لتطلب يدي؟»

ضحك وقال:

«لا، إنما كنت أفكّر في ذلك».

انتهى العشاء، فقمت من مكاني، وقلت:

«لنترك هذا الموضوع الآن إلى وقت لاحق. تفضل لنتناول

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

القهوة في الصالون. أريد أن أتحدّث معك في موضوع آخر».

علت وجهَه سحابةٌ سوداء، كما لو لم يكن يتوقع مني أن أطلب منه شيئًا، قام هو أيضًا من مكانه، وجاء ناحيتي، أمسكني من تحت ذراعي، وقال:

«تفضلي لنذهب، ألن تأتي السيدة برفقتنا؟»

قالت أمي:

«لا، أنا أستأذن في الذهاب».

ودّع والدتي وأمسكني من ذراعي، وقال:

«سأنفذ أي أمر منك، حتى قبل أن أسمع، فأنا مستعد لقبول طلبك».

«سيدي الجنرال، أنا سعيدة جدًا، لم يكن لديّ توقع غير هذا».

ناديت على إحدى الخادمات، وقلت:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«أحضري القهوة وشراب الليكور إلى الصالون».

كانت في الصالون في الجهة الشمالية لوحة كبيرة معلقة، من أعمال الأستاذ، أثارت انتباهه، وسأل:

«عملُ من هذه اللوحة؟»

«إنها من أعمال الأستاذ "ماكان"».

«هل تعرفينه؟»

«لا، فقط هكذا».

جلس على مقعد وثير، ووضع رجلا على رجل. قرّبتُ له علبة السجائر، فتناول سيجارة، وتناولت أنا واحدة، قام من مكانه وأوقد عود ثقاب، ثم قرّب لهيبه إلى وجهي، وقال:

«إنه إنسان مزعج!».

«من؟»

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«هذا الرسّام».

«كيف ذلك؟»

«لا شيء! لا أحد بمقدوره أن يقول له يا رجل اعتنِ بعملك، ما دخلك بالسياسة!»

أحضرت الخادمة، على الفور، القهوة مع الفناجين وزجاجة الليكور مع كؤوسها، ووضعتها على طاولة صغيرة سطحها من البرونز المنقوش، ثم انصرفت. كان لم يخرج بعد من الغرفة حين قلت له:

«أودّ أن أتحدّث معك قليلا على انفراد».

«حسنٌ، هذا أفضل، ماذا تأمرين؟»

«لن أتحدث معك عن طلبي، أنت وافقت عليه، حينما تنوي الذهاب سأخبرك به لكي تسجّله».

«بل أنا لا أريد أن أذهب».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«لا، أنت ستذهب».

سألني ضاحكًا:

«وإذا لم أذهب فماذا سيحدث؟»

أجبته ضاحكة أيضًا:

«كما تشاء، إن للبلاد رئيس أمن، سأنادي على الحراس وقتها».

قهقه ثم قال:

«أحسنتِ... حسنٌ، كنت تتحدثين».

«جنرال، هل أنت راض عن أعمالك؟»

«كنت تريدين ألا أكون راضيًا».

«ألم تكن في باريس أكثر ارتياحًا؟»

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«طبعًا هناك كان أفضل، لكنني أحب السلطة والمقام».

«ماذا كنت تريد أن تصبح أكثر من هذا؟ رئيس دائرة الأمن هو الكل في الكل بعد الشاه».

«لن تظل أوضاع البلاد هكذا، أريد أن أكون الكل في الكل».

«يعني كيف يمكن أن تصير؟»

«العالم الآن يتجه نحو الحرب، لو رأيت كيف يتسلّحون في ألمانيا أنهم؟»

«وما علاقتنا نحن بذلك؟»

«بمجرد ما أن تثار الضجّة وتشتعل الفوضى، صاحبنا، الذي له رِجْلان، سيقترض رجلين أخريين ويختفي فجأة».

«وإذن، لماذا تخدمه إلى هذا الحد؟»

«كيف عرفت أنني أخدمه؟»

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«أرى أنك تؤذي الناس، ومن لا يعلم أنك تعتقل الناس عبثًا ومن دون داع؟»

«قولي لي مثلًا من اعتقلت؟»

«خلال هذه الأيام الأخيرة، بحسب اطلاعي، اعتقلت على الأقل خمسة أشخاص».

«في بلاد تعدادها عشرة ملايين، لنسمح أن يعتقلوا عشرة أو خمسة عشر شخصًا، ماذا سيحصل؟»

ثم تجهّم، وقال:

«أنت من أين تعرفين؟»

«كانت والدة أحد هؤلاء الذين اعتقلوا توسلّت إليّ قبل يومين أو ثلاثة، وأنا أطلب إطلاق سراحه».

«ما اسمه؟»

«محسن كمال».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

قطّب جبينه، وأمسك بطرفي شفتيه وسحب يده مرتين أو ثلاث مرات إلى ما تحت ذقنه.

قال في هدوء وروية:

«سيدتي، أتمنى ألا تكوني منشغلة هنا بنفس تلك الأعمال التي كنت تعملينها في باريس».

«وماذا كنت أفعل في باريس؟»

«ما أدراني أنا؟ أعمال من قبيل توزيع الصحف، من قبيل تصرفات الأطفال تلك».

«إذن ستعتقلني هذه الأيام؟»

«لا، لن أوقفك أنت، سأضعك داخل صندوق وأغلقه وأختمه بالشمع، ثم أرسلك جوًا إلى الخارج».

«ألم يكن من الأفضل أن ترسلني حيث والدي؟»

«لا، هناك كنت ستفرّين من بين يديّ».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«وهل ما زلت تنوي الذهاب إلى الخارج؟»

«لنترك المزاح جانبًا، لو أردتِ الصدق، أنا في إيران بصفة مؤقتة، فالحياة في إيران بهذا الشكل من تسلط العسكر، لا تناسب طبعي اللطيف، ما فائدة العيش في هذه المدينة المقرفة؟ أنا خلقت للترفيه والتسلية والمتعة، يترك المرء تلك الحفلات والسهرات والنساء الراقيات وتلك الأبهة والجلال ويأتي ليسمع السباب والكلام البذيء، هذه ليست حياة».

«هل جلالة الملك يسبك أنت أيضًا؟»

«حينما يسبّ رئيس الوزراء، فسيصل دوري بالتأكيد».

«إذا كنت أنت تقول هذا الكلام، فما بالك بالناس الذين هم تحت سلطتك؟»

قال بانفعال شديد:

«أيتها السيدة، الناس؟ من هم الناس؟ هؤلاء الناس الـ Mentalité(29) خاصتهم هكذا، فهم لا يفهمون أفضل

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

من هذا، كما لو أنك تخرجين الضفدع من رواسبه الطينية وترقدينه على ريش البجع؛ فالضفدع في الأوحال يكون أكثر سعادة. أنا لا أطيق ذلك، ولست في أمان هنا ولا ليوم واحد، أنا نفسي معرّض كل يوم للوقوع في ورطة. هل تتصورين أن نفي والدك إلى كربلاء كان عملًا يسيرًا؟ لا أريد أن أمتنّ عليك، فهناك، في وسط الدائرة الأمنية، حفنة من الجواسيس عديمي الشرف يوصلون تقارير كاذبة إلى القصر بانتظام. المسألة العجيبة هي أنه لم ينتبه أحد إلى هذا العيب الكبير في العمل؛ يقوم أساس هذه الدولة وعمادها، منذ خمس عشرة سنة، على التقارير الكاذبة، ويلاحظون أنّ عملهم لا يتقدّم، ومع ذلك يستمرون فيه. كيف يمكن القيام بأي عمل؟»

«وأنت نفسك تشتغل على تلك التقارير الكاذبة».

«إلى حد ما، نعم كما تفضلت».

«لماذا إلى حد ما، فمحسن كمال هذا اعتقلتموه على أساس هذه التقارير الكاذبة».

«لا يا عزيزتي، لا تتسرعي في الحكم، ليس الأمر كما تقولين،

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

فالفتى كان يوزع المنشورات».

«وهل يُكبل الإنسان ويُعلق في السقف لمجرد توزيع المنشورات؟»

«من أين تعرفين هذا؟»

حينها تريّثَ قليلًا، وأوقد سيجارة، ثم قال:

«أين هاتفك؟»

«هناك في ردهة الطابق العلوي».

«كم الساعة؟ الساعة تجاوزت العاشرة والنصف والوقت متأخر الآن، وإلا كنت سآمرهم الآن بإطلاق سراح محسن كمال، سوف أطلق سراحه يوم غد، لكن اعلمي أن هذا العمل أضرني».

«أنا موقنة أنك ستعمل عملا خيّرًا وستأجر عليه من الله».

«تعلمتِ هذا الكلام من والدتك، كأنك قضيت عمرك كله

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

جالسة على سجادة الصلاة. لقد انقضى على عملي في دائرة الأمن ما يقارب الشهرين، بيد أني لن أستمرّ أكثر من سنة واحدة، إلى ذلك الوقت يجب أن أنجز الأعمال التي خطّطت لها».

«أية أعمال؟»

«حسنٌ، العمل الذي سيؤمن لي حياتي، بحيث لا يستطيع أحد أن يتجرأ على إيذائي».

«وما فائدته؟»

«يجب أن تأخذي المستقبل بعين الاعتبار. كما قلت لك، النظام الآن في طور الزوال والانهيار، ففي وقت الحرب، لا يمكن السيطرة على الناس بالقوة، شاؤوا أم أبوا، فسوف يمنحون للناس بعض الحريات، وأنا لو أستطيع أن أوجه ضربة لهذا النظام وأختفي، فسوف أوفّر رأسمال جيد لمستقبلي».

«وفي هذه الحالة، فإنك بالتأكيد قد حصلت رضا ومباركة الإنجليز».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«الآن، لا دخل لي بهم، إنما سيجبرون هم على البحث عني والاستنجاد بي في وقت الشدة، من أفضل مني! أنا سوف أكون الحامل لراية الحرية».

ضحكتُ وقلت:

«لقد رسمت خطّتك بإحكام».

«الجميع هكذا، كل واحد يفكر في نفسه. لنترك المزاح جانبًا، أريد أن أقول لك هذا الكلام بجدية، آمل أن تكوني إلى ذلك الوقت قد اتخذت قرارك النهائي، فأنا سأهيئ لك حياة ملكية خلال الفترة التي سأقضيها في أوروبا، وحين تضطرب الأمور وأعود إلى إيران وأنجح في مهمتي، ستكونين أنت الكل في الكل، وستكون كامل السلطة والثروة التي تكبر يومًا بيوم، تحت تصرفك، وسيكون طريقك مفتوحًا، إلى جميع محافل أعيان أوروبا ومجالسهم، سوف يستقبلك الملوك والرؤساء ويقبلون يديك، وإذا لم أنجح، فسوف أكدّس ثروة كبيرة إلى آخر يوم أقضيه في إيران، بحيث لن ينقصك أي شيء، ولو عشت العمر كله حياة باذخة في أوروبا. هذا ليس وهمًا أبيعه إياك، أقول لك هذا الكلام حتى تعلمي أنك سوف تعيشين معي حياة مرفّهة. حسنٌ، لقد تأخر

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الوقت، ودّعي والدتك بالنيابة عني، وآمل أن أراك عمّا قريب. أجيبيني في أسرع وقت ممكن!»

كان يريد أن يمسك يدي ويودعني، فأوقفت يده وقلت:

«أطلق سراح محسن كمال يوم غد، سوف تفرح أمه كثيرًا».

«أمه ليست هنا. لماذا تقولين كلامًا غير صحيح، أنت التي سوف تفرحين، وهذا كاف بالنسبة لي. عزيزتي، لديّ رجاء واحد منك، إن كنت تعرفين شيئًا عن هؤلاء الأطفال الصغار فأخبريني بذلك، أنا لن أؤذيهم، لكني سأطوي بساطهم، وفي هذه الحالة سيكون أفضل لك ولي أيضًا، لأنه في نهاية المطاف طال الزمان أو قصر، سأقضي على الجميع بنفسي، سوف أطوي بساطهم، لأن هذا في حد ذاته مفتاح نجاحي. فحين أقنع جلالته بأني اقتلعت لعب الأطفال هذا في ظرف خمسة أو ستة أشهر فسوف تزداد ثقته بي، وحينها، سيسهل عليّ كثيرًا توجيه ضربتي إليه. دعيني أقول لك هذا: لو أني كنت أعلم من البداية أنك تريدين مني تحرير أحد الأطفال الطائشين ما كنت سأوافق بهذه البساطة. لا أفكر أبدًا في أن أمتنّ عليك، لا، هذه ليست أخلاقي، لكني أنتظر منك بجدية وصدق ألا تعودي مرة أخرى لتطلبي مني نفس الطلب! إلا إذا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أفشيت لي جميع الأسرار حتى استأصلت شأفتهم. على كل حال، لا تطلبي مني طلبًا أُجبر على رفضه، ولمن؟ لشخص أرغب في تحقيق كل طلباته، لأنني على يقين أنك لا تحبين أن يمسّني أذى، وتلبية مثل هذه الرغبات هي بمثابة العمل بشكل ملتو. مع خالص احترامي! ودّعي والدتك نيابة عني! وإذا كتبت رسالة لوالدك فأقرئيه سلامي وقولي له إنني سأنفذ له كل ما يريد».

ناديت الخادمة، وأمرتها أن تخبر سائقه، ثم رافقته إلى باب البيت، وعدت مجددًا إلى الصالون.

تمددت على المقعد الوثير، واحتسيت كأسًا آخر من شراب الليكور، ثم استغرقت في التفكير بكل هدوء.

سيدي الوكيل، أنت تعرف جيدًا بماذا فكّرت، باتت قراءة نهاية القصة أمرًا يسيرًا، هل سكنني الشيطان؟ الراحة والشغف إلى الترف والمتعة وجمال باريس وروما وبرلين والحياة المتنوعة في أوروبا والمسرح والسهرات الموسيقية وآلاف الأنواع من اللذات، هل أدخلتني هذه الأفكار مثل أبخرة الأفيون في حالة من الانتشاء؟ لا، ليس الأمر هكذا، لو تضاعفت هذه المزايا مئات المرات، ما كانت تساوي شيئًا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أمام الطيران على أجنحة العشق، وأي عشق؟ الحب الخالص والبعيد عن كل رياء كالذي جمعني بالأستاذ. كيف كنت أستطيع أن أعيش مع هذا الرجل الذي كان يحاكم كل شيء من زاوية نظره هو، ويعتبر المكان الذي يقف عليه مركز الأرض والزمان والعالم اللامتناهي؟ كيف أستطيع العيش مع هذا الرجل الذي لا يريد وجودي، إنما يحب فقط اسم عائلتي الكبيرة، ويريد ذلك وسيلة جديدة لترقيته ورفعته؟ أنت فكّر في هذا! كان يريد الزواج بي لأتأبط ذراعه في حفلات البلاط بأوروبا، وحتى يستطيع التباهي في كل مكان بأن زوجته أجمل امرأة. كان يريد الزواج بي ليطفئ ظمأ تعطشه للجاه والمقام. كان يريد الزواج بي ليكون بيته آمنًا مطمئنًا، وينام على سرير مريح، ويأكل طعامًا لذيذًا ويؤمن راحته، وماذا سيمنحني في المقابل؟ المال والبيت والحياة والسفر إلى الخارج؟ وقد كنت أمتلك هذا كله؛ كنت جميلة، وبمقدوري أن أكتسب بجمالي أكثر من هذا بكثير. وعلى الرغم من هذا كله كان يأبى أن يعطيني حتى قلبه القاسي والمنحوس.

كان يريد امرأة واحدة لتؤمّن حياته الشخصية وترعى أطفاله، ويريد نساء كثيرات لتأمين رغبات جسمه المتعفنة، كان يقترح عليّ مثل هذه الحياة.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

لا تنس أنني مللت من حياة اللهو والمتعة في الخارج، لسبب وحيد، وهو أن الجميع هناك كان يحبني، وأنا لم أجد أحدًا أهلًا لحبي وعطفي. لمَ أُصبت بالضجر والاشمئزاز في الخارج؟ لأني أحسست فجأة بأنني وحيدة ومسكينة، ولم أجد نفسي فنّانة، وكان هذا أكبر شيء يسلي خاطري. أزاح الفن نظرته المبتسمة والمشرقة عن وجهي، والحال أنني وجدت في إيران شخصًا فنانًا، وكنت أحبه.

كنت على حالتي تلك ممدودة على الكرسي الوثير، حيث ارتسم في ذاكرتي منظر مرسمه، فرأيت أن أجمل الأماكن في الدنيا بالنسبة لي هو مرسمه، هناك حيث يجلس أناس مثلي ينظرون إليّ من مختلف الزوايا.

كان مرسمه مكانًا آمنًا، لا أحد ينظر إليّ هناك بعين شهوانية أو حقودة. فالناس، الذين كانوا يعيشون هناك، هم أولئك الناس الذين كنت أجسّمهم في عالم خيالي، لكني لم أكن أقدر على إخراجهم في قالب حي ومتحرك. لقد تشكّلت في مرسمه عوالم كان قلبي يتوق إلى إدراكها، كم كنت أستمتع بضحكات تلك الفتيات اللائي كن يقضمن حبات الذرة، والوجه الطلق للدرويش بعينيه الكبيرتين وحاجبيه الكثّين، ولباسه الأبيض وعباءته الحريرية، ومروّض الأفاعي الذي

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

يريد أن يعضّ رأس الأفعى، والشاعر الذي يجلس على قطعة من الجلد قرب المنقل وهو يسكب الشاي، كل هذا كان مألوفًا لديّ، وكنت قد رأيت كل واحدة منها يومًا في حياتي.

فجأة، تراءى في ناظري وجه الأستاذ المشوّش. أحسست بأنه ينتظرني، ويجب عليّ أن أساعده. تذكّرت كلام العقيد، وأحسست بأنه في خطر، ويمكن أن يتعرّض لحادثة في أية لحظة. كان قد قال عنه: إنه إنسان مزعج.

أردت أن أذهب إلى منزله على الفور، غير أن الوقت كان متأخرًا. فضلًا عن ذلك، فلم يعد لديّ أدنى شك بأن بيته مراقب، فكان من الضروري أن أتوخى الحذر من أجل إنقاذ الأستاذ، وليس من أجل النضال الذي ينتظره، وكان واضحًا بعد هذا اللقاء مع العقيد وبعد أن استجاب لطلبي المهم هذا أنه ينبغي عليّ أن أحفظ حياة الأستاذ من هذا البلاء الذي يحوم حوله.

كانت الساعة تشير إلى الحادية عشرة ليلًا، وحتى تجاوزتها، اتصلت هاتفيًا ببيت الأستاذ، ظل الهاتف يرن دون أن يجيب أحد، ربما كان غير موجود في البيت، ففي بعض الليالي يعود متأخرًا إليه. وفي بعض الأحيان يخرج في وقت متأخر

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

للنزهة، لكن، لماذا لم يرد آقا رجب؟ أعدت الاتصال لعدة مرات، لكن دون جدوى، ما كان أحد يجيب.

داهمني خوف غريب، وأيقنت أن حادثة قد تكون وقعت في ذلك المنزل.

فجأة، سمعت صوتًا أمام باب المنزل، فسقط قلبي من شدة الخوف، في هذا الوقت من الليل، سألت: من بالباب؟ فعلمت أن نادلي الفندق يغادرن.

هل اعتُقل الأستاذ؟ لم يكن مستبعدًا. بالرجوع إلى ما قاله الجنرال فإن هذا ما كان يجب أن يُتوقّع طال الزمان أم قصر. ما من شك بأن دائرة الأمن قد عثرت على دليل ما.

حاولت أن أربط الحوادث ببعضها حلقة حلقة، قبل أيام قليلة، تم اعتقال شخصين أو ثلاثة كانوا يوزعون المنشورات،وتم إيقاف محسن كمال، يريدون منه أن يدلهم على عنوان البيت الذي توجد فيه آلة النسخ والأوراق، ورئيس دائرة الأمن يعتبر الأستاذ إنسانًا مزعجًا، ويقول: سأطيح بالجميع وأطوي هذا البساط. ألم يكن هذا ناقوس خطر؟ ليته كان ممكنًا إخبار الأستاذ في هذه الليلة.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

شيئًا فشيئًا، كان تعب اليوم كله ومشاق الضيافة ونشوة احتساء كأس من الويسكي والليكور بدأت تفقدني الوعي، أحسست بألم في ركبتي مثل الأشخاص المحمومين، ونمت مضطربة ومنزعجة.

اتصلت صباح اليوم التالي هاتفيًا بالأستاذ، لم يكن قلقي عبثًا.

سألته:

«لماذا لم يكن أحد يجيب على الهاتف ليلة أمس؟»

«لم يكن أحد موجودًا، لكي يجيب».

«أين كان رجب؟»

«اعتقلوه عصر يوم أمس».

«لماذا؟»

«لا أدري».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

خرس لساني، وأحس هو بذلك بالتأكيد، لكنه لم يضعف، فقال مواسيًا:

«من المؤكد أن الأمر ليس مهمًا، سيطلقون سراحه يقينًا».

«اليوم سيُطلق سراح "فرهاد ميرزا"، أنا سآتي الآن لبيتك».

«أرجوك لا تأتي حتى أعطيك أمرًا بذلك، وضعي السماعة».

«أنا أحتاج إليك في أمر».

«أعلم، لكن القول ما قلته لك للتو، لا تأتي عندي بأي وجه من الوجوه، إلى اللقاء فرنگيس!»

أغلق الخط وانصرف، وبقيت لمدة ممسكة بالسماعة وأنا مسندة رأسي إلى الحائط.

لم يكن من نصيبي أن أراه مرة أخرى.

*****

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

لا، هذا ليس صحيحًا، رأيته مرة أخرى، إنما لم تكن لدي الجرأة هذه المرة للتحدث معه.

كانت الأحداث تمر بسرعة فائقة، بحيث لم يكن بمقدوري فعل أي شيء.

مهما حاولت الاتصال بالأستاذ، لم يكن يسمح بذلك، حتى في الهاتف، كان يجيب بشكل متقطع ومختصر ويغلق الخط. كانت طريقة تعامله معي مهينة وغير محتملة، حينما كان يضع السماعة ويتركني أنتظر، كنت كمن يُغرس المثقاب في كبده، وكنت أعتقد أنني سأسمع خبرًا عنه، وسيرسل إليّ رسالة ويدعوني إلى بيته، إنني ذات مرة رجوته وتوسلت إليه أن يأتي إلى مكان آخر إلى منزل أحد الأصدقاء حتى ألتقي به هناك، لكنه لم يقبل. كنت أترقب لقاءه في كل لحظة وحين حتى في الأوقات التي كنت متيقنة، بحسب تجربتي، من أنه منشغل فيها بعمل ما في مكان من الأماكن، وكنت أقول في نفسي إنه يحتاج إليّ وسوف يدعوني عنده، كنت أتصور أنه سيقوم بما لم يقم به أبدًا وسيأتي فجأة إلى بيتي دون سابق إعلام.

كنت في كل مرة أعود إلى البيت، ورغم علمي بأن "فضه

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

سلطان" سوف تضع أية رسالة تصلني على الطاولة في غرفتي، لكني حينما لا أجد أثرًا لشيء، كنت أسأل "بابا" وأمي أو أول من ألتقي به في البيت: هل اتصل بي أو سأل عني أحد؟ ألم يُحضر أحد إليّ رسالة؟ وحتى الرسائل التي تصلني من الخارج كنت أسارع في فتحها على أمل أن تكون رسالته، بالرغم من وجود الطابع الأجنبي على غلافها، وعندما لا أرى خطه كنت أرمي الرسائل على الطاولة دون أن أقرأها، وتبقى أحيانًا على هذه الحال لعدة أيام.

ذات يوم، رأيت "فرهاد ميرزا" في الشارع، تعرّفت إليه من خلال التصميم الذي كان الأستاذ قد رسمه ومن خلال شاربه. اعترضت سبيله، وسألته عن أحوال الأستاذ. أجابني بجفاف ولامبالاة:

«أنا لا أعرفك».

«أنا أعرفك، أنت "فرهاد ميرزا"، واسمك الحقيقي هو محسن كمال».

«أنت مخطئة سيدتي، أنا لست "فرهاد ميرزا"».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«أنا لا أريد منك شيئًا، أريد أن أعرف فقط ما إذا كانوا قد أطلقوا سراح آقا رجب أم لا».

«سيدتي إنك مخطئة، أنا لا أعرفك أنت ولا آقا رجب».

ضقت ذرعًا به، نظرت إليه نظرة تحقير، ومن دون كلمة اعتذار أو وداع أعرضت عنه وانصرفت. وقلت لنفسي:

«ولد دميم جبان! أنا أنقذته، والآن يتوجس من الحديث معي».

انقضى شهر حالك من الانتظار على هذه الحال» وخلال هذه المدة، كان البوم المشؤوم قد غرز في قلبي مخالبه الحادة، وكلما أردت التخلص من هذا الكابوس المهيب كان يغرز مخالبه الدموية في قلبي بشكل أعمق.

اتصلت بالهاتف مرتين أو ثلاثًا، وفي أحد الأيام أجابني شخص غير معروف، وقال:

«الأستاذ غير موجود».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

وفي المرات التالية، بمجرد ما كان هذا الشخص يسمع صوتي يضع السمّاعة.

آه، أتعرف أين كانت تكمن تعاستي؟ في عدم تمكني من تبرير سلوكه غير الإنساني هذا معي، هل تضايق مني؟ استعدت في ذهني آخر حوار دار بيني وبينه خلال اللقاء الأخير، وكان قد قال:

«عزيزتي فرنگيس، أريدك أن تنقذي "فرهاد ميرزا"، يجب أن نخرجه من السجن مهما كلّف الثمن، وإلا سيقتلونه، لن يفصح لهم عن شيء، سيعذبونه حتى الموت».

سألته:

«بأي ثمن؟»

لم يجب، وقلت بوضوح:

«حتى إذا كان الثمن أن أبيعه عمري كله...؟»

قال:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«لا، ليس بهذا الثمن الباهظ».

لأجل نجاة صديقه كان على استعداد لأن يرسلني عند رئيس دائرة الأمن.

ولكنه الآن حيث نفسه في خطر، وروحه معلقة بشعرة، لم تكن لديه رغبة في رؤيتي.

ماذا كان يظن؟ أكان يظن أنني سأبيع نفسي إرضاء لخاطره، أم أنني، من شدة الخوف، سألقي بروحي في حضن رئيس دائرة الأمن؟

آه، لو لم يرسم هذه اللوحة بهاتين العينين، لكنت سأفكر بهذه الطريقة وأرتاح، وما كنت سأعاني كما أعاني اليوم، وكنت سأبحث عن حياة مرفّهة ومريحة وألقي بنفسي في متاهة الحياة العادية، تمامًا كما عشت في السنوات التالية، حيث كنت أستيقظ من النوم متأخرة، وأتناول الشاي والحليب والبيض والزبدة والمربى وشراب الليكور فوق السرير، وأتفرغ ساعة أو ساعتين للاستحمام والتزيين. كنت، عند الزوال، أتناول وجبة الغذاء في أحد فنادق الدرجة الأولى في باريس أو في ضيافة شخصيات مرموقة. وبعد

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الظهر، كنت أركب الخيل، وأقود السيارة بسرعة ٨٠ إلى ٩٠ كيلومتر في الساعة وأتسابق مع أقراني، أو أتبضّع في المتاجر. وفي الليل يحين مرة أخرى وقت التزين والاحتفال والاستمتاع والقمار والمشروبات الكحولية والوجوه الضاحكة وارتداء الفساتين والملابس الجميلة والتسيب في الحديث والتسكّع.. هذا هو معنى الحياة وهدفها، كنت أعتني بزوجي، إلى أن وصل ذلك اليوم الذي قرأت فيه خبر موته في إحدى الصحف التي كانت تأتي من إيران، وبعدها بقليل نُشرت في مجلة ألمانية لوحة الأستاذ الأخيرة هذه بهاتين العينين اللعينتين. ومنذ ذلك اليوم إلى الآن أنا كما ترى...

اسمح لي أن أحكي لك آخر القصة وأنهي كلامي.

يا للصبر الذي تتحلى به أنت، إذا كنت تبقى ساكتًا هكذا، أستطيع أن أسرد لك كتابًا كاملًا.

بعد مرور شهر واحد عيل صبري، استدعيث مرة أخرى العقيد آرام إلى بيتي ليلًا. وخلال هذا الشهر، كان يهاتفني في أغلب الأوقات، وحينما لا أكون في البيت، يستفسر من أمي عن أخباري. جاء مرة أو مرتين بعد الظهر إلى منزلنا من دون موعد سابق، كان يجلس ويحتسي الشاي ويدخّن

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ويلمّح إلى طلبه ويذهب.

في تلك الليلة، بمجرد أن أتيحت لي الفرصة، سألته:

«حسنٌ، مازلت منهمكًا في الخدمة؟»

«كيف ذلك؟»

«أمازلت تعتقل الناس؟»

«لا، لم نعد نعتقل أحدًا، فقد عثرنا على وكر الفساد».

«أين كان؟»

«أحدها كان في بيت الأستاذ الرسام».

سألته في هدوء:

«أي أستاذ رسّام؟»

«لا تتظاهري بعدم الفهم، إنه الأستاذ ذاته، صاحب هذه

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

اللوحة، أنت تعرفينه جيدًا، ووصلني تقرير عنك أيضًا، أنت كنت تترددين على بيته».

«أنا لم أذهب إلى هناك منذ شهر، وكنت أذهب في السابق ليرسم لي صورة لوجهي».

«وإذن كيف لم نعثر على صورة لك في بيته؟»

«لأنني ذهبت مرتين أو ثلاث مرات إلى بيته، وحينما لم يرق لي عمله، مللت ولم أذهب مجددًا، وبقيت الصورة غير مكتملة. هل فتّشتم بيته؟»

«فتّشنا بيته ووجدنا كل ما كنا نريد، خلاصة الأمر أننا عثرنا على الرأس المدبّر، اعتقلناه هو أيضًا، يا له من رجل مموّه، لم نستطع إلى الآن أن نستخرج منه ولو كلمة واحدة...»

لا أريد أن أقول لك الحالة التي داهمتني، وحسبك أن تعلم أنني حينما سمعت هذا الكلام، ورغم أنني كنت قد أعددت نفسي لسماع أسوأ الأخبار، فقد فقدت سيطرتي على نفسي وأصابني الوهن واصفرّ وجهي وكدت أصاب بصدمة، بيد أن الرجل كان مؤدبًا ولم يبدِ لي معرفته باضطرابي.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أخفيت اضطرابي وجلست هادئة، دخّنت سيجارة، واحتسيت شراب الليكور والقهوة، وأصغيت لما كان رئيس دائرة الأمن يقوله:

«سوف نجعله يتكلم، فضلًا عن ذلك، فما عدنا نحتاج منه إلى شيء، يجب أن يخبرنا فقط من كان يرسل إليه تلك الرسائل التي كانت تصله من باريس وبرلين، بعد ذلك لا دخل لنا به».

«هل تعذبونه؟»

«مجبرون على ذلك، وإلا فلن يعترف بشيء».

«وإذا مات؟»

«وما ذنبنا نحن؟ إذا تكلم سيرتاح، وإذا كنت تريدين الصراحة، حتى ولو اعترف فلن يرتاح، لأن جلالة الملك غاضب جدًا من هذه القضية، ولا يمكن بأي حال من الأحوال تهدئة خاطره المبارك».

«هل سيقتله؟»

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«يستحق ذلك».

«يا لكم من أناس شريرين».

لم يقل شيئًا، لكن لم يرق له كلامي هذا، قلت هذه الجملة ضاحكة، لكن نبرة تصنعي لم تكن متقنة، مما جعل الحقيقة، التي كانت خفية وراء كلامي، تزعجه.

غيّرنا موضوع الكلام، وتحدّث عن عروس ملك بلجيكا، وعن الفضيحة التي تورط فيها القائد الأعلى الكرماني في مونتوكارلو، وعن احتلال النمسا على يد قوات هتلر، وعن حريق مخزن الأسلحة والسرقة التي حصلت في سفارة مصر، وعن مشاغله الكثيرة، والتي على الرغم من وجودها يحب أن يراني في بعض الأحيان، وعن مواضيع أخرى لم تكن مهمة لي ولو بمقدار شعرة واحدة. أَحَسَّ بأنني أجيبه أجوبة باردة وفيها الكثير من التكلّف، فقام وانصرف على غير العادة قبل الموعد.

حينما شدّ على يدي مودّعًا قال:

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«لا تحزني، الأمر هين، بلغي سلامي إلى السيدة الوالدة».

في تلك الليلة، اتخذت قرار حياتي.

سيدي الوكيل، أنت ماذا تظن؟ لم تعد تتكلم، ولا تسأل؟ فرأيك عني سوف لن يؤثر في مجرى حياتي ولو قيد أنملة. قل.. لا تقل شيئًا، أنا أحس من نظرتك المرعوبة بأنك تشفق على حالي، أنا لم أطلب من أحد أن يتلطّف بي ويحسن إليّ. أنت في قرارة نفسك تقول إنني منبوذة، خفت، وتسرّعت، واتخذت القرار دون فهم. آه، ما أسهل قول هذا! لكن لو كنت ليلتها مطلعًا على أسراري، وأنا أُريتُك روحي عارية، لكنت أنت أيضًا قد ترددت، وليس من السهولة بمكان أن يصبح لك رأي ثابت وقطعي كما تحكم اليوم على حوادث الماضي.

الحكم على الماضي عمل يسير، لكن حينما تجد نفسك وسط تيار الطوفان، تتقاذفك سيول الحياة الجارفة من صخرة في أفواه الأمواج العاتية، لو استطعت هناك أن تظهر همّتك وصمودك وألا تترك خوف الوقوع في الخطر يسيطر عليك، نعم، فحينها سوف تتذوق لذة الحياة في فترة السكينة والهدوء. ما أجمل هذا! ما أسهل التفكير هكذا! لكن أنت احكم بنفسك، هل كانت مثل هذه البطولة العظيمة ستصدر

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

مني أنا، بتجربتي تلك التي كانت لديّ في الحياة، وبذلك التزلزل والتشتت الذي كان قد عشّش في حياتي، وبتلك الحيرة والسأم؟ أنا كنت ابنة أبي، ولمّا واجه صعوبة في الحياة مرة واحدة، طأطأ الرأس وبرك على ركبتيه مستسلمًا، وقبّل الأرض تأدبًا، واعتزل الأمر. ماذا يمكنك أن تتوقع مني؟ والأستاذ كان أيضًا ينظر إليّ باحتقار كما تنظر إليّ أنت، وهو بالتأكيد كان له توقع آخر مني، هاتان عينا امرأة فاجرة وصاحبة نزوات.

هو أيضًا كان يعتقد في قرارة نفسه ما تعتقده أنت. فكّر أنه بمجرد ما إن شَعَرتُ بالخطر يداهمني، اختفيت كالبطة في المستنقع وفي الأوحال، وفررت من تلاطم أمواج البحر العاتية.

لكن الأستاذ كان مقصّرًا كذلك، كان بمقدوره أن يؤثّر فيّ، لماذا كان يحبس نفسه في قفص من السكوت؟ لماذا لم يكن يسعى لفتح طريق نحو قلبي؟ لم يكن ضروريًا أن أكون زوجته أو حبيبته، ألم يكن يستطيع أن يجتذبني إلى الحياة المثمرة التي كنت بدأت أتحسسها؟ على العكس من ذلك، أبعدني عن نفسه وعن ذلك العالم المتحرّك وأرسلني إلى عالم الأوغاد.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ما الفائدة؟ لماذا أدافع عن نفسي؟ هذا ليس دفاعًا، إنه ما قلت في البداية: مقصودي هو فقط الفضفضة عن العقدة التي كانت تعتصرني وتخنقني.

في اليوم التالي على الساعة السادسة والنصف صباحًا، وقبل أن يذهب إلى مقر عمله، اتصلتُ بالعقيد هاتفيًا، وطلبت منه أن يزورني قبل أن يذهب إلى دائرة الأمن.

سألني:

«هل هناك خبر جديد؟»

«ربما يكون بالنسبة لك جديدًا».

«سآتي».

«أرجو أن تأتي وتتناول وجبة فطورك هنا».

«أنا الآن أتناول الفطور، سآتي حالًا».

يجب على الأقل أن تدرك هذا، فاتخاذ قرار بهذه الأهمية في

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

حياتي لم يكن أمرًا سهلًا، هل هناك امرأة مستعدة لكي تبيع جسدها بمحض رضاها؟ لا وجود لشيء أكثر فظاظة من أن تسلّم امرأة جسدها لرجل لا تحبه، أنتم، معشر الرجال، لم تذوقوا أبدًا طعم هذا النفور، وليس فقط لليلة واحدة أو لمرة واحدة أو لمرتين، بل لسنوات، ولعمر بأكمله! فما بالك بالنسبة لامرأة مثلي كانت لسنوات تلهث وراء حنان وعطف من تحب، ودارت الدنيا بحثًا عن ذلك، المرأة التي وصلت لتوها إلى ملاذ واحة حبها بعدما قطعت مسالك الحياة الوعرة.

حينما دخل العقيد إلى غرفتي الخاصة ووقعت نظرته على عينيّ وهما تذرفان الدموع استغرب، وسألني:

«ما الخبر؟»

«أيها العقيد، أنا رجوتك أن تأتي إلى هنا قبل الذهاب للعمل لأمر طارئ لديّ...»

كان يريد أن يقاطع كلامي بمجاملاته المعتادة، فقلت:

«انتظر! ائذن لي أن أقول ما عندي، بعد ذلك لك أن تجيب. أنا لديّ رجاء منك، وأعلم جيدًا أن تحقيق هذا الطلب أمر

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

صعب جدًا بالنسبة لك، بيد أني موقنة بأنه ليس مستحيلًا، وفي المقابل، فأنا مستعدة أيضًا للقيام بما تريد وتحقيق كل ما تطلب مني...»

انتصب واقفًا وأحضر منضدة صغيرة من زاوية الغرفة ووضعها بجانب أريكتي وجلس عليها. أمسك بيدي وأراد أن يقول شيئًا، غير أنني لم أسمح له بالكلام، وقلت:

«أيها العقيد لم أنهِ كلامي بعد».

«اسمحي لي أن أقول كلمة واحدة، أعلم ماذا تريدين».

لم أتركه يكمل كلامه.

«لا، دعني أكمل أنا كلامي، لا أريد أن أسمع منك جوابًا بالرفض».

حينما أقول لك إنني مستعدة لتنفيذ كل ما تطلبه مني، فهذا يشمل أيضًا طلباتك السابقة، أنا أقبل بكل رغبة ورضا أن أصبح زوجتك، واعتبر هذا جوابي النهائي والأكيد والغير المشروط».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ضغطتُ على يده التي كانت ممسكة بيدي.

صدّق أو لا تصدّق، أنا كنت أشمئز من هذا الشخص كرجل وكزوج لي، وهو لم يجرؤ أبدًا على أن يظهر ميوله ورغبته في الزواج بي إلا من خلال طلباته المتكررة، لكن حين قلت له: أقبل أن أكون زوجتك برغبتي وإرادتي، راق لي ضغطه على يدي.

قلت:

«أنا مستعدة، وأستطيع أن أكون زوجة جيدة لك، أؤمن لك رفاهية الحياة كما تريدها أنت، لكن يجب أن تنقذ الأستاذ "ماكان"، أعلم أن نجاته ليست منحصرة في يدك وحدك، وأعلم أن منافسيك سوف يستغلون هذه الوقاحة منك، وأعلم أن جلالته لن يغفر لك تسامحك هذا، وأعلم ألف شيء آخر تفكر فيه أنت. لا تقل لي هذا، ولا تسألني أيضًا عن علاقتي بالأستاذ، فأنت تعلم بشكل أو بآخر عن الصلات السياسية التي كانت تربطني به، لكن ليس لهذا السبب فقط ألتمس هذا الطلب المهم من رجل أريد أن أرتبط به وأعيش معه في المستقبل. فالأستاذ أكبر رسّام في إيران في السنوات المائة الأخيرة، لا تنظر إلى اليوم، حيث لا أحد

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

يعيره أي اهتمام لأنه مغضوب عليه ومنبوذ من قبل الشاه. إن أعماله خالدة، وغدًا ستكون كل لوحة من لوحاته أثمن وأغلى آثار هذه البلاد. إذا قتل بيد الديكتاتور وبمساعدة منك، فعار ذلك سيرافقك إلى الأبد، وسوف تذهب أدراج الرياح جميع أمنياتك. وفيما بعد سيصبح لقبك قاتل الأستاذ "ماكان"، فهذا الرجل له تأثير على الشباب وعلى الطبقة المتعلمة والمثقفة في إيران، أنا بنفسي كنت في يوم من الأيام رسامة، أو على الأقل كنت أريد أن أصبح فنّانة، وأعلم مدى قيمة أعماله. أنت اعتقلت شخصًا معارضًا للدولة، لكن بموت هذا السجين لن يُنسى الأستاذ، وستبقى نادمًا على الدوام. لمَ تنظر إليّ مرعوبًا هكذا؟ أنت لا تعرف طعم الخوف والرعب، نعم، إنه أمر مهم، وعمل كبير، ألم تقل لي دائمًا إنك تريد توجيه ضربة إلى أعدائك الذين وقفوا في طريق ترقيتك؟ الآن، الفرصة مواتية، فالأستاذ مشهور في جميع أنحاء العالم.

رتب أمور حياتك، تظاهر بالمرض، اجمع ثروتك وانقل أموالك إلى الخارج، وبع ما تقدر على بيعه، وأطلق سراح الأستاذ، وهيّئ له وسيلة للهرب من إيران، ونحن سنسافر معًا إلى أوروبا. ما إن تخرج من إيران فستكون فالأمور سهلة بالنسبة لك. نظم مؤتمرًا صحافيًا في باريس وفي لندن وفي

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أي مكان تريد، واجمع صحافيي العالم وأخبرهم بأنك كنت المدير العام لدائرة الأمن، وكان الديكتاتور يسند إليك العديد من المهام التي لا تتناسب مع الأدوار الإنسانية التي تضطلع بها، وأخبرهم بكل ما تعلم، واكشف الأسرار التي لديك والتي من شأنها زعزعة استقرار الحكومة، وتحدّث عن تدخل الإنجليز في الشؤون الإيرانية. لمَ أنت خائف؟ فالإنجليز أنفسهم لن يبقوا دائمًا كبارًا وأسيادًا، وبخاصة الآن حيث الطريق معبدة إلى إيران أمام قادة هتلر، ومن المؤكد أن الإنجليز غير راضين، وأنهم سيقدرون شجاعتك هاته. تحدّث لهم عن ظلم مديري الأملاك في المحافظات الشمالية وجورهم، وعن سرقة رجال الدولة ونهبهم، وعن ضغوط النظام الديكتاتوري والاستبداد المشؤوم الحاكم في هذه البلاد. وضح بالدلائل التي تتوافر عليها، أن جهاز القضاء في إيران ما هو إلا وسيلة لاستخدام القوة والبلطجة والنهب. أنت تعلم هذه الأشياء أكثر مني، وليس ضروريًا أن أعطيك دروسًا.

لا تبتسم! أنا أتكلم لمصلحتك، اروِ لهم أنك اعتقلت الأستاذ الرسّام بأمر من الديكتاتور بتهمة معارضة سياسة الدولة، وأردت أن تتعامل معه وفق القوانين الموجودة، لكن الشاه أراد منك تصفيته. قل: رؤساء دائرة الأمن السابقون دسّوا

دوحة الكتب حصرية
للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

السم في السجن لوزراء ورجال آخرين، وأجهزوا عليهم، ولأنك لم ترض بهذه الجرائم اضطررت للهرب من إيران، وستستمر هنا في أوروبا في أداء واجبك الإنساني المتمثل في مكافحة نظام الظلم والجور.

هذه هي الضربة التي كنتَ تتمنى أن توجهها له، والآن الفرصة سانحة، ألا تريد أن تكون في هذه البلاد صاحب مقام وجاه أعلى؟ هل فكّرت أن هذه التصريحات، على الرغم من وجود الرقابة الشديدة، ستصل في نهاية المطاف إلى أسماع الشعب في إيران؟ كم سيكون ذلك في مصلحتك في المستقبل. فقط تخيّل للحظة! تعلّم مدى الأهمية التي سيوليها الأحرار في إيران لشجاعتك هذه.

دوحة الكتب حرامية

لا تضحك! أعرف أنه ليس لديك أمل في الناس! أعلم أنك يائس من مصطلحات مثل الشعب والتحرر والحركة وإرادة الشعب والمقاومة، وتعتبر كل هذا مجرد مزاح، ربما هي اليوم كما تتصورها أنت، إنما اليوم أيضًا ثمّة أناس بين أفراد الشعب من أمثال الأستاذ ومحسن كمال الذين مهما بالغتم في تعذيبهما لم يفصحوا لكم عن شيء، أنت نفسك تحدثت لي باحترام عن أولئك الشباب الذين تعرفت إليهم في برلين، أمثالهم في إيران موجودون وسيكونون بانتظارك في

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أوروبا.

هل تعلم أن هذا أكبر رأسمال تستطيع أن تدّخره لنفسك في المستقبل؟ لا تتخيل أن الشعب في إيران سيبقى دائمًا حبيس هذا الخمول والجمود الذي يعيشه الآن.

ألا تقول إن الحرب العالمية ستشتعل خلال بعض سنوات قادمة، وإن أصغر فوضى ستزلزل الوضع هنا؟ دع غطاء القهر هذا ينكشف، حينها، سوف ترى في أركان هذه المساجد والمدارس، من بين هؤلاء المحامين المتطفّلين والعملاء، ومن بين هؤلاء القضاة الذين ينحنون أمامك ويركعون لك، سوف ترى من بين هؤلاء الجهلة والعمال والقرويين... من سيشعل فتيل الفوضى، وسيضربون الصدور تحت لوائك، وسوف يضحّون بأرواحهم بصدق، لأجل تحريك هذه البلاد الملعونة، فهؤلاء في انتظارك منذ الآن، وحينها، ستكون سمعتك الطيبة هي رأس المال الذي لا يملكه أي من الرجال في الوقت الراهن، حتى الرجال ممن كانت لهم تجارب سابقة والذين يقبعون في بيوتهم حاليًا لا يحركون ساكنًا ويتحينون الفرصة. هذا هو الحق، نعم هذا هو الحق. لأنه لا أحد من هؤلاء أظهر جرأة وشجاعة مثلك، ولم يصارعوا الديكتاتور..».

دودة الكتب طرابلس
للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

تحدّثت معه ساعة كاملة، وأثرت أنانيته، كلما كان يريد مقاطعتي، لا أمنحه الفرصة للحديث، وكنت أورد حججًا منطقية أخرى لكلامي، فيغالبه الضحك أحيانًا، وأحيانًا يرحّب بفكري الجريء، ويغوص أحيانًا في التفكير ويستقرئ الحوادث.

لم يستطع أن يهرّب الأستاذ، كان باستطاعته أن ينقذه من السجن وينفيه، وأنا قبلت. كان هذا آخر ملاذ لي، وآخر وسيلة تبقّت لديّ لإنقاذ حبيبي الوحيد في الحياة، لم يكن لديّ حل آخر، كان عليّ أن أقنعه... أو لم أكن أعلم ماذا كنت سأفعل لو أنني لم أنجح.

دواية الكتب حرامية

في نهاية المطاف، وعدني بأن يذهب مباشرة إلى القصر، ويتحدث هناك مع الشاه، ويسعى لإقناعه بأن إطلاق سراح الأستاذ سيكون لمصلحة جلالته، وبخاصة الآن، إذ لم يعد يشكّل أي خطر. سوف يقول له أن "ماكان" له تأثير ونفوذ في أوساط المثقفين، ويعرفه رجالات العصر، وإن اعتقاله سيثير سخطًا، وإن قتله سيثير زوبعة من الانتقادات في الصحافة الدولية، والمصلحة تقتضي أن يهتم بالموضوع من الناحية السياسية.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

كان ينتقدني وكنت أسارع لإقناعه، والغريب في الأمر أنني لم أكن مؤمنة بالكلام الذي أقوله، وكنت أكرر ما تعلمته من "خداداد".

سألني:

«طيب، لو طبقنا خطّتنا ونشرنا مثل هذه الأخبار في صحف العالم، فحينها سيحقد الشاه على الأستاذ أكثر، وسيعدمه بكل تأكيد».

في البداية، لم يكن لديّ جواب؛ لأن الحقيقة كانت تكمن في سؤاله، لكن بالنسبة لي، كان الانتقال من مرحلة إلى مرحلة فرجًا في حد ذاته، فالآن يجب إنقاذه من العذاب والإعدام، من يدري ماذا سيحدث في الغد.

قلت:

«لا، ليس هكذا، لو أخبرت العالم بأنهم أمروك بدس السم له في السجن، وأنت لم تستجب للأمر ولم تقترف هذا الجرم، فلن يستطيعوا قتله، لأن صدق كلامك سيكون مسلّمًا به، ومن هذه الناحية سيكون الأستاذ في أمان، لكن الأفضل من

دودة الكتب قرائية
للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

هذا كله، لو أنك جعلته يفر من إيران».

مهما فعلت، لم يقتنع ولم يسلّم بفراره، وحتى أخذ الإجازة اعتبرها لا تنطوي على مصلحة، لأنه كان متأكدًا من أنها ستثير الشكوك، وبخاصة مع التقرير الذي قُدّم للشاه في السابق عن لقائه بالمعارضين للنظام الديكتاتوري في برلين، لم يكن ممكنًا إطلاق سراح الأستاذ. وافق فقط على إرساله إلى إحدى مدن محافظة "خراسان"، ولهذا الغرض، ذهب من بيتي مباشرة إلى البلاط.

اتفقنا على أن أنتظره في البيت، وهو سيكلمني بالهاتف بمجرد رجوعه إلى دائرة الأمن، وسأذهب إلى مكتبه للاطلاع على النتيجة.

عند الوداع، قبّل يدي، وكان يريد تقبيل شفتيّ، لكني أدرت وجهي، واستطاع أن يقبّل خدي الأيمن فقط.

وكانت النتيجة أن نُفي "ماكان" إلى "كلات" مع صاحب رتبة وعنصري شرطة من الدائرة السياسية، ومنذ ذلك الوقت لا أملك خبرًا عنه.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

****

سكتت المرأة المجهولة، ووضعت مرفقها الأيسر على الطاولة، وأسندت جبهتها على بيديها، كانت قد أغمضت عينيها وهي تحرك رأسها، ربما كانت تستحضر في ذهنها مشهد آخر لقاء، وكنت أودّ كثيرًا أن أعرف منها لماذا لم تتجرأ على لقائه لآخر مرة. إن هذه المرأة باتت في رأيي تستحق الاحترام والعطف، والعجيب أنها ما كانت تعتدّ بتضحياتها، كما لو أنها كانت تشعر بالخجل من كونها قدمت تضحيات بهذه العظمة لأجل الأستاذ. كنت أنظر إلى العينين اللتين في اللوحة، لم يكن في عيني المرأة التي كانت جالسة أمامي أي لغز، لم يكن الأستاذ قد عرفها.

ولكي أجبرها على الكلام، قلت:

«لقد نُفذت خطتكما، لأني أتذكّر أنه في السنوات الأخيرة للديكتاتورية فرّ أحد رؤساء دائرة الأمن من إيران، لا أتذكر اسمه، بالتأكيد هو العقيد آرام هذا، ولم يعد أبدًا. في ذلك الوقت، راجت بين الناس العديد من الروايات، وسمعت أيضًا أن الصحف الأوروبية نقلت على لسانه حكايات كثيرة».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

لم تجبني، كانت تنصت إلى كلامي، ولم تكن تبدي أي ردة فعل في قسمات وجهها، فأُجبرتُ على سؤالها:

«نعم، بات واضحًا أنك أصبحت زوجة للعقيد آرام، وحينما سمعت بخبر موت الأستاذ، تراجعتِ عن وعدك وعدتِ إلى إيران. اسمحي لي أن أسألك سؤالًا آخر؛ قلت إنك رأيته مرة أخرى، ولكنك لم تجرئي على الكلام معه، كنت أود كثيرًا لو تتحدثي لي عن هذا الموضوع، ولو في بضع كلمات».

كانت المرأة المجهولة تذرف الدموع. قالت:

«سيدي الوكيل، كان هذا أكبر سر في حياتي، لم يكن أحد على اطلاّع به، لقد كان هناك أشخاص يعرفون بعض الشيء عن أعمالي الأخرى، وحتى عن علاقتي السياسية به، فكما تعرف كان للشرطة، في نهاية المطاف، علم بذلك، لكن لا أحد غير "آرام" يعرف أنني أنقذته من السجن، ضحّيت بكل حياتي على أمل أن أنقذه، لكن...».

كان البكاء يمنعها من الاستمرار، تذرف الدموع، وتتحدث وهي تشهق من البكاء.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«لكن لو تجرأتُ قليلًا، لو ضحّيتُ قليلًا، آه، لو أَفسحَ المجال لي أكثر، وقرّبني إليه في تلك الأيام السوداء التي كان في أمسّ الحاجة إلى مساعدتي، وشجّعني أكثر، لم أكن لأفقده، ولم أكن لأتخلّى عنه، كنت سأرافقه في المنفى، وربما كنت سأعيده من المنفى بعد مرور سنة أو سنتين بالمال وبالرشوة وبالنفوذ الذي كان لديّ، وبالعلاقات التي تربط عائلتي بأصحاب القرار وقتها، وسأهيئ له وسائل الحياة والعمل، وسآخذه إلى حيث الحياة المثمرة.

الآن تعرف لماذا لم أكن أريد التعريف بنفسي، لم أكن أريد أن أعرّفك بنفسي حتى أنت الذي اطّلعت على أكثر الزوايا ظلمة في روحي، وأقول إنني كنت الزوجة السابقة لرئيس دائرة الأمن، رئيس دائرة الأمن الذي اعتقل الأستاذ "ماكان" وأرسله إلى المنفى. أنا تخّليت عن صديقي وحبيبي والشخص الوحيد الذي أستطيع أن أقاسمه الحياة، في أحلك الظروف وأصعب لحظات الحياة، وتزوجت بعدوه، بألد وأشرس أعداء آماله وأمنياته. نعم، كان هو أيضًا يعرف هذا، لأنه بعد مرور أسبوع أو أسبوعين، عادت "مهربانو" خطيبة "خداداد" إلى إيران، وكانت قد أصبحت طبيبة أطفال، رجعت لتحقق في الأوضاع والحيثيات التي أعقبت اعتقال الأستاذ، وتهيئ الظروف لعودة "خداداد" إلى إيران. وخلال

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

تلك الأسابيع الثلاثة التي قضيتها في إيران بعد الاتفاق مع العقيد، جاءت ذات يوم "مهربانو" للقائي، لكني لم أمنحها الفرصة لتتحدث عن الأمور الجارية التي كنت مطلعة عليها، فقلت لها بضحكات مصطنعة وبشاشة مفتعلة إنني عقدت قراني، وسأسافر إلى باريس خلال أيام. ولقد اطّلع الأستاذ على ذلك بالتأكيد، ولهذا السبب، رسم هذه اللوحة.

من كان مقصّرًا؟ أكنت أنا المذنبة أم هو من أوصلني إلى هذا اليوم الأسود...؟ حينما ذهبت إلى مكتب رئيس دائرة الأمن، كان مسرورًا جدًا، بمجرد أن دخلت نادى على معاونه».

قال:

«لا تدع أحدًا يدخل إلى هنا، وأرسل في طلب "ماكان" الرسّام من السجن. ابقي حتى أنادي عليه».

عندما ذهب معاون الرئيس، قام من على مكتبه، وجاء عندي، وأمسك بيدي، وقال:

«أنجزت لك رجاءك، سأرسله اليوم إلى "كلات"».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«هل كان عملًا شاقًا».

«إن عملنا الشاق يبتدئ من اليوم، سأكون جاهزًا للسفر خلال شهرين، أنت ماذا ستفعلين؟».

«احجز لي تذكرة، سأسافر هذه الأيام إلى باريس».

«وأين سنقيم مراسم عقد القران؟».

«سنقيم مراسم القران هنا من دون أية ضجة، ولا بأس من حضور والدتي».

«جميل جدًا».

«هل سيأتي الأستاذ إلى هنا الآن؟».

«أتريدين رؤيته؟»

«لا، لا شأن لي به».

«إذا أردت، تستطيعين أن تتحدثي معه على انفراد، سآمرهم

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

بإخلاء قاعة الانتظار، اجلسي وقولي ما تشائين».

تظاهرتُ بالهدوء، وخدَعَتْه ضحكاتي المصطنعة وعيناي اللامعتان، وصدّق حقًّا أني لست راغبة في لقائه.

ضحكت بصوت عال، وقلت:

«لا، أيها العقيد، أنا أصبحت زوجتك، وليست لديّ رغبة في الحديث مع رجل من غير المحارم على انفراد».

«ربما يكون ضروريًا أن تتحدثي معه قليلًا، وتخبريه بأنك أنت من أنقذت حياته».

«أبدًا، لو أدرك أنني أنقذته بمساعدتك، لألقى بنفسه مجددًا في السجن».

«أتريدين أن ألمّح له أنا بذلك؟»

«لا تقم أبدًا بذلك! أرجوك لا تزعجه، خفف عنه! قل له إنه استفاد من عفو ملكي لأنه فنان كبير، ومن المجحف أن يبقى في طهران ويتطرق للأعمال التي ليست من شأنه وفي

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

مقامه، ولهذا السبب سيبقى خارج طهران لمدة، وبمجرد أن تعود المياه إلى مجاريها، يمكنه أن يرجع إلى بيته ويباشر أشغاله، هل سيرافقه خادمه أيضًا؟».

«لا، خادمه مسجون أيضًا».

«ألن تطلق سراحه؟»

«سأطلق سراح كليهما، لكني لن أرسل خادمه رفقته».

دخل المعاون إلى المكتب، وقال:

«سيدي، السجين حاضر».

«أفرغوا قاعة الانتظار، أريد أن أتحدّث معه هناك».

خرج العقيد من الغرفة.

كنت أسمع صوته. هل كان بوسعي أن أذهب إليه، وأخبره بأنني لأجل إنقاذه، توسلت بأسهل طريقة ممكنة، ورميت بنفسي في أحضان رجل متكبّر وأناني ما كان يملك في

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

حياته أعز وأقدس من جسده وحاجات هذا الجسد؟ لا، لم تكن لديّ هذه الجرأة، وما كنت أريد أن أطلعه على كيفية اتخاذ مثل هذا القرار.

ظل رئيس دائرة الأمن يتحدث معه في الغرفة المجاورة مدة ربع ساعة، كأنهم اعتقلوني أنا ويريدون الزج بي في السجن عوضًا عنه. كان قلبي ينبض بشدة لدرجة أني كنت خجلة من حركة صدري. كنت أستطيع سماع حوارهما، لكنني ما كنت أريد أن أستمع. كان رئيس دائرة الأمن يتحدث بأدب وبنبرة هادئة والأستاذ ينصت، ونادرًا ما يجيب إجابات متقطّعة. انتصبت واقفة مرة وذهبت حتى وصلت قرب الباب، وأمسكت بالمقبض علّني أشاهده من ثنية الباب، أخافني صوت رنة هاتف رئيس دائرة الأمن، فعدت وجلست في مكاني.

عاد العقيد إلى مكتبه بوجه طلق وضاحك، ورفع السمّاعة وأجاب جوابًا مختصرًا، ثم جاء نحوي وأمسك بيدي واقتادني ناحية النافذة، وقال:

«تعالي وتفرّجي!».

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

كان ينزل من سلالم دائرة الأمن برقبة مرفوعة، مرتديًا ملابس مرتّبة ومكوية، يرافقه ضابط أمن وشرطيان من الدائرة السياسية، وكان الحرّاس يؤدون له التحية ويفسحون له الطريق، وكان الأستاذ يومئ برأسه في هدوء.

حينما نزل من الدّرج، تريّث قليلًا وألقى نظرة إلى السماء، فرد صدره كأنه يتنفس نفسًا عميقًا.

كانت هذه آخر مرة رأيته فيها، وهذا المشهد مازال منقوشًا في ذهني.

سيدي الوكيل، أرجوك اختصر الكلام، ولا تسألني المزيد، اذهب! فأنا لم يبق لي ما أحكيه لك. لم أقل لك شيئًا أصلًا، لأن ما ينخر في أعماقي ويشغل بالي لم أقله بعد، لو كنت أستطيع أن أفصح عمّا يشعل داخلي، لكنت أصبحت حينها شاعرة وكاتبة ورسّامة وفنّانة، والحال أنني لست كذلك.

أنت كنت تريد منّي معرفة حياة الأستاذ، وقد حكيتها لك، فالنساء أمثالي ممّن أوقفن حياتهن على نزوات رجال هذا المستنقع ورغباتهم كثيرات.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

أشكرك على نَفَسك الطويل وعلى صبرك على سماع القصة المشؤومة التي لم يكن لها علاقة بعملك ولا بصلتك بحياة الأستاذ.

خذ معك لوحتك! لم أعد أحب هذه اللوحة. لقد أخطأ أستاذك.

هاتان العينان ليستا عينيّ!

كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥١ - أيار ١٩٥٢

---

(1) مزار مشهور في طهران، وهو للشاه عبد العظيم بن عبد الله الحسني، من كبار العلماء والمحدِّثين الشيعة، وأحد أصحاب الأئمة علي الرضا ومحمد الجواد وعلي الهادي والرواة عنهم.

(2) تاريخ الهجوم الذي شنته بريطانيا والاتحاد السوفيتي على إيران، مما أدى فيما بعد إلى إجبار رضا شاه بهلوي على التنازل عن الحكم لابنه من قبل الحلفاء ونفيه خارج إيران.

(3) من الألقاب التي كانت تلحق بصفة أخرى هي السلطنة والملك والدولة

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

والممالك وغيرها، مثل كمال الملك ومخبر الدولة وصدر الممالك ونظام السلطنة، كانت تمنح من قبل ملوك القاجار لأعضاء العائلة الحاكمة والمقربين من البلاط وذوي المناصب العليا.

(4) جريدة L'illustration هي جريدة أسبوعية فرنسية كانت تصدر بين ١٨٤٣-١٩٤٤، وقد كانت أول جريدة فرنسية تنشر صورة عام ١٨٩١م، وأول جريدة تنشر صورًا ملونة عام ١٩٠٧م.

(5) كتب

(6) مدرسة

(7) متواضع

(8) الإشارة هنا لعملية فرض السفور المعروفة في إيران بـ(كشف الحجاب) التي فرضها رضا شاه في عام ١٩٣٥م في محاولة منه لإدخال الثقافة الغربية بشكل تعسفي إلى البلاد. وقد وقف الكثيرون ضد هذه الحركة، وبخاصة الزعماء التقليديين ورجال الدين.

(9) مدرسة الفنون الجميلة. وستذكر من هنا فما بعد اختصارًا بـ E.d.B.A

(10) غابة بولونيا، وهي حديقة تقع غرب باريس، بالقرب من ضاحية

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

«بولونيا-بيلانكور». تبلغ مساحتها ٨.٥ كلم مربع. توجد فيها بحيرة.

(11) جناح من مبنى.

(12) نوع من الخمور الفرنسية المنتجة من كروم العنب.

(13) تعني هذه العبارة: أحبك كثيرًا.

(14) شارع la vavin، منطقة مونبارناس.

(15) مرعب ورهيب وفظيع.

(16) من الأمثال الشعبية التي تستخدم عند السخرية من الشخص الذي يملك كل مظاهر الترف والرفاهية، ولكن على الرغم من ذلك يتذمر، فيقال إن أردت الموت فاذهب إلى كيلان، حيث يقوم أهل كيلان بتوفير كل سبل الراحة لذوي الميت، بحيث لا يضطر أحد منهم إلى القيام بأي عمل لفترة قد تتجاوز الأسبوع.

(17) صحيفة يسارية إيرانية بدأت في الصدور بألمانيا.

(18) صوت بوردو.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

(19) تستعمل هذه العبارة للدلالة على كثرة المترددين على المنزل.

(20) المقصود هو ابن الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب الذي قتل في كربلاء وعمره ستة أشهر.

(21) سورة النمل، آية ٦٢، بحسب بعض رجال الدين الشيعة يقوم الإنسان الذي تصيبه مصيبة أو عجز إما بترديد هذه الآية ١٢٠٠٠ مرة إذا كان في مجلس أعد لمراسم (الختمة) أو أن يرددها ١٢٠ مرة إذا كان الرد يقوم بذلك وحده بهدف زوال كربته.

(22) فرط الحساسية.

(23) المقصود هنا هو كتاب زاد المعاد للشيخ محمد باقر مجلسي (١٠٣٧-١١١٠ هـ)، وهو كتاب أدعية خاص بالشيعة.

(24) إحدى مناطق إيران الفقيرة، والمقصود هنا أن العائلة حديثة الثراء.

(25) هو الشاعر الإيراني الكبير شمس الدين ويعرف بحافظ الشيرازي. تُرجمت أعماله إلى الكثير من اللغات. يُستخدم ديوان غزلياته كثيرًا في التفؤل ومعرفة الطالع. أشعاره تزخر بمعاني العشق والفلسفة والحكمة.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

(26) هي صيغة تستخدم في اللغة الفارسية للاحترام، وتستخدم غالبًا كصيغة كلام رسمية.

(27) هي محطة قطار تقع في المقاطعة الأولى في مدينة باريس.

(28) مدرسة الفنون الجميلة.

(29) عقلية.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

بزرگ علوي
(١٩٠٤-١٩٩٧م)

ولد بزرگ علوي في أسرة متدينة، سياسية. كان والده عضوًا في حزب إيران الديمقراطي المناهض للوجود الإنجليزي والروسي في إيران. امتدت حياته الطويلة لتغطي فترات سياسية مهمة من أواخر الدولة القاجارية وكل فترة رضا شاه وابنه محمد رضا، وأخيرًا الثورة الإسلامية، وكان شاهدًا على تغييرات سياسية واجتماعية كبيرة هزّت إيران من تبعية القاجار وديكتاتورية الشاه إلى صعود الحركة الوطنية بقيادة محمد مصدق وقمعها.

ساعدته دراسته بأوروبا في ثلاثينيات القرن العشرين على الاطلاع بشكل عميق على الفكر الأوروبي الحديث والتعرف على الكتابات والأفكار الاشتراكية. سُجن في إيران لمدة أربع سنوات ضمن مجموعة الثلاثة والخمسين بتهمة مزاولة النشاطات السياسية والعضوية في الحزب الشيوعي الإيراني "توده" في الأربعينات، وهو الحزب الذي كان له دور سياسي بارز حتى قيام الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩م،

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

وقد نُفي علوي إلى خارج إيران في زمن رضا بلهوي. توفي في برلين عام ١٩٩٧.

كانت حياة بزرگ علوي مُثمرة، فقد كتب الكثير من البحوث والقصص، ومنذ فترة مبكرة من حياته الأدبية قام بترجمة الأعمال الأدبية وغيرها، وقد كان مُلِمًّا بالآداب والفنون وضليعًا بالعلوم السياسية.

تعتبر روايته عيناها من أهم الروايات الإيرانية، وأكثرها انتشارًا، فقد نُشرت في عهد حكومة مصدق، وهو العهد الذي شهد الكثير من الحريات، وبخاصة في مجال النشر، وقد نُشر منها أربع طبعات بين عامي ١٩٥٢، وهي سنة صدور الرواية، وعام ١٩٦١، وعلى الرغم من صعوبة نشرها بشكل رسمي فإنها نُشِرَت مرات عديدة سواء في إيران أو أوروبا.

قد تكون شهرة هذه الرواية وسرعة انتشارها يعودان إلى وضوح الفترة الزمنية التي تدور فيها أحداثها، وهي فترة أوج قوة رضا شاه بهلوي، الفترة البغيضة من التاريخ الإيراني، انتشر فيها الاستبداد والدكتاتورية وأصبحت هذه الفترة بكل وقائعها وأحداثها جزءًا من الوعي الجمعي والتاريخ السياسي والاجتماعي للإيرانيين.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

د. أحمد موسى

من مواليد مدينة تطوان في المملكة المغربية عام ١٩٧٣م. يعمل أستاذًا للغة الفارسية وآدابها والأدب المقارن في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة شعيب الدكالي بالجديدة - المغرب. حاصل على الماجستير والدكتوراه في فرع اللغة الفارسية وآدابها من جامعة طهران بإيران.

ترجم العديد من البحوث والكتب والدراسات من الفارسية إلى العربية، وصدرت له مجموعة من الترجمات لإبداعات فارسية منها:

ترجمة المجموعة القصصية «آبشوران» للقاص والروائي الإيراني المعاصر علي أشرف درويشيان، وصدرت الترجمة عن روافد بالقاهرة سنة ٢٠١٦م.

ترجمة الرواية الفارسية «سيمفونى مردگان" [سيمفونية الموتى] للروائي الإيراني المعاصر عباس معروفي، وصدرت الترجمة عن دار المتوسط بميلانو سنة ٢٠١٨م.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

ترجمة الرواية الفارسية «ملكوت» [جن إيراني] للروائي الإيراني الرائد بهرام صادقي، وصدرت الترجمة عن منشورات الربيع بالقاهرة سنة ٢٠١٨م.

إعداد أنطولوجيا القصة الإيرانية الحديثة تحت عنوان «ربيع كتماندو الأزرق» واشتملت على ترجمة ١٣ نصًّا قصصيًّا لأبرز كتَّاب القصة القصيرة في إيران، صدرت الأنطولوجيا عن منشورات الربيع بالقاهرة سنة ٢٠١٩م.

كما أصدر بعض المؤلفات المتعلقة باللغة الفارسية، من بينها:

- «الدروس الأساسية في اللغة الفارسية» عن دار باب الحكمة للنشر بتطوان، المغرب ٢٠١٦م.
- «مدخل إلى اللغة الفارسية، مباحث في تاريخ اللغات الإيرانية» عن كوبي باج بالجديدة في المغرب ٢٠١٩م.

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com